سلسلة مؤلفات الشيخ صالح البليهي (١)

الهدى والبيان

في أسماء القرآن

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

صالح بن إبراهيم البليهي

رحمه الله تعالى

اعتنى به

عبد العزيز بن حمود بن عبد الرحمن البليهي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

قوبلت هذه الطبعة على نسخة خطية بخط المؤلف

الجزء الثاني

دار القبس للنشر والتوزيع

الهُدَى والبيان

في أسماءِ القُرآن

٢

ح مدار القبس للنشر والتوزيع، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البليهي، عبدالعزيز حمود

الهدى والبيان في أسماء القرآن. / عبدالعزيز حمود البليهي — الرياض، ١٤٣٩هـ

٢ مج

ردمك ٢-٢-٩٠٩٩٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٤-٩٠٩٩٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

١- القرآن - مباحث عامة أ- العنوان

ديوي ٢٢٩ ١٤٣٩/٢٢٣٩

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٢٢٣٩

ردمك: ٢-٢-٩٠٩٩٢-٦٠٣-٩٧٨(مجموعة)

٦-٤-٩٠٩٩٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه و نسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

صف وتصميم وإخراج

مدار القبس للنشر والتوزيع

الرياض ـ المملكة العربية السعودية

شارع الأمير سطام بن عبدالعزيز

ت: ٢٦٨١٠٤٥ — ف: ٤٣٥١٣٩٥

جوال: ٠٠٩٦٦٥٥٢٢٩٣٩٣٨

darulqabas@yahoo.com

سلسلة مؤلفات الشيخ صالح البليهي (١)

الهدى والبيان

في أسماء القرآن

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

صالح بن إبراهيم البليهي

رحمه الله تعالى

اعتنى به

عبد العزيز بن حمود بن عبد الرحمن البليهي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

قوبلت هذه الطبعة على نسخة خطية بخط المؤلف

الجزء الثاني

دار القبس للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

وجوب طاعة الرسول

طاعة الرسول ﷺ واجبة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، ومعصيته محرمة بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة، ومن عصى الله فقد عصى الرسول، ومن عصى الرسول فقد عصى الله.

وفي أكثر من أربعين آية أمر الله بطاعته وطاعة رسوله، ونهى عن معصيته ومعصية رسوله، مع العلم أن القرآن كله من أوله إلى آخره، موجب لطاعة الله وطاعة رسوله.

وبطاعة الله ورسوله كل خير ونعيم وسعادة وصلاح وفلاح في الدنيا والآخرة، وبمعصية الله ومعصية رسوله، كل شر وبلاء وفتنة ومحنة، وشقاء، وعذاب في الدنيا والآخرة، الجزاء من جنس العمل، وما ربك بظلام للعبيد.

قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ [التغابن: ١٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

وقال جلَّ وعلا: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣].

وأما الأحاديث الموجبة لطاعة الله ورسوله، فكثيرة جدّاً ليس بالإمكان حصرها ولا تعدادها، ومعروف بأن أحاديث الرسول ﷺ، ليست عشرات ولا مئات بل هي آلاف، وكلها موجبة لطاعة الله وطاعة رسوله.

قال البخاري في «صحيحه»: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»(١).

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه**

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠)، ومسلم (١٨٣٥).

ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم»[١].

اللَّهُمَّ وفقنا لطاعتك وطاعة رسولك، وجنبنا اللَّهُمَّ معصيتك ومعصية رسولك، اللَّهُمَّ اهدنا ولا تضلنا، اللَّهُمَّ اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين، ولا مضلين، سلماً لأوليائك وعدوّاً لأعدائك، نحب من أحبك ونعادي بعداوتك من خالف أمرك، اللَّهُمَّ هذا الدعاء وعليك الإجابة، وهذا الجهد وعليك التكلان، وصلى الله وسلم وبارك على من أرسل رحمة للعالمين وحجة على الكافرين.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

عموم رسالة الرسول

ومن الآيات الدالة على عموم رسالة الرسول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وعددها (١٩) آية.

ويقيناً لا يعتريه شك بأن رسالة الرسول محمد ﷺ عامة، لكل مخلوق من الجن والإنس، لا فرق بين عربي وعجمي، ولا بين يهودي ونصراني، ولا بين أبيض وأسود.

ودليل ذلك وبرهانه، هو القرآن الكريم، وسُنَّة الرسول عليه من ربه السلام، فالذي عرفناه ثلاث وخمسون (٥٣) آية، كلها صريحة في عموم رسالة الرسول، ولا ريب بأنه يوجد في القرآن أكثر من هذا العدد.

وحكمة الله تقتضي ذلك، تقتضي أن تكون رسالة الرسول ﷺ عامة لكل جنس من أجناس بني آدم، ولكل شعب من شعوب العالم؛ لأنه آخر الأنبياء والمرسلين، فليس بعد هذا الرسول رسول، وليس بعد هذا القرآن قرآن، وليس بعد هذا الدين الإسلامي دين، فمن ادعى نبوة أو رسالة، بعد رسالة الرسول فهو ملحد زنديق، ومبرسم مجنون، وكذاب أثيم.

فالصحف والكتب السماوية ختمها الله بأشرفها، وأعظمها وأجلّها قدراً، وأعمها نفعاً، وأحكمها أحكاماً وأعدلها نظاماً، وهو القرآن المجيد.

والأنبياء والمرسلون ختمهم الله بأفضلهم وسيدهم محمد ﷺ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فحيث أنه عليه السلام، هو آخر بشير ونذير.

فحينئذٍ المصلحة العامة والخاصة والحكمة الإلٰهية تقتضي أن تكون رسالة الرسول عامة لكل مخلوق من المكلفين، والشريعة الإسلامية ناسخة، لكل ما خالفها من الشرائع والأديان.

فإي مخلوق من بني البشر تعبَّد لله أو تديَّن بغير دين الإسلام، فعبادته ضائعة وعمله مردود عليه، وصدق الله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، ويقول رسول البشرية عليه من الله السلام: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(١)، مع العلم أن الدين الإسلامي، خير الأديان، أحسنها نظاماً، وأعدلها أحكاماً، وأسهلها تكليفاً، ليس في الدين الإسلامي والحمد لله أغلال ولا آصار ولا ضيق ولا حرج: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، ورسول الرحمة والهدى، يقول: «**بعثت بالحنيفية السمحة**».

فالعرب وغير العرب من يهود ونصارى، وغيرهم من أجناس بني آدم، إذ لم يعملوا بشريعة الإسلام، عقيدةً وأحكاماً ونظاماً وإيماناً وتصديقاً، قولاً وعملاً، فالجميع في حيرة وقلق، وفتنة وشر ومحنة وبلاء وعناء وشقاء، وجور ومروق وظلم وفسوق وخلاعة ماجنة وحروب طاحنة، وشر مستطير وكفر وعناد، وربك للظالمين بالمرصاد.

نعم؛ كما تقدم رسالة الرسول عامة، والشريعة الإسلامية نسخت ما خالفها من الشرائع والأديان، وإلى من أراد الله هدايته الدليل والبرهان، إلى كل مسلم غيور على دينه وعقيدته، إلى الجميع ـ وفقنا الله وإياهم ـ سبع آيات من ثلاث وخمسين آية، مع العلم أن آية واحدة مقنعة وكافية

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

في إقامة الحجة وبيان المحجة، والله ولي التوفيق، وبه المستعان وعليه التكلان:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [آل عمران: ٨٦ ـ ٨٨].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧، ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨].

فالرسول عليه السلام رسول للبشرية أجمع للعرب وغير العرب.

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة: ٥].

فرسالة الرسول ﷺ عامة، وبرسالته قامت الحجة على اليهود والنصارى والمجوس، وكل مكلف بلغته دعوة الإسلام.

وقال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام: ١٣٠].

فالرسول ﷺ حمل رسالة الحق والخير والسعادة إلى البشرية كلها في كل زمان وفي كل مكان، بل إلى الثقلين جميعاً، الجن والإنس، فمن صدق وآمن وعمل فله جنات النعيم، ومن كذب وتنكب طريق الهدى فله نار الجحيم.

وصدق الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٢].

غريبة

وهنا غريبة ينبغي التفطن لها، وهو أن هؤلاء النفر من الجن لم يسمعوا القرآن إلا مرة واحدة، وأثَّر تأثيراً عجيباً في مشاعرهم وأحاسيسهم، وكثير من المسلمين يسمعونه مراراً وتكراراً، ولا عين ولا أثر ولا تصديق ولا عمل.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨].

والجن مكلفون وكالإنس مأمورون ومنهيون، ويدخل مؤمنهم الجنة وكافرهم النار، والجن موجودون، ودليل ذلك الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة، والجن لغة: مأخوذ من الاختفاء والاستتار، ولذا سمَّى حمل المرأة: جنيناً، وسميت الجنة والمجن في الحرب لستره، وكل ما يقي الإنسان من الآفات والذنوب يسمَّى: جُنة، بضم الجيم، وزنادقة الأمم، وملاحدة الأزمان ينكرون وجود الجن وينكرون وجود الشياطين، وهذه فلسفة وسفسطة، ومكابرة للمنقول والمعقول.

فالله جَلَّ شأنه ذكر الجن في القرآن، في خمسين آية، فالذي ينكر وجود الجن، مكذب للقرآن ومن كذب القرآن أو كذب بشيء منه، فهو كافر بالله العظيم.

وخوفاً من الخروج عن الموضوع نذكر من أحاديث الرسول ما يدل على عموم رسالته عليه السلام ووجوب تصديقه، ووجوب العمل بما جاء به.

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**». رواه مسلم[1].

ومن لوازم الإيمان بما جاء به الرسول وجوب العمل بكل ما جاء به الرسول.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣).

وعن جابر، عن النبي ﷺ، قال: «**أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**». متفق عليه(١).

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُوراً وَمَسْجِداً، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»(٢).

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»(٣).

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ**». رواه مسلم والبخاري(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).
(٢) أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣)، واللفظ له.
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).
(٤) أخرجه البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**». رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد(١).

وقال ﷺ: «**إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي**». رواه أحمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**». متفق عليه، واللفظ للبخاري(٣).

والأحاديث في هذ الموضوع كثيرة، فهذه ثمانية أحاديث، وكلها صحيحة وصريحة، في عموم رسالة الرسول ﷺ، وصريحة أيضاً في بيان أن الدين الإسلامي نسخ كل ما خالفه من الملل والشرائع والأديان، وصريحة أيضاً في أن كل من ادعى رسالة أو نبوة بعد محمد فهو ضال وملحد ومجرم وكذاب أثيم، وكافر بالله العظيم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**لا تقوم الساعة حتى يبعث دجّالون كذّابون قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله** ». رواه مسلم(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).
(٢) أخرجه الترمذي في جامعه (٢٢٧٢)، وأحمد في مسنده (١٣٨٢٤).
(٣) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٠٩) واللفظ له، ومسلم (١٥٧).

القاديانية

والذي أصابهم الهوس والغطرسة والجنون فادعوا النبوة كثير، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ.

ومن آخر الذين ساورهم الغرور وتحلوا بالكذب والزور فادعوا النبوة هو غلام أحمد القادياني، الذي ولد في قرية قاديان، إحدى قرى البنجاب الهندية، في أسرة عميلة للاستعمار الإنكليزي، فصار غلام أحمد من أكبر عملاء الإنكليز، فيوجب لهم الطاعة والولاء، ويحرم قتالهم فلذا أغدقت عليه الحكومة الإنكليزية المال؛ ليوسّعَ صَدْعاً في الإسلام، وليوجد تفككاً في المسلمين وبلبلة في أفكارهم ودينهم، وتفرقة لصفوفهم واختلافاً في عقائدهم.

وقد فعل غلام أحمد القادياني ما أراده الاستعمار، فكانت دعوته الممقوتة تدريجيّاً، فأولاً ادعى أنه مجدد لدين الإسلام، فانخدع به كثير من المسلمين، ثم ادعى أنه المهدي الموعود به.

ثم تدهور فانزلق فادعى النبوة والرسالة، فانخدع به خلق كثير وجم غفير، وراجت أباطيله على كثير من العوام والطغام، الذين ما عرفوا دين الإسلام، فدعوة القادياني والقاديانية، دعوتهم الزائفة، وأقاويلهم الضالة المضللة، واعتقادهم الملعون، لذلك صداً ورواجاً في بعض بلاد الإسلام، وبالأخص بعض البلاد الإفريقية والباكستانية، فدخان هذه الفتنة يثور من زمن حياة زعيم الضلال غلام القادياني إلى وقتنا الحاضر.

ولكن بحمد الله كثير من علماء الإسلام والمسلمين واقفون بالمرصاد لكل من طغى وبغى، وازور عن طريق الهدى، وكذب وافترى، فكثير من علماء المسلمين في وقتنا الحاضر وقبله ركزوا أقلامهم وأطلقوا لها العنان تجري نصرة للحق وإبطالاً للباطل، ورداً على القاديانية، وعلى كل مبتدع في دين الله ما ليس منه في كل زمان وفي كل مكان.

فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وكل بدعة في دين الإسلام وكل كارثة ومحنة أصيب بها المسلمون، الكيد والدس هو سببها من اليهود والنصارى.

وها هي الماسونية التي تعمل لصالح اليهود، وها هي جمعيات التبشير لدين النصرانية، الجميع بذلوا كل مجهود ولم يدخروا وسعاً للقضاء على العقيدة الإسلامية، أو على الأقل إضعافها من قلوب المسلمين، فتارة عن طريق الدس، وتارة من طريق مناهج الدراسة، وتارة من طريق المدرسين.

وتارة من طريق الإعلام، وتارة وتارة، فانتبهوا يا قوم واستيقظوا يا نيام، خذوا حذركم يا شباب الإسلام.

ونبوة القادياني جديدة الأثر وقريبة العهد، فقد ولد غلام أحمد في عام ١٨٣٩م، وأهلكه الله في عام ١٩٠٨م، وقد ذكرنا القاديانية في كتابنا: «عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين».

تَنْبِيهٌ

هذه الإشارات واللمحات القريبة ليست من صميم بحثنا ولكن ذكرناها استطراداً وتتميماً للفائدة، فليُعلم ذلك، والله الموفق والمعين، لا إلٰه غيره، ولا ربَّ سواه.

القرآن موعظة

الله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: موعظة، ووصفه بذلك في خمس آيات وبتوفيق الله وإعانته، تقدم من أسماء القرآن تسع وعشرون، وهذا تكملة ثلاثين اسماً.

والموعظة في لغة العرب هي: التذكير والأمر بطاعة الله، قال في «القاموس»: وعظه يعظه وعظاً، وموعظة: ذكره ما يلين قلبه من الثواب والعقاب، فاتعظ[١].اهـ.

وقال في «المصباح المنير»: وعظه يعظه وعظاً، وعظه: أمره بالطاعة ووصاه بها[٢].اهـ.

الله أكبر وعز سلطان الله، وصدق الله العظيم، القرآن الكريم موعظة، هي الموعظة النافعة، هي الموعظة الجامعة، هي الموعظة حقّاً، هي الموعظة المؤثرة، موعظة دائمة لا انقطاع لها.

موعظة لا كالمواعظ، موعظة هدفها النفع والانتفاع، وهدفها الخير والسعادة، وهدفها الصلاح والإصلاح، موعظة من ربٍّ كريم رؤوف رحيم.

موعظة حكيمة محكمة، موعظة هي سياط القلوب تارة وفرحها واستبشارها تارة أخرى، موعظة زاجرة عن المنكرات، وجميع

---

(١) القاموس المحيط (١/ ٦٩٩).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٦٦٥).

المحرمات، موعظة أمرت بكل خير ونهت عن كل شر، موعظة يجب تلقيها بالرضا والقبول والتسليم.

موعظة يجب أن تفهم ويعمل بها، موعظة تحيا بها القلوب وتنتعش بها الأرواح وتتحرك لها المشاعر، وتهتز لها الأعطاف، موعظة المقصود منها صلاح الدنيا وصلاح الآخرة.

موعظة هي قاعدة المواعظ، ومصدرها الأصيل، حقّاً والحق يقال، وماذا بعد الحق إلا الضلال، القرآن الكريم هو: الموعظة العظيمة النافعة.

ولكن الأسف شديد والمصيبة عظمى، عالَمُ الدُّنيا قديماً وحديثاً، إلا أقل القليل عن الخير والسعادة متباعدون، وعن المواعظ معرضون، معرضون بالقول والفعل، يقولون ويصرحون: ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الشعراء: ١٣٦]، هكذا تكون اللآمة، وهكذا تكون الشقاوة والغرور.

ومعذرة من الله تعالى، وزيادة في إقامة الحجة، أمر الله نبيَّه ﷺ بالموعظة لعل وعسى، لعل القلوب المتحجرة تلين، وعسى النفوس الشريرة التي غلب عليها الكفر والنفاق والظلم والفسوق والأشر والبطر عساها ترجع عن غيها وفجورها، لعلها وعساها تستقيم بعد اعوجاجها.

قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء: ٦٣].

وقال جلَّ وعلا: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

وقد فعل الرسول ﷺ ما أمره الله به، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كان

رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا»[١].

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله** ﷻ، **والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**». رواه أحمد وأبو داود، وابن ماجه والترمذي وصححه[٢].

والله جَلَّ شأنه من كرمه وجوده وفضله، وإحسانه يعظ عباده يعظهم خصوصاً وعموماً، قال تعالى: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

ومهما كان الإنسان فهو محل الخطأ والنسيان، فكل مخلوق مكلف على حسب ما عنده من نزوات ومخالفات هو في أعظم ضرورة وأمس حاجة، إلى الموعظة والنصح والتوجيه.

والهدف السامي والمقصود الأعظم من مواعظ القرآن ومواعظ الرسول، ومواعظ الواعظين، هو النفع والانتفاع لا مجرد السماع، ﴿فَمَن

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠)، ومسلم (٢٨٢١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٧١٤٥)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٩).

جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وحيث أن الموعظة لها مغزاها ولها أهدافها ولها نتائجها، ولها تأثيرها، ذكرها الله في القرآن، في أربع وعشرين (٢٤) آية، من آي الذكر الحكيم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٩]، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١]، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الإسراء: ١٧]، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥].

وكفى بالقرآن واعظاً، وكفى بالقرآن زاجراً، وكفى بالقرآن هادياً، وكفى بالقرآن مذكراً ومرشداً وآمراً وناهياً، وكفى بالقرآن دستوراً ونظاماً وأحكاماً.

اللَّهُمَّ وفقنا وجميع المسلمين للاتعاظ بالقرآن والعمل به، وإلى القراء والمستمعين، رحمنا الله وإياهم أجمعين، خمس آيات من كلام ربِّ العالمين، والله ولي المتقين:

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وقال جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [النور: ٣٤].

اللَّهُمَّ اجعلنا من عبادك المتقين، ومن حزبك المفلحين الفائزين بجنات النعيم، اللَّهُمَّ صل وسلم على سيد المرسلين، وقائد الغر المحجلين، وحكيم الواعظين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

۞ ۞ ۞

القرآن مبارك

نعم؛ القرآن مبارك، وقد سمَّاه الله بهذا الاسم ووصفه بهذه الصفة في أربع آيات، وصدق الله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢]، القرآن الكريم والنبراس العظيم، مبارك بجميع معاني البركة.

هو واللهِ بحر البركات، ومعينُها الصافي، وأصلها الأصيل، القرآن في نفسه مبارك ومبارك على غيره، مبارك في جميع مجالات البركة، مجال التوحيد والعبودية، ومجال العقيدة الإسلامية، ومجال الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب.

القرآن الكريم مبارك في حكمه وأحكامه، ومبارك في مقاصده وأهدافه، ومبارك في أخباره وأقاصيصه وأمثاله، ومبارك في جميع ما اشتمل عليه.

ولهذا سمَّاه الله: هدى، وسمَّاه: شفاءً، وسمَّاه: نوراً، وسمَّاه: رحمةً، وسمَّاه: بصائر، ولا نملك وليس باستطاعة كل مخلوق أن يصف القرآن بأعظم مما وصفه الله به، فقبل وجود هذا القرآن، والعالم أجمع؛ العرب والعجم، الجميع في شقاء وعناء، وفي شر وبلاء، وفي ظلام دامس وحيرة وارتباك، إلا أفراداً من عباد الله، ويشهد لذلك قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه، الجميع إلا ما شاء الله لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، في جاهلية جهلا وهمجية عميا.

وحدِّث ولا حرج، عن الكفر والشرك، والنفاق والظلم، والجور

والعداء، والفسوق والفجور، والغرور والجهل، والجهل يفعل بأهله كل قبيح.

فبعد وجود هذا القرآن، وبعدما شعَّ نوره في آفاق المعمورة، واستنارت الدنيا بعلوم القرآن ومعارفه، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، كان ما كان، وحصل ما حصل، حصل ما هو معروف، وكان ما سجَّله التاريخ، لهذه الأمة الإسلامية، أمة محمد عليه من ربه السلام.

فمن خير هذا القرآن وبركته، والعمل بما فيه حصل لهذه الأمة الإسلامية، المجد والفخر، والعز والنصر، وبالأخص العرب بعدما كانوا أجهل شيء وأحقره وأذله.

ولا وزن ولا قيمة، معدودين من سقط المتاع، عالةً على غيرهم من الفرس والروم، بعد ذلك كله صارت لهم السيادة والزعامة والقيادة، وكانوا ملوك العالم وقادة الشعوب، كانت لهم الدنيا سيادةً، والآخرة سعادةً، كل ذلك من أجل الإيمان بالقرآن، والعمل بالقرآن وبركة القرآن.

ومتى عاد المسلمون إلى دين الحق، إلى الدين الصحيح، إلى دين الإسلام، عاد الله لهم بما وعدهم، من النصر والتمكين، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧]، ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧].

لا مغالطة ولا تغرير، ولا شك ولا تضليل، بأنه ـ وعزة الله ـ لا نصر ولا عز للمسلمين، إلا بالإيمان بالقرآن والعمل به، عقيدةً وعبادةً وأحكاماً، ويُضاف إلى ذلك سُنَّة الرسول ﷺ، فلا بد من العمل بكتاب الله وسُنَّة رسوله عليه من ربه السلام.

هذا هو الذي به فخر المسلمين وعزهم ونصرهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، ولا خير للبشرية كلها إلا بالعمل بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

نعم؛ كما تقدم العرب قبل الإسلام، في حالة يرثى لها، في شقاء وشر مستطير، وها هي أوروبا المتمردة الكافرة، مضى عليها دهور وعصور، وهي مظلمة ظلاماً حالكاً، ديناً ودنيا، فمن أجل الإسلام، وعلوم المسلمين وفنونهم ومعارفهم وآدابهم وأخلاقهم، ومصنفاتهم الأدبية والاجتماعية، استيقظت أوروبا من سباتها، واستنارت بشيء من علوم الدنيا، دخلت العلوم والمعارف إلى أوروبا من طريق الأندلس بعدما فتحها المسلمون.

أما أوروبا من خصوص العقيدة والديانة والأخلاق، فهي لم تزل مظلمة الأرجاء متدهورة، بل هي في ازدياد من الكفر والفسوق، والمنصفون من أهل أوروبا، يعترفون بجميل المسلمين ومعروفهم، فأول من مارس الصناعة هم المسلمون.

فالمسلمون رسموا الخطَّة، ونصبوا الأعلام، والعمل جبار يحتاج إلى مواصلة، غير أن المسلمين مالوا إلى الترف والميوعة والدعة، فتخلوا عن تراثهم الديني والدنيوي.

والكلام ذو فنون وشجون يجر بعضه بعضاً، وحذاراً من الخروج عن الموضوع الذي نحن بصدده، نعود فنقول كما قال ربنا وخالقنا ومعبودنا: القرآن مبارك.

وإلى المسلمين عموماً، وإلى طلاب العلم خصوصاً، إلى المشتاقين إلى القرآن، والمحبين لآياته الحكيمة، أربع آيات:

قال جَلَّ شأنه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ

أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقال جلَّ وعلا: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [صٓ: ٢٩].

❁ ❁ ❁

القرآن بصائر

الله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: بصائر في ثلاث آيات، وهذا هو الثاني والثلاثون من أسماء القرآن، نسأل الله التوفيق والإعانة على الكمال والتمام.

والبصائر جمع: بصيرة، وهي الأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة، التي اشتمل عليها القرآن الكريم، وجاءت صريحة فيه، أدلة حكيمة محكمة، أدلة وبصائر في صالح البشرية في دنياها وأُخراها.

نعم؛ لا يشك عاقل ولا يرتاب مسلم، بأن القرآن الكريم بصائر لمن استبصر، حقّاً هو البصائر.

هو البصائر من العمى، هو البصائر من زيغ القلوب، هو البصائر من الشك والريب، هو البصائر من الكفر والشرك، هو البصائر من الظلم والجور، هو البصائر من الفسق والفجور، هو البصائر من البدع والمعاصي، هو البصائر من الجهل والغرور، هو البصائر من محنة وفتنة، هو البصائر الواضحة الجلية: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٠٤].

ومن الحِكم التي من أجلها خلق الله هذا الكون: تبصير العباد، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ [ق: ٧، ٨].

فالقرآن الكريم تبصير للعباد بأمر دينهم ودنياهم وآخرتهم، ويجب

على كل مكلف أن يكون من أمر عقيدته ودينه، على بصيرة، وعلى هدى، وعلى نور وبرهان.

وصدق الله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، والبون شاسع والفرق بعيد، بين مَن كان بصيراً بأمر إسلامه ودينه واستقامته على الحق والصراط المستقيم، وبين مَن كان حيراناً، أعمى متدهوراً، لا يدري ولا يدري أنه لا يدري.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ﴾ [الرعد: ١٦]، لا يستوي مَن كان مؤمناً تقيّاً ومَن كان مجرماً شقيّاً.

والتبصر والبصيرة في لغة العرب: هو التأمل والتعرف، والعلم والخبرة، قال في «المصباح المنير»: وهو ذو بصر وبصيرة؛ أي: عِلم وخبرة[1].

وقال في «القاموس»: والتبصر والتأمل والتعرف، واستبصر استبان، وبصره تبصيراً: عرفه وأوضحه[2]. اهـ.

ويشهد لما تقدم قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]؛ أي: بينة واضحة، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩]؛ أي: آية واضحة بينة جلية.

ومن أجل التبصر والبصيرة، مصير الخلق إلى فريقين: سعداء وأشقياء؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير.

قال تعالى في مصير الكافرين: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [هود: ٢١، ٢٢]،

---

(١) المصباح المنير (١/ ٥٠).

(٢) القاموس المحيط (١/ ٣٥١).

ثم قال تعالى في مصير المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود: ٢٣، ٢٤].

فالتبصر في دين الإسلام والعمل بذلك، هو السعادة الدنيوية والأخروية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وإذا لم تعمل الأمة الإسلامية، بالقرآن الذي هو بصائرها ونورها وهداها ورحمتها وشفاؤها، وعزها وسعادتها، فقل: على الحياة العفاء، وعلى أمة الإسلام السلام.

وإلى أهل القرآن والعاملين به ثلاث آيات، من آيات الذكر الحكيم:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

وقال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الجاثية: ٢٠].

❁ ❁ ❁

القرآن شفاء

هذا هو الثالث والثلاثون من أسماء القرآن، وقد سمَّاه الله بهذا الاسم في ثلاثة مواضع، الله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن بهذا الاسم ووصفه بهذه الصفة اللائقة بالقرآن.

القرآن الكريم هو بصائر ورحمة وهدى وشفاء؛ فهو شفاءٌ من الكفر والشرك والنفاق، وشفاء من الجهل والغرور، وشفاء من الخلاعة والمجون وفساد الأخلاق.

وشفاء من الظلم والجور، وشفاء من الفسوق والفجور، وشفاء من البدع والمعاصي، وشفاء من الحيرة والشك.

وشفاء من الشهوات والشبهات، وشفاء من الخرافات والخزعبلات، وشفاء من الشطحات والشطط، وشفاء من الوسوسة والقلق.

وشفاء من الغل والحقد والحسد، وشفاء من الجرائم وجميع المحرمات، وشفاء من الجاهلية الجهلاء والهمجية العمياء.

القرآن المجيد علاج نافع من جاهلية هذا العصر، جاهلية القرن العشرين، ويقيناً لا يعتريه شك، بأن جاهلية هذا العصر أعظم كفراً وزندقة وإلحاداً وخلاعة ومجوناً واستهتاراً من جاهلية أبي جهل ومَن كان على شاكلته.

القرآن الكريم شفاء من كل محنة وفتنة، وشفاء من أمراض القلوب

والأبدان، وشفاء من الأفكار الخبيثة، والمذاهب الفاسدة الملعونة؛ كالمذهب الماركسي الشيوعي الاشتراكي، الذي تفشى شره وسرى سمه، في هذا الزمن في كثير من البلاد الإسلامية.

ولا شك بأن النحلة الشيوعية والمذهب الشيوعي محادة لله ولرسوله ولعباد الله المؤمنين، ويأتي إن شاء الله في مبحث مستقل عدد الآيات التي فيها الرد على الشيوعية والاشتراكية.

وما من بدعة كانت فدامت، أو ستكون، سواء كانت البدعة اعتقادية أو قولية أو فعلية، إلا ويوجد في كتاب الله ما يبطلها، ويكشف عن عورها وفسادها.

نعم؛ كما تقدم القرآن رحمة وهدى وشفاء؛ شفاء من كل ما يعود على الفرد والمجتمع بالضرر، ومما يعود على المجتمعات البشرية بالضرر في دنياها وأُخراها، هو الحكم بالقوانين الوضعية، والنظم الفرنسية، والعادات الرومانية المخالفة للشريعة الإسلامية.

وما من شكٍّ بأن ذلك ضلال مبين، وظلم وفساد، وربك للظالمين بالمرصاد، الحكم بغير ما أنزل الله زندقة وإلحاد وظلم للعباد، فلا تُحفظ الحقوق ولا يسود الأمن في العباد والبلاد، إلا بتطبيق الأحكام العادلة أحكام شريعة الإسلام، فالحكم بغير ما أنزل الله داء عضال ومرض فتاك، وليس له دواء ولا شفاء إلا آيات القرآن الحكيم، فهو الدواء النافع الذي يحصل به كمال الشفاء بإذن الله تعالى.

وقد استشفى بهذا الشفاء واهتدى بهذا الهدى، صحابة الرسول ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، فعملوا بكتاب الله وسُنَّة رسوله، فكانت لهم الدنيا عزّاً وسيادةً، وكانت لهم الآخرة فوزاً وسعادة، الجزاء من جنس العمل، والله رؤوف بالعباد.

وإلى طلاب الحق والحقيقة، إلى طلاب العلم وفقنا الله وإياهم لما يحبه الله ويرضاه، إلى المنافحين والمناضلين عن عقيدة الإسلام ودين الإسلام، إليهم جميعاً ثلاث آيات من آيات الذكر الحكيم، التي هي الرحمة والهدى والشفاء للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

ورُوي عنه عليه السلام، أنه قال: «**فاتحة الكتاب شفاء من كل داء**»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [الإسراء: ٨١، ٨٢].

و﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾، هي لبيان الجنس؛ فجميع القرآن شفاء، وليست للتبعيض، هذا قول الجماهير من علماء التفسير.

نعم؛ جميع القرآن شفاء، ولكنه لمن آمن بآياته وعمل بأحكامه، كما تقدم في الآيات صريحاً، وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ

---

(١) رَوَاهُ الدَّارِمِيّ (٣٤١٣)، وَالْبَيْهَقِيّ فِي شعب الْإِيمَان (٢١٥٤)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٩٥١).

يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

فلا بدَّ من الإيمان بالقرآن، ولا بد من العمل بالقرآن، عقيدةً وعبادةً وأحكاماً، هذا هو الذي به الهدى والشفاء، والتوفيق بيد الله، والهداية من الله.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ، فاقبلوا مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللهِ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ، لَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمَ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، فَاتْلُوهُ فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ حرف، وَلَكِنْ أَلِف حرف، وَلَام حرف، وَمِيم حرف**»[1]. وفي لفظ: «**فتعلموا من مأدبته ما استطعتم**». رواه الحاكم، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وابن مردويه، وأخرجه الدارمي في «سننه» عن ابن مسعود من قوله[2].

اللَّهُمَّ اهدنا بالهدى، واشفنا بالشفاء، وزيِّنَّا بالتقوى، واغفر لنا في الآخرة، والأولى، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٠٠٨)، والحاكم (٢٠٤٠)، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٦٨٤٢).

(٢) سنن الدارمي (٣٣٥٨).

القرآن نبأ عظيم

القرآن نبأ عظيم، عظيم وعظيم؛ عظيم في أسلوبه، وعظيم في روعته، وعظيم في معناه، وعظيم في جمال تركيبه، وعظيم في حكمته، وعظيم في وعده ووعيده، وعظيم في ترغيبه وترهيبه، وعظيم في أحكامه، وعظيم في أمره ونهيه، وعظيم في أخباره، وأقاصيصه وأمثاله.

والله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: نبأً عظيماً في موضعين: في سورة ص، وفي سورة النبأ، لا مرية ولا شك، بأن القرآن نبأ عظيم، عظيم فمنذ إيجاد البشرية وتكوينها ما رأت ولا سمعت بمثل هذا القرآن، بمثل ما أنزل الله على محمد ﷺ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١].

وحكمة الله تقتضي ذلك؛ لأنه الكتاب الذي جاء مصدقاً ومهيمناً على كل كتاب قبله، ولأنه آخر الكتب السماوية.

ولأنه نزل تشريعاً عامّاً لكل أمة ولكل جيل من أجيال العالم، وناسخاً لكل ما خالفه من الكتب قبله، فاقتضت حكمة الله أن يكون نبأ عظيماً، لا كان ولا يكون مثله، أحسن كتب الله أحكاماً وأعدلها نظاماً، كتاب كريم ونبأ عظيم، جاء بالصلاح والإصلاح بالخير والسعادة.

جاء بما فيه خير البشرية في دنياها وأُخراها، جاء بما يوافق العقول الصحيحة والفطر المستقيمة، جاء بالأخبار والأنباء العجيبة، ﴿وَلَقَدْ

جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾ [القمر: ٤، ٥].

ينبئ القرآن عن الله وعظمته وكبريائه، ينبئ عن صفات الله وأسمائه، ينبئ القرآن عن وجوب توحيد الله وإفراده بالعبادة، ينبئ عن أحكام العبادات، وعن أحكام المعاملات، ينبئ عن كل ما تحتاجه المجموعة البشرية، في دينها ودنياها.

ينبئ القرآن عن الأمم التي تقادم عهدها وما جرى عليها من عذاب ونكال، بسبب التكذيب والفسق والطغيان، ينبئ عن البعث والنشور والحساب والعقاب، والعذاب والنعيم، ينبئ النبأ العظيم عن كل شيء، من البداية إلى النهاية، من بداية خلق هذا الكون، حتى يستقر أهل الجنة في النعيم، وأهل النار في الجحيم.

وإلى المسلمين عموماً، وإلى طلاب العلم خصوصاً، إلى الذين حملوا راية الإسلام خفاقة حتى تنتصر، إلى الذين يصلحون ما أفسد الناس، إليهم جميعاً قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ [ص: ٦٧ ـ ٧٠].

وقال جَلَّ وَعَلَا: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [النبأ: ١ ـ ٥].

في هذه الآيات العظيمة، ردع وزجر، وتهديد وتخويف وإرهاب، وذلك لمن لم يؤمن بالقرآن، ولم يعمل بالقرآن، سواء كانوا كافرين أو منافقين، أو مدعين للإسلام، ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال.

فلا بدَّ من الإيمان والتصديق والعمل بكل ما أخبر به القرآن، في

حال الحياة وبعد الممات، وكل مخلوق لم يعمل بكتاب الله وسُنَّة رسوله، سيعلم، سيعلم مصيره، مصير الخاسرين الأشقياء: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾ [مريم: ٧٥]، ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر: ٣]، فسوف يعلمون من خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

(فائدة) حرف ﴿كَلَّآ﴾ مكية حيث الطغاة والمتمردين من قريش، وحرف ﴿كَلَّآ﴾ لم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن، من سورة مريم إلى سورة الهمزة، وهي للردع والزجر، وذكرها الله في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعاً.

قال الراجز:

وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن ... ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلا[1]

❁ ❁ ❁

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٦٩).

القرآن فرقان

هذا هو الخامس والثلاثون من أسماء القرآن، وفي أربع آيات سمَّى الله القرآن: فرقاناً؛ لأنه جَلَّ شأنه فرّق به بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين الغي والرشاد، وبين الحلال والحرام، وبين الخير والشر، وبين السعادة والشقاوة، وبين المؤمنين والكافرين، وبين الصادقين والكاذبين، وبين العادلين والظالمين، بأدلة القرآن وحججه وبراهينه، فرّق الله بين هذه الأشياء وغيرها.

مما يحتاجه المكلفون في حياتهم الفردية والاجتماعية: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢]، إعذارٌ من الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥].

ببراهين القرآن أقام الله الحجة وأوضح المحجة: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥].

فالمنهج قويم، والصراط مستقيم، والحق أبلج، والباطل حالك الظلام، وطريقة معوج، ولله الأمر من قبل ومن بعد، والعباد عما أريد بهم وعما خُلقوا له معرضون، معرضون عما به سعادتهم دينا وأخرى، معرضون ظاهراً وباطناً، حقيقةً ومعنى، أكثر خلق الله في أرض الله غلبت عليهم الطبائع البشرية، فعصوا الرحمٰن وأطاعوا الشيطان، أكثرهم عياذاً بالله يرون الحق باطلاً، والباطل حقّاً، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً.

وصـــــدق الله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣]، وعياذاً بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلال بعد الهدى، ومن الشك بعد اليقين، ومن الكفر بعد الإيمان.

اللَّهُمَّ أرنا الحق حقّاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل.

وما من شكٍّ بأن القرآن الكريم والنبراس العظيم، فرَّق بين الحق والباطل وبين الغي والرشاد، وبين الهدى والضلال، والحق واضح، والحق جلي، والحق أحق أن يُتبع، والحق يجب العمل به، وماذا بعد الحق إلا الضلال، والحق يزهق الباطل: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١].

والمصيبة عظمى والجهل مخيم على سماء الدنيا إلا ما شاء الله، والغرور قد بلغ منتهاه، أكثر الناس للحق كارهون، وصدق الله: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف: ٧٨].

والله جَلَّ شأنه حق، والقرآن حق، والرسول وسُنَّته حق، وكل ما جاء عن الله حق، وكما سمَّى الله كتابه: فرقاناً، سمَّى تعالى التوراة: فرقاناً، قال جَلَّ ذكره: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨]، ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة: ٥٣].

وحيث أن القرآن هو الحجة والبيان، والهدى والفرقان، فإلى أهل الحق دعاة الحق، والعاملين بالحق، أربع آيات، ونسأله تعالى صلاح الأعمال والنيات:

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران: ١ ـ ٤].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

وقال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٥، ١٠٦].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره «زاد المسير» في علم التفسير: قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، قرأ علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وسعد بن أبي وقاص، وأُبي بن كعب، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو رزين، ومجاهد، والشعبي، وقتادة والأعرج، وأبو رجاء، وابن محيصن: ﴿فَرَّقْنَاهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦] بالتشديد، وقرأ الجمهور بالتخفيف؛ فأما قراءة التخفيف ففي معناها ثلاثة أقوال:

أحدها: بيّنّا حلاله وحرامه، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثاني: فرقنا فيه بين الحق والباطل، قاله الحسن.

والثالث: أحكمناه وفصلناه؛ كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٤]، قال الفراء: وأما المشددة، فمعناها: أنه أُنزل متفرقاً، ولم ينزل جملة واحدة[1].

وقال الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»: قَرَأَ عَلِيٌّ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ

(١) زاد المسير في علم التفسير (٣/٥٨).

مَسْعُودٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَقَتَادَةُ وَأَبُو رَجَاءٍ وَالشَّعْبِيُّ ﴿فَرَّقْناهُ﴾ بِالتَّشْدِيدِ؛ أَيْ: أَنْزَلْنَاهُ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ، لَا جُمْلَةً وَاحِدَةً. وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ ﴿فَرَقْنَهُ﴾ بِالتَّخْفِيفِ؛ أَيْ: بَيَّنَّاهُ وَأَوْضَحْنَاهُ، وَفَرَقْنَا فِيهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. اهـ كلام الشوكاني[1].

وختاماً نقول: اللَّهُمَّ اهدنا ولا تضلنا، اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل القرآن الذين هم خاصتك وأولياؤك يا ربَّ العالمين، اللَّهُمَّ اجعلنا ممن يحل حلاله، ويحرم حرامه ويعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه، ويتلوه حق تلاوته.

اللَّهُمَّ اجعلنا ممن يقيم حروفه وحدوده، ولا تجعلنا ممن يقيم حروفه ويضيع حدوده، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

❁ ❁ ❁

(١) فتح القدير (٣/ ٣١٣).

القرآن مجيد

الله جَلَّ شأنه وصف القرآن بهذه الصفة، وسمَّاه بهذا الاسم في آيتين من كتابه، فالقرآن العزيز مجيد؛ أي: شريف وكريم وعظيم، ولا غرابة؛ لأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

ولأنه مصدق لما تقدمه من الكتب السماوية ومهيمن عليها، ولأنه نزل تشريعاً عامّاً لكل أمة ولكل جيل من أجيال العالم، ولأنه قد اشتمل على المعاني الجليلة، والأسرار البديعة، والأحكام الحكيمة.

ولأنه جاء لإسعاد البشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور، البشرية الحائرة، البشرية العاثرة، البشرية المتدهورة، ليس لها منقذ ولا مغيث ومسعد إلا القرآن المجيد، البشرية التي توغلت فيها الأمراض الفتاكة، البشرية الضائعة، البشرية الضالة، ليس لها منقذ إلا كتاب الله وسُنَّة رسوله، وقريباً يأتي تعريف المجد لغة.

ومن عظمة القرآن ومجده أنه جاء بما يوافق العقول الصحيحة والفطر المستقيمة، ولأنه أيضاً جاء بالصلاح والإصلاح، وجاء بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وجاء بإقامة العدل في الأرض، ونفي الفساد، جاء القرآن المجيد بكل خير، ونهى عن كل شر، جاء بالأحكام الحكيمة والأمثال العجيبة.

جاء بالوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، وكل ذلك وغيره من

شرف القرآن وعظمته ومجده وبركته، وبلاغَةُ القرآن وفصاحتُهُ، وروعَتُهُ وبهاؤهُ وجمالُ تركيبه وحُسْنُ أسلوبه، وإعجازُهُ لأهل اللسان والبيان، في كل زمان ومكان، كل ذلك برهان على مجد القرآن، وشرفه وعظمته.

ومما يدل على مجد القرآن أن الله جَلَّ شأنه، صانه وحفظه من كيد الكائدين، وعبث العابثين، والحاقدين على الإسلام والمسلمين، حفظه الله من الزيادة والنقصان، ومن التغيير والتبديل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

ومما يدل على مجد القرآن أن الله تعالى سمَّاه: هدىً، وسمَّاه: شفاءً، وسمَّاه: رحمةً، وسمَّاه: بصائِرَ، وسمَّاه: مباركاً.

نعم؛ كما تقدم المجد في لغة العرب: هو العز والشرف، والكرم والرفعة والعظمة، قال صاحب «القاموس»: المجد: نيل الشرف والكرمُ أو لا يكون إلا بالآباء أو كرم الآباء خاصة، مجد كنصر وكرم، مجداً ومجادة، فهو ماجد ومجيد.

وأمجده ومجده: عظَّمه وأثنى عليه، والعطاء كثرة، وتماجد ذكر مجده، والمجيد: الرفيع العالي الكريم والشريف الفعال، والماجد: الكثير والحسن الخلق السمح واسم، واستمجد المرخ والعفار استكثرا من النار[1]. اهـ.

وقال في «المصباح المنير»: المجد: العز والشرف، ورجلٌ ماجد: كريم شريف[2]. اهـ.

وقال في «مختار الصحاح»: مجد، المجد: الكرم، وقد مجد الرجل بالضم مجداً، فهو مجيد وماجد، وفي المثل: في كل شجر نار

---

(١) القاموس المحيط (١/ ٣١٨).
(٢) المصباح المنير (٢/ ٥٦٤).

واستمجد المرخ والعفار؛ أي: استكثرا منها[١].اهـ.

وحيث كان القرآن مجيداً وكريماً وعظيماً، ومُنزّلاً من عند الله، فالإيمان به واجب، والعمل بأحكامه وتشريعاته ونظامه متعين، ولازم ولا بد منه، لا بد منه لكل مسلم يرجو ثواب الله ويخشى عقابه.

وإذا لم يعمل المسلمون خاصةً بكتاب الله وسُنَّة رسوله، فالعاقبة وخيمة، والعذاب أليم، أما الذي لا يؤمن بالقرآن ولا يعمل به، من الكافرين والمشركين والزنادقة والملحدين، فهم في الدنيا في شقاء وعناء، وفي الآخرة مصيرهم شر مصير، مصيرهم دار السعير، وبئس المصير.

نعم؛ نقول كما قال ربنا وخالقنا ومعبودنا: القرآن مجيد، وإلى أهل القرآن، الدليل والبرهان:

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾ [ق: ١، ٢].

فالله جَلَّ شأنه أقسم بالقرآن المجيد، وهذا من الأدلة الدالة، على مجد القرآن وعظمته.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج: ١٢ ـ ٢٢].

فالله تعالى سمَّى نفسه: مجيداً في موضعين من القرآن: في سورة هود، وفي سورة البروج، وسمَّى القرآن: مجيداً في موضعين كما هنا، والأمر أمرُ الله، والخلق خلقُ الله، يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد، لا إلٰه غيره، ولا ربَّ سواه.

---

(١) مختار الصحاح (ص٢٩٠).

القرآن روح

الله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: روحاً في آيتين من كتابه كما في سورة غافر وسورة الشورى، وهذا هو السابع والثلاثون من أسماء القرآن، قال ابن القيم: وتطلق الروح على القرآن الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وسمَّى ذلك: روحاً لما يحصل به من الحياة النافعة، فإن الحياة بدونه لا تنفع صاحبها البتة[١]. اهـ.

والروح في لغة العرب: هي الحياة، والروح هي النفس على قول أكثر العلماء، وبإعانة الله يأتي ذلك قريباً؛ أي: تعريف الروح لغة.

فالقرآن الكريم روح تحي به القلوب الميتة، كما تحي الأرض بوابل السماء، تحي بالقرآن القلوب المجدبة، فتستنير بعد ظلامها، وتستقيم بعد نكستها وزيغها.

فكما أن الجسد لا حياة له، ولا بقاء إلا بالروح، فكذا القلب والنفس والبدن، لا حياة طيبة ولا حياة سعيدة، إلا بالإيمان بالقرآن، والعمل به: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، فالجهل موت قبل الموت.

والقرآن وسُنَّة الرسول حياة من الجهل، وحياة من الكفر، وحياة

---

(١) الروح، لابن القيم الجوزية (ص٢١٧).

من الشرك، وحياة من النفاق، وحياة من البدع، وحياة من جميع الذنوب والمعاصي، وحياة من الشك والريب، وحياة من الشهوات والشبهات.

والحياة الحقيقية هي حياة القلوب، لا حياة الأبدان، حياة القلوب بالإيمان والتقوى، والأعمال الصالحة.

ومَا من شكٍّ بأن القرآن روحٌ وحياة للإنسانية أجمع، الإنسانية التي قتلها الغرور وأماتها الجهل، ونخر في أعضائها السوس، وتسربت إليها الأمراض الفتاكة، فانتكست وتعثرت وتدهورت، لا صحة لها، ولا حياة طيبة إلا بالقرآن العزيز، الذي سمَّاه الله: روحاً، روحاً حية نابضة، وسمَّاه: شفاء، وسمَّاه: هدى، وسمَّاه: رحمة، فحياة الأبدان: الطعام والشراب، وحياة الأرواح والقلوب: القرآن، ويا حبذا تيك الحياة، الحياة الطيبة المباركة الميمونة السعيدة.

ولا والله هنا ولا هناك حياة سعيدة في الدنيا والآخرة، إلا بالعمل في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، سرّاً وعلناً ظاهراً وباطناً، عقيدةً وعبادةً، وأحكاماً، ونظاماً، وأخلاقاً، اجتماعاً وانفراداً.

وصدق مَن قال ـ وهو الحسن البصري رَحِمَهُ الله عليه ـ: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال[1]. اهـ.

والأسف شديد، والمصيبة عظمى، أكثر المنتسبين للإسلام، في هذا الزمن والمعدودين من أهله، لا يعملون بالقرآن، والقرآن خير لهم لو كانوا يعلمون، والتوفيق بيد الله، والهداية من الله: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

---

(١) شعب الإيمان (٦٥).

اللَّهُمَّ بأسمائك الحسنى، وصفاتك العليا اهدنا ولا تضلنا، اللَّهُمَّ اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين، سلماً لأوليائك، وعدوّاً لأعدائك، نحب بحبك، ونعادي بعداوتك من خالف أمرك.

نعم؛ كما أشرنا سابقاً القرآن روح، وإلى العاملين بالقرآن والداعين إلى ذلك، إلى أهل القرآن، الدليل والبرهان، إليهم جميعاً الحجة والبيان، وعلى الله التكلان:

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٤ ـ ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

والله جَلَّ شأنه كما سمَّى القرآن: روحاً، سمَّى تعالى جبرائيل: روحاً، في مواضع كثيرة من القرآن.

قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥].

وسمَّى تعالى عيسى: روحاً: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧١].

فعيسى عليه السلام، من جملة الأرواح التي خلقها الله بقوله تعالى: كوني فكانت؛ لأن جبريل بإذن الله نفخ في جيب درع مريم، فاشتملت حاملاً بعيسى.

وقال في «مختار الصحاح»: (روح) يُذكر ويُؤنث والجمع:

الأرواح، ويسمَّى القرآن، وعيسى وجبرائيل عليه السلام: روحاً، والنسبة إلى الملائكة والجن رُوحاني، بضم الراء والجمع روحانيون[١]. اهـ.

وقال في «القاموس»: (الروح) بالضم ما به حياة الأنفس ويُؤنث، والقرآن والوحي وجبريل وعيسى عليه السلام، والنفخ وأمر النبوة، وحكم الله تعالى وأمره[٢]. اهـ.

وبعد كتابة هذه الأحرف مَنَّ اللهُ بالعثور على آية في أول سورة النحل، ويؤخذ من عمومها دليل على أن الله سمَّى القرآن: روحاً في ثلاث آيات، وهي: قوله تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل: ١، ٢].

قال ابن كثير في كتابه «التفسير»: يقول تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ [النحل: ٢]؛ أي: الوحي كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢][٣]. اهـ.

وقال القرطبي: وسمَّاه: روحاً؛ لأن فيه حياة من موت الجهل، وجعله من أمره بمعنى أنزله كما شاء على من يشاء[٤]. اهـ.

وقال ابن الجوزي، على آية النحل: وفي المراد بالروح ستة أقوال: **أحدها**: الوحي، **والثاني**: النبوة، **الثالث**: تنزل الملائكة بأمره، **الرابع**: أنه الرحمة، **الخامس**: أن أرواح الخلق لا ينزل مَلَك إلا ومعه روح، **السادس**: أنه القرآن قاله ابن زيد، فعلى هذا سمَّاه: روحاً؛ لأن

---

(١) مختار الصحاح (ص١٣١).
(٢) القاموس المحيط (١/ ٢٢٠).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٥٦).
(٤) تفسير القرطبي (١٦/ ٥٥).

الدين يحيا به، كما أن الروح تُحيي البدن[١]. اهـ. كلامه.

ولا شك ولا مرية بأن الدين الإسلامي الذي قاعدته ومصدره كتاب الله وسُنَّة رسوله حياة، حياة سعيدة، حياة مباركة.

وقد خاطب الله عباده خطاباً ما أحلاه وما أعذبه، خاطبهم باسم الإيمان وأمرهم بالاستجابة له، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤].

اللَّهُمَّ أحيي قلوبنا بالقرآن، وزكِّ أعمالنا بالإيمان.

❁ ❁ ❁

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٥٠).

القرآن بلاغ

والإبلاغ والتبليغ في لغة العرب: هو الإيصال والكفاية والإعلام.

قال في «القاموس»: والبلاغ كسحاب الكفاية، والاسم من الإبلاغ والتبليغ وهما الإيصال[١].

وقال في «مختار الصحاح»: والإبلاغ والتبليغ: الإيصال، والاسم منه: البلاغ، والبلاغ أيضاً الكفاية[٢].

وقال في «المصباح المنير»: وفي هذا بلاغ وبلغة وتبلغ؛ أي: كفاية[٣]. اهـ.

وقال الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن»: وسمَّاه: بلاغاً، فقال: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ثم قال: وأما تسميته بلاغاً؛ فلأنه كان في الإعلام والإبلاغ وأداء الرسالة[٤]. اهـ.

نعم؛ نقول كما قال الله جَلَّ شأنه: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]؛ أي: إعلام وتبليغ، وإعذار وإنذار لكل مكلف من الإنس والجن، في كل زمان ومكان؛ كقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]؛ أي: كل من بلغه القرآن، فهو مطالب بالعمل به، وإن لم يفعل فالويل له: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢].

---

(١) القاموس المحيط (١/ ٧٨٠).
(٢) مختار الصحاح (ص٣٩).
(٣) المصباح المنير (١/ ٦١).
(٤) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٨٠).

وأيضاً بنذارات القرآن، وبلاغاته البليغة، قامت حجة الله وتمركزت على العباد، فلا كلام يسمع ولا عذر مقبول، بعد البيان البيِّن، وبعد الإعذار والإنذار، وبعد البلاغ الواضح الجلي، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وقال جلَّ شأنه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤].

فالقرآن الكريم قد اشتمل على المعاني الجليلة، والأسرار البديعة، والعظات الحكيمة، قال القرطبي في «تفسيره»: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]؛ أي: هذا الذي أنزلنا إليك بلاغ؛ أي: تبليغ وعظة: ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢]؛ أي: ليخوفوا عقاب الله ﷻ[1]. اهـ.

نعم؛ قد اشتمل القرآن العزيز على الحكم العظيمة، والأحكام الحكيمة، والأخبار والأقاصيص والأمثال الرائعة، واشتمل على الأوامر والنواهي، وعلى الإنذار والتبشير، وعلى الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب.

واشتمل القرآن أيضاً على أهم المهمات وأعظم الواجبات، وهو توحيد الله وإفراده بالعبادة بجميع أنواعها، فلا شرك ولا تنديد، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٣٨٥).

فالزعيم والرئيس إذا صدرت أوامره بمعصيةِ اللهِ، فلا سمع ولا طاعة، ولا احترام ولا كرامة؛ لأن طاعة المخلوق في معصية الخالق، عبادة للمخلوق، وما أكثر ذلك في هذا الزمن، أصلح الله أحوال المسلمين وبصرهم بدينهم القويم.

واشتمل القرآن أيضاً على وجوب الحكم بما أنزل الله، وإبعاد ونبذ جميع الأحكام الطاغوتية، التي ما أنزل الله بها من سلطان، واشتمل القرآن على ما به صلاح الإنسانية أجمع في كل زمان ومكان.

واشتمل على ذكر المبدأ والمعاد حتى يستقر أهل الجنة في النعيم، وأهل النار في الجحيم، وكل ما تقدم بلاغ وتبليغ، وفي ثلاث آيات (٣) سمَّى الله القرآن المجيد: بلاغاً:

قال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٧ ـ ٥٢].

وهذا هو الثامن والثلاثون من أسماء القرآن، نسأل الله الإعانة على الكمال والتمام، ونسأله تعالى حسن النية في القول والعمل، وصلّى الله وسلّم على من أُرسل رحمة للعالمين وحجة على الكافرين، سيدنا ونبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وفي ثلاث آيات سمَّى الله القرآن: بلاغاً؛ في سورة إبراهيم، وفي آخر سورة الأنبياء، وفي آخر سورة الأحقاف.

قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٦].

قال ابن كثير في «تفسيره»: أي: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد ﷺ لبلاغاً لنفعه وكفاية لقوم عابدين، وهم الذين عبدوا الله بما شرعه وأحبه ورضيه.

وقال أيضاً على آية سورة إبراهيم: يقول الله تعالى: هذا القرآن بلاغ للناس، كقوله: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]؛ أي: هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن[1].اهـ.

وقال الشوكاني في «فتح القدير»: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، قال: القرآن، ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، قال: القرآن[2].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٢٣).

(٢) فتح القدير (٣/ ١٤٤).

القرآن حبل الله

والحبل لغة هو: الذي يتوصل به إلى المقصود، وفي آية واحدة سمَّى الله القرآن: حبلاً، وتعظيماً وتفخيماً للقرآن أضافه تعالى إلى نفسه، فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والمراد بحبل الله: هو القرآن على قول أكثر علماء التفسير، وبه قال ابن مسعود رضي الله عنه، وقتادة والضحاك والسدى، وغيرهم[١].

فالله تعالى أمر بالاعتصام بالقرآن، والمراد من ذلك: هو الإيمان والعمل، فلا بد من الإيمان بالقرآن، ولا بد من العمل بالقرآن.

والعصمة لغة: الحفظ والمنع.

قال في «المصباح المنير»: (عصمه) الله من المكروه يعصمه من باب ضرب: حفظه ووقاه، واعتصمت بالله: امتنعت به[٢].

وقال في «مختار الصحاح»: (عصم): العصمة: المنع، يقال: عصمه الطعام؛ أي: منعه من الجوع، والعصمة أيضاً: الحفظ، وقد عصمه يعصمه بالكسر عصمه فانعصم، واعتصم بالله؛ أي: امتنع بلطفه من المعصية[٣]. اهـ.

وإذا أردنا نحن المسلمون الفخر والعز والنصر في الدنيا، والفوز والسعادة في الآخرة، فلا بد من الاعتصام بالله، ولا بد من الاعتصام

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٣١١). (٢) المصباح المنير (٢/ ٤١٤).
(٣) مختار الصحاح (ص٢١١).

بكتاب الله، وهذا لا يحصل إلا بالاعتماد على الله والتوكل عليه، والتفويض لأمره والعمل بدين الإسلام كله ظاهراً وباطناً سرّاً وعلناً، عقيدةً وأحكاماً وفي كل شيء.

وفي تسع آيات أمر الله تعالى عباده أن يعتصموا به، والأمر يقتضي الوجوب.

قال تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١]، ومن أراد الفوز والنعيم المقيم، فلا بد من الرجوع والتوبة والإنابة إلى الله تعالى، ولا بد من إصلاح العمل، ولا بد من إخلاص الدين لله.

ولا بد من الاعتصام بالله، ولا بد من الإيمان بالله.

وروى ابن جرير وابن أبي شيبة من حديث أبي سعيد، عنه عليه السلام، أنه قال: «**كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض**»[1].

فقاعدة ما تقدم وطرازه البراق: هو العمل بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، العمل بهما في كل شيء؛ عقيدةً وعبادةً وأحكاماً وأخلاقاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦].

واليوم وبعد اليوم إذا أراد المسلمون المجد والمفاخر، والراحة

---

(١) أخرجه أحمد (١١١٠٤)، وابن أبي شيبة (٣٠٠٨١)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٠٢٤).

والطمأنينة والحياة الطيبة والعيش الرغد، والتأييد والعز والنصر، والسيادة والقيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة، فعليهم أن يعملوا بكتاب ربهم وسُنَّة نبيِّهم محمد ﷺ، هذا هو عنوان الاعتصام بالله وبحبل الله، وهذا هو الذي به ينتصر المسلمون، على اليهود وغير اليهود، من أعداء الإسلام والمسلمين.

وكل دعاية وإن ارتفع صوتها، وكل محاولة بذلت لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم فهي فاشلة، والواقع شاهد بهذا، فلا بد من اتفاق المسلمين في كل زمان ومكان، على العقيدة الصحيحة، والإسلام الصحيح، هذا هو الذي به الاتفاق والوفاق، التكاتف والتساند بين المسلمين.

هذا هو الذي به تتلاشى الأحقاد والضغائن، وتزول به العداوة، هذا هو الذي به الأخوة الإيمانية والرابطة الإسلامية، هذا هو الذي به الاعتصام بحبل الله، هذا هو الذي به تتآلف القلوب على التقوى.

هذا هو منقذ البشرية من الوقوع في هوة مظلمة سحيقة، الإيمان والإسلام الصحيح هو الذي به عز المسلمين، ونصرهم في الدنيا وسعادتهم في الآخرة، وعنوان ذلك هو الاعتصام بالله، والاعتصام بحبل الله، هذا هو المنقذ من كل شر ومحنة وفتنة وهلاك.

العمل بكتاب الله وسُنَّة رسوله، هو منقذ البشرية من شرورها المستطيرة، هذا هو منقذ صحابة الرسول والتابعين لهم بإحسان من الوقوع في حفرة من نار السعير.

وإلى الدعاة والمرشدين والمحبين، إليهم جميعاً البيان والبرهان والامتنان من الله تعالى:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ

يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠٣].

ولنزول هذه الآيات الأربع سبب، هذا السبب: هو العداوة والحقد والمكر والخداع والحسد من اليهود، ودائماً وأبداً اليهودية الممقوتة اللعينة، أهل مكر وخداع، وأهل فساد وإفساد، ومتصفون بالعداوة لله ولرسله، وأنبيائه وعباده المؤمنين والمسلمين، في كل زمان وفي كل مكان.

فمن معائب اليهود ومخازيهم وغرورهم وغطرستهم، وقبيح قولهم أنهم قالوا: إن الله فقير، وقالوا: يد الله مغلولة، غُلت أيديهم ولُعنوا بما قالوا.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران: ١٨١].

ويأتي إن شاء الله عدد الآيات التي فيها ذم اليهود وعيبهم، وبيان كفرهم وزندقتهم وإلحادهم.

أما سبب نزول الآيات الأربع، فهو ما أخرجه محمد بن إسحاق في السيرة، وابن جرير في التفسير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن زيد بن أسلم، قال: مرشاس بن قيس، وكان شيخاً قد عسَا في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الطعن على المسلمين، شديد الحسد لهم

على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من إلفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار.

فأمر فتى شاباً معه من يهود، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم ذكِّرهم يوم بعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الأشعار، وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب، أوس بن قيظي أحد بني حارثة من الأوس، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتقاولا.

ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها والله الآن جذعة، وغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، السلاح السلاح، موعدكم الظاهرة والظاهرة الحرة، فخرجوا إليها وانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال: «**يا معشر المسلمين، اللهَ اللهَ أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألّف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً**»، فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوهم لهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا، وعانق الرجال

بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ، سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله مرشاس بن قيس.

قلتُ: وما أشبه الليلة بالبارحة، فكما أن صحابة الرسول في المدينة لقوا من اليهود، العناء والشقاق والكيد والمكر والخديعة، ليتصدع الصف المسلم؛ بسبب البلبلة والخلاف، ولكن الله سلم، ومرشاس هو يهودي خبيث.

وقد سجل التاريخ خيانات اليهود وطغيانهم ومكرهم، ومن زمن موسى وهارون، إلى وقتنا الحاضر، فبعدما اغتصبوا فلسطين ضاعفت اليهود جهودها للتفرقة بين المسلمين، وإبعادهم عن عقيدة الإسلام، وزحزحتهم عن دينهم الصحيح، تضليلاً منهم ومكراً: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٤٣].

نعم؛ كما تقدم الله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: حبلاً، وهذا هو التاسع والثلاثون من أسماء القرآن.

وقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والدارمي في سننه، من حديث علي رضي الله عنه، ولفظه للدارمي، قال: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ**». قُلْتُ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: «**كِتَابُ اللهِ، كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ، قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ، أَضَلَّهُ اللهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا:** ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ [الجن: ١].

هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». وبعض علماء الحديث يميل إلى أن هذا الحديث موقوف على علي رضي الله عنه[(١)].

وقال الدارمي في «سننه»: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ ـ هُوَ: الْهَجَرِيُّ ـ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: **«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ، فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللهِ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ، لَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمَ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، فَاتْلُوهُ فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ ۝١﴾، وَلَكِنْ بِأَلِفٍ، وَلَامٍ، وَمِيمٍ»**؛ أي: فألفٌ حرفٌ، ولام حرف، وميم حرف[(٢)].

وقال الدارمي أيضاً: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، أَنْبَأَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: **«إِنَّ هَذَا الصِّرَاطَ مُحْتَضَرٌ، تَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ يُنَادُونَ: يَا عِبَادَ اللهِ، هَذَا الطَّرِيقُ فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ، فَإِنَّ حَبْلَ اللهِ الْقُرْآنُ»**[(٣)].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: نزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره: أنها ستكونُ فتَن، قال: **«فما المخرَجُ منها يا جبريل؟»** قال: **«كتابُ الله، فيه نَبَأُ ما قبلَكم، ونبأ ما هو كائن بعدَكم، وفيه الحُكم بينكم، وهو حبلُ الله المتين، وهو النورُ المبين، وهو الصراطُ المستقيم، وهو الشفاء النافع، عِصْمة لمن تمسّك بهِ، ونجاة لمن اتَّبعه، لا**

---

(١) أخرجه أحمد (٧٠٤)، والترمذي (٢٩٠٦)، والدارمي (٣٣٧٤)، وضعَّفه الألباني.
(٢) سنن الدارمي (٣٣٥٨).
(٣) سنن الدارمي (٣٣٦٠).

يَعْوجُّ فَيُقَوَّم، ولا يزيغ فَيُسْتَعْتَبَ، ولا يَخْلَقُ على كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لا تلتبس به الأهواء، ولا تشْبع منه العلماء.

هو الذي لم تنته الجنّ إذ سمعتْه أنْ قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ من وَلِيَه من جبَّار فحكم بغير ما فيه قَصَمه الله، وَمَن ابتَغَى الهُدى في غيره أضلَّه الله.

مَن قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومَن اتَّبعه هُدِي إلى صراط مستقيم».

ساق هذا الحديث ابن الأثير في جامع الأصول، وقال: أخرجه رزين[(١)].

وما من شكٍّ بأن القرآن رحمة وشفاء وهدى، وهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم.

❁ ❁ ❁

(١) جامع الأصول (٦٢٣٢).

القرآن برهان

وفي آية واحدة سمَّى الله القرآن: برهاناً، والبرهان ما يبرهن به على المطلوب، وهي الحجة الواضحة الصحيحة.

قال في «المصباح المنير»: والبرهان: الحجة، وإيضاحها[١].

وقال في «القاموس»: البرهان: ـ بالضم ـ الحجة، وبرهن عليه: أقام البرهان[٢].

وقال في «مختار الصحاح»: (برهن) البرهان: الحجة، وقد برهن عليه؛ أي: أقام الحجة[٣].اهـ.

ومما يدل على أن المراد بالبرهان الحجة قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤]، ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

نعم؛ الله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: برهاناً، وسمَّاه: نوراً مبيناً.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤].

والمراد بالبرهان في هذه الآية الكريمة: هو القرآن.

---

(١) المصباح المنير (١/ ٤٦).
(٢) القاموس المحيط (١/ ١١٨٠).
(٣) مختار الصحاح (ص٣٤).

نقل ابن جرير في «التفسير» عن مجاهد في قول الله: ﴿بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٤]، قال: حجة[١].

ونقل ابن جرير عن السدى مثله، وقال قتادة: ﴿بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٤]؛ بينة، وكذا قال ابن جريج[٢].

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»: في البرهان ثلاثة أقوال: **أحدها**: أنه الحجة، قاله مجاهد، والسدى، **والثاني**: القرآن، قاله قتادة، **والثالث**: أنه محمد ﷺ، قاله سفيان الثوري[٣].اهـ.

قلت: وعلى قول مَن فسَّر البرهان بالحجة فالحجة تعرف بالقرآن، وكذا من فسر البرهان بمحمد، فمحمد ﷺ حجته وبرهانه هو القرآن، فعلى هذا تكون أقوال علماء التفسير متقاربة، فلا تنافي بينها.

مع العلم أن الذين كتبوا في علوم القرآن وفنونه، خلق كثير وجم غفير، وفي طليعة هذا الركب السعيد الميمون، محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي، في كتابه: «البرهان في علوم القرآن».

والسيوطي في كتابه: «الإتقان في علوم القرآن»، ولم أرَ من عدَّ البرهان من أسماء القرآن، والآية التي تقدم سياقها آية سورة النساء، يتضح بها ويبين أن البرهان من أسماء القرآن، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

فالقرآن برهان؛ أي: حجة على الكافرين والمشركين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٧١١).
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٧١١).
(٣) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٥٠٣).

لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

وقد ذمَّ الله الشرك والمشركين في أكثر من مائة وخمسين آية، وعاب الله الكفر والكافرين وذم ذلك وحذر منه في أكثر من مائتين وأربعين آية، ويأتي ذلك إن شاء الله في مبحث مستقل، في كتاب فرغنا من تبييض أوله.

والقرآن أيضاً: برهان؛ أي: حجة، على من دعا غير الله، وكثير من المنتسبين للإسلام في هذا الزمن يدعون أصحاب القبور، ويدعون الرسول في غيبتهم عنه ويدعونه عند قبره، فمن دعا الله ودعا معه غيره، فهذا من الشرك بعينه.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨].

فلا بدَّ من توحيد الله وإفراده بالعبادة، ولا بد من إخلاص العمل له تعالى.

وأيضاً القرآن: برهان؛ أي: حجة على الظالمين والفاسقين والمجرمين، قال جلَّ شأنه: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [البقرة: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ

أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس: ١٧].

والقرآن أيضاً: برهان؛ أي: حجة على المنافقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥]، وفي أكثر من (٧٠٠) سبعمائة آية، ذم الله النفاق والمنافقين، وقريب من مائتين وخمسين (٢٥٠) آية، ذم الله الظلَم والظالمين.

وفي ثلاثة وخمسين (٥٣) آية، ذم الله الفسق وعاب الفاسقين، وفي سبع وخمسين (٥٧) آية، ذم الله الإجرام، وعاب المجرمين.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الجاثية: ٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٧٦].

وأيضاً القرآن: برهان؛ أي: حجة على المسرفين، والله تقدس اسمه نهى عن الإسراف وحذر منه، وذم المسرفين في عشرين آية، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ٣٢].

والقرآن: برهان الله الساطع، وحجة الله القاطعة، على من كذب بالقرآن، ومن كذب بالقرآن أو كذب بشيء من القرآن، فلا شك في كفره وزندقته وإلحاده، وفي أكثر من مائة آية، توعد الله المكذبين بالقرآن، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنعام: ٦٦، ٦٧].

والقرآن أيضاً: حجة الله على من كذب محمداً، أو كذب بشيء

مما جاء به محمد ﷺ، ومن فعل ذلك فهو أضل من حمار أهله، بل هو كافر بالله العظيم، قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [يونس: ٤١]، وقال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام: ١٤٧].

والقرآن: برهان الله وحجته على المتكبرين والمستكبرين، وفي سبع وخمسين (٥٧) آية ذم الله الكبر والاستكبار، وإبليس اللعين، هو سيد المتكبرين والمستكبرين، قال تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣].

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤]، وقال تعالى في شأن فرعون: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [القصص: ٣٩]، فالكبر والاستكبار هو ميراث إبليس، وميراث فرعون، وميراث الطغاة والمجرمين، في كل زمان وفي كل مكان، وبئس الميراث ميراث الأشقياء الخاسرين.

مما لا شكَّ فيه بأن التكبر على درجات؛ فمنه ما يخرج من دين الإسلام، أو يمنع من الدخول فيه، ومنه ما يكون كبيرة من كبائر الذنوب، عافانا الله والمسلمين من ذلك.

وأيضاً القرآن المجيد: برهان من اللهِ وحجةٌ، على جميع طوائف الضلال؛ كالجهمية والمعتزلة، والقدرية، والجبرية، والمرجئة، والأشاعرة، والرافضة، والخوارج، وكل مبتدع في دين الله ما ليس منه، وهذه المذاهب ذكرناها مع الرد عليها في «عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين».

والقرآن أيضاً: حجة الله على القاديانية، والبهائية.

القاديانية: نسبةً لغلام أحمد القادياني المتنبي الكذاب، ومذهب القاديانية أشرنا إليه سابقاً.

ولكل زمان ومكان بدعه ومنكراته.

والبهائية: نسبةً لرجل اسمه: حسين المازندراني، قام بدعوة إلحادية مخالفة لدين الإسلام؛ لذا أغدقت عليه روسيا بالمال، والصهيونية منحته لقب بهاء الله.

والقرآن الكريم: برهان من الله وحجة على الشيوعية والاشتراكية، والقرآن حجة الله على كل من فعل جريمة، وارتكب محرماً؛ كالزنا واللواط، وشرب المسكرات والمخدرات، وكالسرقة والغش وأكل المال الحرام، وكالمكر والكذب والخيانة، وقول الزور وشهادة الزور، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام.

والقرآن العظيم: حجة على دعاة السفور والخلاعة والمجون وإلقاء جلباب الحياء.

والقرآن: برهان؛ أي: حجة على من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والقرآن أيضاً: حجة الله على من ترك أحكام القرآن والسُّنَّة، وحَكَّمَ بالقوانين الوضعية، التي هي من صنع المخلوق للمخلوق.

والقرآن: برهان؛ أي: حجة على كل من ترك واجباً من واجبات الشريعة الإسلامية؛ كالصلاة والزكاة، والصوم والحج وغير ذلك، وكل ما تقدم يأتي إن شاء الله بأدلته، في كتاب يحتمل نسميه: الحجة والهدى والبيان في آيات القرآن، وقد فرغنا من تبييض أوله، ولله الحمد والمنة، ونسأل الله المنان التوفيق والإعانة على الكمال والتمام.

(تنبيه): الكتاب سميناه «عقيدة المسلمين، والرد على الملحدين والمبتدعين»، وطبع والحمد لله عام ١٤٠١هـ[(١)].

ونتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، أن يوفقنا وجميع المسلمين للعمل بكتاب ربنا وسُنَّة نبيِّنا محمد ﷺ، فالدين الإسلامي الصحيح قاعدته المتينة وركنه الوثيق هو كتاب الله وسُنَّة رسوله، والدين الإسلامي هو الذي أوجد بإذن الله من الضعف قوة، ومن الجهل علماً، ومن البداوة حضارةً، ومن الاختلاف وفاقاً، ومن الذل عزّاً، ومن التفرق اجتماعاً، ومن العداوة أخوة، ومن الخوف أمناً، ومن الكذب صدقاً، ومن الخيانة وفاء، ومن الهزيمة نصراً، ومن الحفاة العراة خير أمة أخرجت للناس، هذه نتيجة الصدق والإيمان، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وهذه ثمرات العمل بدين الإسلام، وكفى بالإسلام ديناً، وكفى بالإسلام فخراً، وعزّاً، ونصراً، وكفى بالإسلام أحكاماً، ونظاماً، وكفى به سعادة ومجداً.

❁ ❁ ❁

(١) كتبه المؤلف رحمه الله بأسلوب واضح ذكر فيه كثير من المذاهب والفرق المخالفة، وفنّد شبهها بالبرهان والدليل، طبع الكتاب عدة طبعات منها: الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ، وطبع الطبعة الثانية عام ١٤٠٩هـ، ط. المطابع الأهلية للأوفست، الرياض.

القرآن أحسن الحديث، وأحسن القصص

لا يشك مسلم ولا يرتاب عاقل بأن القرآن الكريم أحسن الحديث، وأحسن القصص على الإطلاق، فالله جَلَّ شأنه وصف القرآن بهذه الصفة، وسمَّاه بهذا الاسم، في سورة يوسف وفي سورة الزمر، ولا غرابة ولا استنكار؛ لأنه كلام ربِّ العالمين، نزل به الروح الأمين على سيد الأولين والآخرين، بلسان عربي مبين.

نعم؛ القرآن المجيد قصص فيه العجب والأعاجيب، وفيه كل ما لذَّ وطاب، والقرآن حديث، حديث عظيم، حديث تحدث الله به مخاطباً به عباده، حديث شائق ورائق، حديث ما ألطفه وما أعذبه وما أروعه وما أحلاه!

القرآن الكريم قصص وحديث، كله صدق وتصديق، فلا كذب ولا تزوير، ولا تضليل ولا تغرير، قصص وحديث لا كان ولا يكون مثله، لا في أسلوبه ونظمه ونظامه وأحكامه، ولا في معناه، ولا في أهدافه ومقاصده، حديث ترتاح له النفوس، وتطمئن له القلوب، حديث يقوى الإيمان، ويحفز الهمم ويحرك المشاعر ويشوق النفوس إلى كل خير وفضيلة، ويحذر من كل شر ورذيلة.

حديث فيه البشارة للمؤمنين والمسلمين، والنذارة للمنافقين والكافرين، حديثٌ قصَّ الله فيه الأقاصيص العجيبة، وأبداها وأعادها، وضرب الله فيه الأمثال، ونصب الأدلة والبراهين، وأقام الله فيه الحجة، وأوضح المحجة، وحذر وأنذر وأرهب، وبشر ورغب، لعل وعسى؛ لعل

مدكر ولعل سامع، ولعل مطيع، ولعل القلوب المتحجرة تلين، ولعل النفوس الشريرة التي غلب عليها الأشر والبطر والغطرسة، وسيطر عليها الظلم والفسوق والجور والفجور، عساها ولعلها ترجع عن غيِّها فتؤمن بربها، وتعمل بشريعة الإسلام، علها تكون خليفة الله في أرضه.

لعلها تعمل بشريعة الإسلام، قولاً وفعلاً، واعتقاداً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور: ٥٦].

القرآن الكريم حديث مقصوده الأعظم وهدفه السامي إسعاد البشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور، حديث لا يمل ولا تمجه الأسماع، حديث يجب أن يتلقى بالرضا والقبول والتسليم، حديث يجب أن يفهم ويجب أن يعمل به.

القرآن الكريم حديث بيِّن واضح جلي، أبان اللهُ به ما يحتاجه المكلفون في أمر دينهم ودنياهم، فتوحيد الله وإفراده بالعبادة، وتعظيمه تعالى وتنزيهه عما لا يليق به، وكذا أحكام العبادات، وأحكام المعاملات، وجميع الحقوق الفردية والاجتماعية، والأمر والنهي، والحظر والإباحة، والحلال والحرام، والبعث والنشور والحساب، والجزاء والعقاب والنعيم والعذاب، وغير ذلك كله مبيَّنٌ وموضَّح، في كتاب الله وفي سُنَّة رسوله ﷺ، يقول تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢].

والرسول ﷺ يقول: «**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**»[1]، فالله جَلَّ شأنه من رحمته ولطفه، أكمل لهذه

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وابن ماجه (٤٣).

الأمة الإسلامية دينها، وأتم عليها نعمته ورضي لها الإسلام ديناً: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فدين رضيه الله لنفسه ورضيه لنا يجب أن نرضاه، يجب أن نعرفه، يجب أن نعمل به، يجب أن ندعو إليه، يجب أن يكون القرآن مع سُنَّة الرسول، هما مصدر الأحكام والنظام، في كل حياة المسلمين الاجتماعية وفي جميع الدوائر الحكومية.

وقد بيَّنَّا فيما تقدم، أن الله وصف القرآن وسمَّاه: بيناتٍ وبياناً ومبيناً في ثلاثين (٣٠) آية، وسمَّاه الله: قصصاً في سبع (٧) آيات، وسمَّاه: حديثاً في خمس عشرة (١٥) آية، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣].

وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا فنزلت: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣][1]، وأخرج ابن جرير والحاكم في المستدرك وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: أنزل القرآن على النبي ﷺ، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا، فأنزل الله جلَّ وعز: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ١ ـ ٣]، فتلاه عليهم الرسول زماناً. فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣][2].

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ١٩٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٩٣).

وقال الشوكاني في كتابه «التفسير»: وأخرج أبو الشيخ عن الضحاك: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، قال: القرآن[١]، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس، قال: قالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فنزل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ الآية [الزمر: ٢٣][٢].

وما من شكٍّ بأن القرآن أحسن الحديث، وأحسن القصص؛ لأنه كلام ربِّ العالمين، نزل به الروح الأمين، على سيد الأولين والآخرين، بلسان عربي مبين، ولا مشابهة ولا مقارنة بين كلام الله، وكلام المخلوقين، وصدق الرسول ﷺ حيث قال في خطبته المشهورة: «**أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن**»[٣]، ولا مشابهة ولا مقارنة بين كلام الله وكلام خلقه، وصدق من قال:

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا[٤]

❁ ❁ ❁

(١) فتح القدير (٣/ ٨).
(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٩٣).
(٣) معجم الشيوخ (٧٠٢)، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٢٠٥٩).
(٤) يتيمة الدهر (٥/ ٢٩٩).

القرآن منادياً للإيمان

والله جَلَّ شأنه في آية واحدة سمَّى القرآن الكريم: منادياً للإيمان، ويا حبذا نداء القرآن، يا حبذا نداء الرحمة والهدى والعطف والحنان، يا حبذا نداء الخير والسعادة والصلاح والفلاح.

نادى القرآن البشرية كلها في كل زمان ومكان، ناداها لخيرها، وسعادتها، ناداها ليخرجها من الظلمات إلى النور، ناداها ببيانه وحججه وبراهينه، نادى القرآن بِحِكَمِهِ وجمال تركيبه وحسن أسلوبه، نادى بفصاحته وبلاغته.

نادى نداءً ما أعذبه وأحلاه وأروعه وأرقه وألطفه، نداءً شائقاً ورائقاً، نداءً تصغى له الأسماع وترتاح له النفوس، وتشتاق له الضمائر، وتطمئن له القلوب، القلوب المؤمنة التي ما غلب عليها العماء والشقاء، ولا تسرب إليها الشك والريب.

نادى القرآن بالصباح والرواح، ولكن يا أسفاه أكثر خلق الله في أرض الله في آذانهم وقر وصمم، وفي أنوفهم زكمة، فلم يستجيبوا لداع الإيمان والهدى، وحدث ولا حرج عن الصدود والإعراض، إذا كان القلب مقفلاً قاسياً ومتحجراً مجخيّاً، قد أحاط به الرين من كل جانب وقد خالط نبضاته الزيغ، فحينئذٍ الشقاء متحتم والعذاب واقع، والفسوق والكفر قد بلغ منتهاه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نادى القرآن الكريم ولا يزال ينادي، نادى بصوت رخيم مستطاب

وجذاب، نادى لما به خير الدنيا وسعادة الآخرة، نادى للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

نادى القرآن المجيد بالبشارة والنذارة، ونادى بالترغيب والترهيب تارة، ونادى بالوعد والوعيد تارة، وتارة بالأمر والنهي، وتارة أخرى بالحِكَمِ والأحْكام، وتارة بضرب الأمثال وقص الأقاصيص، وغير ذلك مما اشتمل عليه القرآن، من المعاني البديعة والأسرار العظيمة.

نادى القرآن بكل صراحة وبيان، وقد استجاب لهذا النداء المبارك الميمون، من سبقت لهم من الله السعادة، وهم صحابة الرسول ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، فصدقوا وآمنوا، صدقوا الرسول، وآمنوا بالقرآن وعملوا به، عملوا بشريعة الإسلام كلها، عقيدةً وعبادةً وأحكاماً ونظاماً وسلوكاً وأخلاقاً، عملت أمة الإسلام بكتاب الله وسُنَّة رسوله، قولاً وفعلاً، فكانت لهم الدنيا والآخرة، كانت لهم الدنيا فخراً ومجداً، وعزّاً ونصراً، وسيادة وقيادة، وصلاحاً، وإصلاحاً، وكانت لهم الآخرة سعادة ونعيماً، و﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة: ٤].

قال جَلَّ شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج: ٤١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾ [الكهف: ٣٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

واليوم وبعد اليوم، إذا أراد المسلمون أن تكون لهم دولة قوية الأركان مرهوبة الجانب لها مكانتها بين الأمم، دولة صالحة ومصلحة، ولها سيادة وقيادة، ومع ذلك إذا أراد المسلمون المجد والعز والنصر

على اليهود وغير اليهود، على المسلمين جميعاً في كل زمان ومكان، أن لا يغالطوا أنفسهم، عليهم أن يعملوا بكتاب ربهم وسُنَّة نبيِّهم محمد ﷺ.

ومهما قال المسلمون ومهما عملوا، ليس لهم عز ونصر بدون ذلك، مع التكاتف والتساند بين المسلمين، ولا بد من الاتفاق والوفاق بين الأفراد والشعوب المسلمة، ونبذ الشقاق والخلاف، هذه خطة النصر؛ لأن الله جَلَّ شأنه حكيم، لا ينصر إلا من نصره، ولا ينصر تعالى إلا المؤمنين، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الروم: ٤٧]، ولا بد أن يكون القتال جهاداً في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ونصر دينه، وحينئذٍ يتحقق نصر الله لعبادة المؤمنين.

وفق الله المسلمين رعاةً ورعية وزعماء ومزعومين، وحكاماً ومحكومين، وفق الله الجميع للعمل بشريعة الإسلام.

نعم؛ قلنا فيما تقدم: إن الله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: منادياً للإيمان.

وإلى القارئ الكريم، الدليل والبرهان، وقد أثبت الله لنفسه الكريمة النداء في ثلاث عشرة آية، ويأتي ذلك إن شاء الله، وذلك من الأدلة على أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق.

قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ۝١٩٣﴾ [آل عمران: ١٩٣].

قال صاحبا الجلالين: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي﴾ [آل عمران: ١٩٣]،

يدعو الناس للإيمان؛ أي: إليه وهو محمد أو القرآن[١].

وقال الشوكاني في «تفسيره»: المنادي عند أكثر المفسرين: هو النبي ﷺ، وقيل: هو القرآن[٢].

وقال ابن جرير: اختلف أهل التأويل في تأويل المنادي الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية، فقال بعضهم: المنادي في هذا الموضع القرآن.

ذكر مَن قال ذلك: حدثني المثنى، قال: حدثنا قبيصة بن عقبة، قال: حدثنا سفيان عن موسى بن عبيد، عن محمد بن كعب: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، قال: هو الكتاب ليس كلهم لقي النبي ﷺ. حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحق، قال: حدثنا منصور بن حكيم، عن خارجة، عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي، في قوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، قال: ليس كل الناس سمع النبي ﷺ ولكن المنادي القرآن.

ثم قال ابن جرير: وقال آخرون: بل هو محمد ﷺ.

ذكر مَن قال ذلك: ثم ساق ابن جرير بإسناده إلى ابن زيد، وابن جريج المراد بالمنادي: هو محمد ﷺ.

ثم قال ابن جرير: وأولى القولين في ذلك بالصواب، هو قول محمد بن كعب وهو أن يكون المنادي القرآن؛ لأن كثيراً ممن وصفهم بهذه الصفة في هذه الآيات، ليسوا ممن رأى النبي ﷺ، ولا عاينه فسمعوا دعاءه إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ونداءه، ولكنه القرآن.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة،

---

(١) تفسير الجلالين (ص٩٥).

(٢) فتح القدير (١/ ٤٧١).

قوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، إلى قوله: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾ [آل عمران: ١٩٣]، سمعوا دعوة من الله فأجابوها فأحسنوا الإجابة فيها وصبروا عليها[١].اهـ. سياق ابن جرير، ومن القائلين بأن المنادي هو القرآن: قتادة ومحمد بن كعب القرظي، ذكرَ ذلك القرطبي في «تفسيره»[٢].

نعم؛ كما تقدم، إذا أراد المسلمون العز والنصر والسعادة في الدنيا والآخرة، فعليهم أن يعودوا إلى إسلامهم ودينهم وأخلاقهم من جديد، حتى يتحقق لهم ما يريدون، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

فالقرآن ينادي إلى وجوب تحكيمه والعمل به: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة: ٥٠]، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة: ٤٤]، وينادي القرآن إلى توحيد الله وإفراده بالعبودية، وينادي القرآن إلى قوة الإيمان وصحة الإسلام، وينادي القرآن إلى التخلق بالأخلاق الفاضلة والصفات الحسنة، وينادي القرآن إلى المحبة الإيمانية والرابطة الإسلامية، وينادي إلى وحدة المسلمين وتساندهم وتكاتفهم ورص صفوفهم، والتباعد عن الشقاق والخلاف فيما بينهم، وينادي القرآن إلى الاستعداد بالقوة، هذه هي الخطوط الرئيسية لعز المسلمين ونصرهم على اليهود، وفَّق الله المسلمين للأخذ بأسباب النصر، والله يقول الحق ويهدي السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

❁ ❁ ❁

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣١٥).
(٢) تفسير القرطبي (٤/ ٣١٧).

القرآن زبور

وفي آية واحدة سمَّى الله القرآن: زبوراً، والزبر لغة: هو الجمع، زبرت الكتاب: جمعته[١].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦].

والمراد بالزبور: القرآن، على قول سعيد بن جبير، وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

قال ابن كثير: قال الأعمش: سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، فقال: الزبور: التوراة، والإنجيل، والقرآن، وقال مجاهد: الزبور: الكتاب.

وقال ابن عباس والشعبي والحسن وقتادة وغير واحد: الزبور الذي أنزل على داود، والذكر التوراة، وعن ابن عباس: الذكر القرآن[٣]، وقال في «مختار الصحاح»: والزبور الكتاب، وهو فعول بمعنى مفعول، من زبر، والزبور أيضاً: كتاب داود عليه السلام[٤].

وقال في «المصباح المنير»: وزبرت الكتاب زبراً: كتبته، فهو زبور

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني (ص٤٢٥).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣٨٤).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣٨٤).
(٤) مختار الصحاح (ص١٣٤).

فعول بمعنى مفعول، مثل: رسول وجمعه زبر بضمتين، والزبور: كتاب داود عليه السلام، وقال في «القاموس»: والزبور بمعنى المزبور جمع: زبر، وكتاب داود عليه السلام[١].

وقال ابن الجوزي في كتابه «زاد المسير في علم التفسير»: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، **فيه أربعة أقوال:**

أحدها: أن الزبور جميع الكتب المنزلة من السماء، والذكر أم الكتاب الذي عند الله، قاله سعيد بن جبير في رواية ومجاهد وابن زيد، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية ابن جبير، فإنه قال: الزبور، التوراة والإنجيل والقرآن والذكر الذي في السماء.

والثاني: أن الزبور الكتب، والذكر التوراة، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثالث: أن الزبور القرآن، والذكر التوراة والإنجيل، قاله سعيد بن جبير في رواية.

والرابع: أن الزبور زبور داود، والذكر ذكر موسى، قاله الشعبي[٢]. اهـ.

والآية الكريمة مشعرة بوجوب التعبد لله تعالى، وبوجوب الصلاح والإصلاح، وذلك عنوان العمل بكل ما جاء عن الله، وجاء عن رسول الله ﷺ، فشرف الدنيا والآخرة وعز الدنيا والآخرة، وسعادة الدنيا والآخرة، كل ذلك لعباد الله الصالحين، ولذا نوه الله بذكر الصالحين وأثنى عليهم ومدحهم في كتابه العزيز في أكثر من مائة وعشرين آية.

---

(١) القاموس المحيط (١/ ٣٩٨).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢١٧).

وعباد الله الصالحون هم الذين صلح منهم القول والعمل والاعتقاد، مع فعل الواجبات وترك المحرمات، هؤلاء هم خلاصة الوجود، هم الأمة، هم خلفاء الأنبياء والمرسلين، هم الذين سبقت لهم من الله السعادة، هم الذين بأمر الله يرثون أرض الدنيا، ويرثون الفردوس الأعلى، وصدق الله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦].

﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ٩ ـ ١١].

ونعم الميراث ميراث المتقين، وميراث عباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٥٩ ـ ٦٣]، وقال جلَّ شأنه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر: ٧٣، ٧٤].

والأدلة من الكتاب والسُّنَّة على أن المؤمنين والمسلمين وعباد الله المتقين هم الذين يورثهم الله أرض الدنيا، ويورثهم جنات النعيم كثيرة

جدّاً ليس بالإمكان حصر الأدلة ولا تعدادها، وقول الله حق ووعده صدق: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧].

فإذا أراد المسلمون العز، والنصر، والتمكين، فعليهم أن يعملوا بكتاب ربهم وسُنَّة نبيِّهم محمد ﷺ، ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

ويقيناً لا يعتريه شك بأنه ليس هناك ولا هنا سعادة دنيوية موصولة بسعادة الآخرة، إلا بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، فالجزاء من جنس العمل، وما ربك بظلام للعبيد، والتوفيق بيد الله، والهداية من الله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله وصحبه، وكفى بالله حسيباً، وكفى بطاعة الله وطاعة رسوله سعادة وفخراً، وعزّاً.

❁ ❁ ❁

القرآن فضل الله ورحمته

الله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: فضلاً منه ورحمة، وهذا هو الرابع والأربعون من أسماء القرآن، والإفضال والتفضل في لغة العرب هو المعروف والإحسان.

نعم؛ وعِزَّةِ ربِّي إن القرآن الكريم: فضل الله ورحمته، رحمة الله الشاملة وفضله العظيم، رحم الله عباده، رحمهم أرحم الراحمين، وتفضل عليهم الرب الكريم: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

تفضل الله على البشرية عامة: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: ٢٨]، وتفضل الله على العرب خاصة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

وتفضل الله جَلَّ شأنه على عباده بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ لما في ذلك من البيان والنور والهدى: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [البقرة: ٦٤]، وقد طال الزمن بين رسالة عيسى عليه السلام، وبين رسالة خاتم النبيين محمد ﷺ، وحينئذٍ طغت الجاهلية وأظلمت دنيا البشرية على خلق الله لبعدهم عن رسالات السماء.

ومن جرّاء ذلك عبد المخلوق مخلوقاً مثله، وارتكبت الجرائم

وفعلت المحرمات، وصارت البشرية في ظلام دامس، وفي حيرة وارتباك، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً إلا أفراداً يعدون بالأصابع، ممن تمسكوا بالديانة الموسوية والديانة العيسوية.

وبعد هذه الحالة السيئة، وبعد هذا المصير المخزي، رحم الله ولطف ومَنَّ وتفضل جَلَّ شأنه، بإنزال هذا القرآن الذي أوحاه إلى عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه، هذا القرآن العظيم الذي لا كان ولا يكون مثله.

هذا القرآن الذي من أهدافه السامية، ومقاصده الجليلة، إقامة العدل في الأرض ومنع الظلم والفساد، ومن أهدافه توحيد الله وإفراده بالعبودية، ومن أهدافه صلاح المجتمع وتقويمه على طريق الحق والرشاد.

ومن أهداف القرآن إخراج البشرية من الظلمات إلى النور، من ظلمات الشرك والكفر والفسوق إلى نور العلم والإيمانِ والإسلام، ومن أهداف القرآن إسعاد الإنسانية في دنياها وأُخراها، في كل زمان وفي كل مكان.

ولهذا الله تعالى سمَّى القرآن بأسماء مطابقة لمسمَّاها، فسمَّاه: هدى، وسمَّاه: شفاء، وسمَّاه: رحمة، وسمَّاه: بصائر: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٢٠﴾ [الجاثية: ٢٠]، ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل: ٨٩]، وليس ذلك لكل أحد، بل هو لمن آمن بالقرآن وعمل بالقرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾ [النحل: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ

كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٧].

والمصيبة عظمى والأسف شديد، أكثر المنتسبين في هذا الزمن للإسلام لا يعملون بالقرآن ولا يطبقون أحكامه ونظامه، ولهذا خسروا دينهم وخسروا دنياهم، وخسروا شخصياتهم ومعنوياتهم، وخسروا الممالك الإسلامية، وخسروا العز والنصر والفخار.

خسروا خسراناً مبيناً، خسروا الدنيا والآخرة، وصاروا لا وزن لهم ولا قيمة، وتسربلوا بالخزي والذل والهوان، وطمع في بلاد الإسلام طغاة الشرق والغرب، وصدق الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤].

فالله جَلَّ شأنه رؤوف رحيم جواد كريم، يجود بالنوال قبل السؤال، ومن كرمه تعالى وجوده وفضله، يغضب على الذي لا يسأله، تفضل على عباده بالنعم التي لا تحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٨].

تفضل تعالى برسالة محمد ﷺ، وتفضل بالقرآن الذي هو مصدر عز المسلمين، وقاعدة إيمانهم وعباداتهم وأحكامهم ونظامهم، ولذا سمَّى الله القرآن: فضلاً منه ورحمة، كما سمَّاه تعالى: موعظة، وسمَّاه: شفاء، وسمَّاه: هدى، وسمَّاه: رحمة.

وإلى القارئ الكريم الدليل والبرهان، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

والمراد بفضل الله: هو القرآن على قول كثير من علماء التفسير.

قال القرطبي في «تفسيره»: قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ [يونس: ٥٨]، قال أبو سعيد الخدري وابن عباس: فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام، وعنهما أيضاً: فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلكم من أهله، وعن الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة: فضل الله: الإيمان، ورحمته: القرآن[1]. اهـ.

وقال ابن الجوزي في «تفسيره»: قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ [يونس: ٥٨]، **فيه ثمانية أقوال:**

أحدها: أن فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة وهلال بن يساف.

والثاني: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلهم من أهل القرآن، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال أبو سعيد الخدري والحسن في رواية.

والثالث: أن فضل الله: العلم، ورحمته: محمد ﷺ، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والرابع: أن فضل الله: الإسلام، ورحمته: تزيينه في القلوب، قاله ابن عمر.

الخامس: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام، قاله الضحاك وزيد بن أسلم وابنه ومقاتل.

والسادس: أن فضل الله ورحمته القرآن، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، واختاره الزجاج.

---

(١) تفسير القرطبي (٨/ ٣٥٣).

والسابع: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: السُّنَّة، قاله خالد بن معدان.

والثامن: فضل الله: التوفيق، ورحمته: العصمة، قاله ابن عيينة[١]. اهـ.

ولا شك والله ولا ريب، بأن القرآن فضل الله ورحمته، فيجب علينا معشر المسلمين أن نفرح ونغتبط ونستبشر بالقرآن والإيمان لا بحطام الدنيا: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨]، وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: هو خير مما يجمعون من الأموال والحرث والأنعام[٢].

ولما قدم خراج العراق إلى عمر رضي الله عنه، خرج عمر ومولًى له، فجعل عمر يعد الإبل فإذا هي أكثر من ذلك، فجعل عمر يقول: الحمد لله تعالى، ويقول مولاه: هذا والله من فضل الله ورحمته، فقال عمر: كذبت ليس هذا هو الذي يقول الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨][٣].

هكذا كان الرعيل الأول وسلفنا الصالح يعرفون قدر القرآن، والإيمان، ونعمة الإسلام، فرحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ورضي عنه، لقد كان مسدد الرأي، بعيد النظر، دقيق الفهم، قوي الإيمان، صادق اللهجة، حكيماً عبقريّاً عملاقاً، يقول الحق بكل صراحة، ولا تأخذه في الله لومة لائم، اللَّهُمَّ يا ذا الفضل والكرم والجود تفضل علينا بالإيمان والإسلام والعمل بالقرآن قولاً وفعلاً واعتقاداً، اللَّهُمَّ رحمتك يا رحيم ولطفك يا عظيم.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٣٣٥). (٢) تفسير الطبري (١٢/ ١٩٦).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦/ ١٩٦٠).

القرآن الكريم مثاني

الله جَلَّ شأنه وصف القرآن وسمَّاه: مثاني، في آيتين من كتابه، وهذا هو الخامس والأربعون من أسماء القرآن، وهو آخر ما قصدنا إيراده، وبالله الإعانة والتوفيق، ومعنى مثاني: أي: تُثنَّى وتكرر وتعاد فيه المواعظ والأحكام، وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧].

قال الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن»: لما ذكر أسماء القرآن، وسمَّاه: المثاني، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: ٨٧][1]. اهـ.

وقال ابن كثير: وقد اختلف في السبع المثاني ما هي، فقال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم: هي السبع الطوال؛ يعنون: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، نص عليه ابن عباس وسعيد بن جبير.

وقال شعبة: بيَّن فيهن الفرائض والحدود والقصص والأحكام،

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٤٥).

وقال ابن عباس: بيَّن الأمثال والخبر والعبر، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، قال سفيان: المثاني المئين؛ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، والأنفال وبراءة سورة واحدة.

ثم قال ابن كثير: والقول الثاني: أنها الفاتحة، وهي سبع آيات. روي ذلك عن عمر وعلي، وابن مسعود، وابن عباس. قال ابن عباس: والبسملة هي الآية السابعة، وقد خصكم الله بها. وبه قال إبراهيم النخعي، وعبد الله بن عبيد بن عمير، وابن أبي مليكة، وشهر بن حوشب، والحسن البصري، ومجاهد.

ثم قال ابن كثير: قال البخاري: حدثنا آدم، وحدثنا ابن أبي ذئب، حدثنا المقبري، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمّ القرآن هي: السبع المثاني والقرآن العظيم**».

فهذا نصٌّ في أن الفاتحة السبع المثاني والقرآن العظيم، ولكن لا ينافي وصف غيرها من السبع الطوال بذلك، لما فيها من هذه الصفة، كما لا ينافي وصف القرآن بكماله بذلك أيضاً، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، فهو مثاني من وجه، ومتشابه من وجه، وهو القرآن العظيم أيضاً[1].اهـ.

وقال ابن الجوزي: وفي المراد بالسبع المثاني **أربعة أقوال**: **أحدها**: أنها فاتحة الكتاب، ثم ذكر من قال بهذا القول.

ثم قال: **والقول الثاني**: أنها السبع الطوال، ثم ذكر من قال بهذا القول.

ثم قال: **والقول الثالث**: أن السبع المثاني سبع معان أنزلت في

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٤٦).

القرآن؛ أمر ونهي وبشارة، وإنذار وضرب الأمثال وتعداد النعم، وأخبار الأمم، قاله زياد بن أبي مريم.

والقول الرابع: أن المثاني القرآن كله، قاله طاووس، والضحاك وأبو مالك.

فعلى هذا في تسمية القرآن بالمثاني **أربعة أقوال**:

أحدها: لأن بعض الآيات يتلو بعضاً فتثنى الآخرة على الأولى، ولها مقاطع تفصل الآية بعد الآية حتى تنقضي السورة، قاله أبو عبيدة.

والثاني: أنه سُمي بالمثاني لما يتردد فيه من الثناء على الله.

والثالث: لما يتردد فيه من ذكر الجنة والنار والثواب والعقاب.

والرابع: لأن الأقاصيص والأخبار والمواعظ والآداب ثنيت فيه، ذكره ابن الأنباري.

وقال ابن قتيبة: قد يكون المثاني سور القرآن كله، قصارها وطوالها، وإنما سمي مثاني؛ لأن الأنباء والقصص تُثنى فيه، فعلى هذا القول المراد بالسبع: سبعة أسباع القرآن، ويكون في الكلام إضمار تقديره وهي القرآن العظيم[1]. اهـ.

وقال البغوي في «تفسيره»: وإنما سميت السبع الطوال مثاني؛ لأن الفرائض والحدود، والأمثال والخير والشر والعبر والخبر ثنيت فيها، وقال طاووس: القرآن كله مثاني، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣].

وسمَّى القرآن: مثاني؛ لأن الأنباء والقصص ثنيت فيه، وعلى هذا القول المراد بالسبع: سبعة أسباع القرآن فيكون تقديره على هذا، وهي

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٤٣).

القرآن العظيم، وقيل: الواو مقحمة مجازة، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[1]. اهـ.

وقال الزمخشري في الكشاف: ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثاني؛ لأنها تُثْنى عليه، ولما فيها من المواعظ المكررة، ويكون القرآن بعضها، فإن قلت: كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع، وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه؟ قلت: إذا عنى بالسبع للفاتحة أو الطوال، فما وراءهنّ يطلق عليه اسم القرآن؛ لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل، ألا ترى إلى قوله: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ يعني: سورة يوسف، وإذا عنيت الأسباع فالمعنى: ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني.

والقرآن العظيم؛ أي: الجامع لهذين النعتين، وهو الثناء أو التثنية والعظم[2]. اهـ.

وقال الكلبي في تفسيره المسمَّى «التسهيل لعلوم التنزيل»: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: ٨٧]، يعني؛ أم القرآن لأنها سبع آيات، وقيل: يعني: السور السبع الطوال، وهي البقرة وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع براءة، والأول أرجح لوروده في الحديث.

والمثاني: مشتق من التثنية وهي التكرير؛ لأن الفاتحة تكرر قراءتها في الصلاة، ولأن غيرها من السور تكرر فيها القصص وغيرها، وقيل: هي مشتقة من الثناء؛ لأن فيها ثناء على الله، ومن يحتمل أن تكون للتبعيض أو لبيان الجنس، وعطف القرآن على السبع المثاني؛ لأنه يعني

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٣٩٢).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٥٨٨).

ما سواها من القرآن، فهو عموم بعد الخصوص[١].اهـ.

قلتُ: فيتلخص من أقوال علماء التفسير أثابهم الله ثواب المحسنين، وجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، أن سورة الفاتحة وإن سميت السبع المثاني لا يمتنع أن يسمَّى غيرها مثاني؛ لما في السبع الطوال وغيرها من سور القرآن من الثناء على الله وبيان عظمته تعالى ومجده.

ولما فيها من الحكم والأحكام، والأوامر والنواهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد، والمنن والنعم من الله، والقصص والإخبارات عن شيء من الأمور المغيبة في الماضي والمستقبل، وضرب الأمثال.

ولما في سور القرآن، من ذكر البعث والنشور والحساب والثواب، والعقاب والجنة والنار، وغير ذلك مما اشتمل عليه القرآن الكريم، وقد ثنَّى الله كل ما تقدم في كتابه العزيز وكرره وأعاده وأبداه مراراً وتكراراً، مع اختلاف في الوقت والزمن، واللفظ والأسلوب، والتصريح والتلويح، والاختصار والبسط، والعطف والشدة، واللين والقسوة، والرحمة، والعذاب، على حسب المتطلبات والحالات والمناسبات والأشخاص، ولكل مقام مقال، فتبارك الله ربُّ العالمين، العليم الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، كل ذلك جاء في القرآن بأحسن أسلوب وأبين بيان، وأروع تعبير، هذه بعض من أهداف القرآن ومقاصده، وحكمة الله تقتضي ذلك؛ إقامة للحجة وقطعاً للمعذرة، وبياناً لطريق الهدى والرشاد ونصحاً للعباد.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٢٠).

نعم؛ القرآن مثاني، ثنَّى الله فيه الأدلة والحجج والبراهين، لعل وعسى؛ لعل منيب، ولعل مدكر، ولعل سامع، ولعل مطيع، ولعل راجع عن غيه، وعن طريق هلاكه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

والجاهلية جهلا والمصيبة عظمى، والغرور قد بلغ المنتهى، أكثر المنتسبين للإسلام في هذا الزمن لا يعملون بالقرآن، والقرآن خير لهم لو كانوا يعلمون.

ومن لم يؤمن بالقرآن ويعمل به فله نصيب من قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾ [الجاثية: ٧، ٨]، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٧]، فلا بد من التصديق والإيمان بالقرآن، ولا بد من العمل بالقرآن.

ولا هنا ولا هناك والله حياة طيبة سعيدة، حياة أمن وطمأنينة، حياة خير وبركة، موصولة بسعادة الآخرة، إلا بالعمل بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، ومن عمل بالقرآن فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

ويقول الرسول ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسُنَّتي ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**»(١)، اللَّهُمَّ اهدنا ولا تضلنا، اللَّهُمَّ اهدِ ضال المسلمين، اللَّهُمَّ اهدنا بالهدى وزيِّنَّا بالتقوى واغفر لنا في الآخرة والأولى.

وفي لفظ آخر، يقول: «**إني قد خلفتُ فيكم ما لن تضلوا بعدهما، ما أخذتم بهما أو عملتم بهما، كتاب الله وسُنَّتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»(٢)، ومن وصايا الرسول الحكيمة قوله: «**والقرآن حجة لك أو عليك**»(٣)، اللَّهُمَّ يا ذا الفضل والكرم والجود، اجعل القرآن الكريم حجة لنا لا علينا، اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك يا أرحم الراحمين.

ولا مرية ولا شك بأن القرآن العظيم مثاني، قال القرطبي بعدما ذكر أقوال علماء التفسير، على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧].

وقال جرير:

جزى اللَّه الفرزدق حين يمسي ... مضيعاً للمفصل والمثاني

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ١٧٢/ ٣١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١١٤/ ٢٠١٢٤)، والدارقطني في سننه (١٠/ ٤٦٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣).

وقيل: المثاني القرآن كله، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، هذا قول الضحاك وطاووس وأبي مالك، وقاله ابن عباس، وقيل له مثاني؛ لأن الأنباء والقصص ثنيت فيه، وقالت صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله ﷺ:

فقد كان نوراً ساطعاً يهتدي به ... يخص بتنزيل المثاني المعظم

اهـ[1].

وكلّاً من البيتين تقدما في سياق الأشعار، التي هي شواهد لأسماء القرآن وأوصافه، وبالله التوفيق، وعليه تعالى الاعتماد، وهو حسبنا ونِعم الوكيل.

تَنْبِيهٌ

بعدما أنهينا الكلامَ على أسماء القرآن وذكر شيء من أوصافه، وذلك بإعانة الله وتوفيقه، حينئذٍ رأينا أنه من إكمال الموضوع، وتمام الفائدة سياق جميع الآيات التي ورد فيها ذكر لأسماء القرآن وأوصافه، وعددها أربعمائة وثلاث وخمسون (٤٥٣) آية، وإن شاء الله نسوقها على حسب ترتيب السور، ونتكلم عليها بما تيسر على طريق الاختصار، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، فالله جَلَّ شأنه وتقدس اسمه، وصف القرآن وسمَّاه بأسماء تليق به، تليق بعظمة القرآن، فسمَّاه: صراطاً مستقيماً، جاء ذكرُ ذلك في ثلاث وثلاثين آية، منها قوله تعالى:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٥٥).

نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ١ ـ ٧].

والرسول ﷺ سمَّى القرآن: صراطاً مستقيماً كما في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه على تقدير ثبوته.

فقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦]، قيل: المراد به الرسول، وقيل: الإسلام، وقيل: القرآن، وبه قال علي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما، ورجحه كثير من العلماء، وتقدم في مباحث الأسماء فليرجع إليه، اللَّهُمَّ اهدنا ولا تضلنا، اللَّهُمَّ اهدنا الصراط المستقيم. والهداية من حيث هي على قسمين: هداية إعانة وتسديد وتوفيق، وهذه لله تعالى وليست لغيره، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

والقسم الثاني: هداية دلالة وبيان وإرشاد، وهذه للرسول ﷺ، ولأتباع الرسول أيضاً.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، اللَّهُمَّ اهدنا بالهدى وزيِّنَّا بالتقوى، واغفر لنا في الآخرة والأولى، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم على خاتم النبيين، وسيد الأولين والآخرين وإمام المتقين، وبشير المؤمنين محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

❁ ❁ ❁

آيات من سورة البقرة

وكما تقدم من أسماء القرآن الكتاب، فسمَّاه الله جَلَّ ذكره: كتاباً، كتاب لا شك فيه ولا ريب ولا ارتياب بل هو منزل من حكيم عليم، منزل للصلاح والإصلاح منزل للهداية والاهتداء، فهو هدى من العماء وهدى من الضلالة، وهدى من الشك والحيرة ومن الريب والارتياب، هدى لكل ما يتسرب إلى القلوب والأفهام من الظنون والأوهام.

وليس القرآن هدى لكل مخلوق بل هو هدى لمن اهتدى، هدى لمن ترسم خطى النبيين والمرسلين وامتثل أمر ربِّ العالمين، هدى للمتقين الذين يفعلون الواجبات ويتركون المحرمات.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١، ٢].

وسمي القرآن: كتاباً لجمعه أنواع العلوم التي يحتاجها المكلفون في أمر دينهم ودنياهم ومعادهم وغير ذلك.

وسمَّى الله القرآن العظيم: منزلاً، وسمَّاه: مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل، وسمَّاه: آيات وأمر باحترامها وتعظيمها، وأنَّب اليهود المتسكعين المتكالبين على الدنيا بأن لا يشتروا بها ثمناً قليلاً، والدنيا كلها بحذافيرها بالنسبة لآيات الله قليل.

وهذا الخطاب وإن كان نهياً لليهود فهو إخبار لأمة الإسلام بأن لا يفعلوا كما فعلت اليهود.

ومما يؤسف له أن كثيراً من المسلمين في الدوائر الحكومية يأخذون الرشوة، وكثير وكثير من المعلمين والمتعلمين يعلمون ويتعلمون لغير وجه الله، فلا حول ولا قوة إلا بالله، قال تعالى:

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة: ٤١].

وسمَّى الله القرآن المجيدَ: حقّاً ونهى اليهودَ عن لبس الحق بالباطلِ، واللبس الشوب والخلط، كما نهاهم عن جحد الحق وكتمانه.

والمنتظر من اليهود أن يكونوا في الطليعة الأولى ممن يؤمن بمحمد وبما جاء به محمد؛ لأنهم يعلمون علم اليقين أنه رسول ربِّ العالمين، كما جاء ذلك صريحاً في التوراة ولكنهم جحدوا وكفروا حسداً للعرب وعناداً لربِّ العالمين، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

قال جَلَّ ذكره: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة: ٤٢].

وسمَّى الله القرآن: كتاباً ومصدقاً لما عند اليهود من التوراة، وكان اليهود من أجل الحروب الدامية بينهم وبين الأوس والخزرج قبيل بعثة الرسول ﷺ يستفتحون بالقول الذي اشتهر عنهم، وهو أنهم يقولون أو كما يقولون للأوس والخزرج: يبعث في آخر الزمان نبي، قد حان وقت خروجه نتبعه، ونقتلكم قتل عاد وإرم.

فلما بُعث ﷺ من العرب غامر اليهودية الحسد، فكفروا بالمنقول وكابروا المعقول، فغضب الله عليهم ولعنهم.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩].

وقد سمَّى الله كتابه بأربعة أسماء، ووصفه بأربع صفات وهو: أنه منزل بإذن الله على قلب البشير النذير، ومصدقاً لما بين يديه من الكتب السماوية ومن بينها التوراة التي بأيدي يهود لعلهم ولعلهم ينيبوا فيسلموا، ولكنها نعرات الحسد والطغيان ومعاكسة الله في قضائه وقدره.

ومن الغرور والحمق الذي بلغ الغاية: زعم اليهود بأن جبرائيل عدوهم من ملائكة الرحمٰن.

والقرآن أيضاً هدىً وبشرى ولكنها للمؤمنين، هدى من الضلالة وهدى من الحيرة وهدى يهدي لكل خير وفضيلة، والهدى والاهتداء مذكور في القرآن في أكثر من مائة وخمسين موضعاً، ويأتي ذلك إن شاء الله تعالى.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة: ٩٧].

وهذا القرآن أيضاً سمَّاه الله: كتاباً، ومصدقاً، وذمَّ الله اليهود وأنَّبهم حيث بدلوا وغيروا في كتابهم على حسب أهوائهم وأغراضهم الشخصية، ومع ذلك نبذوا الجميع وراءهم ظهريّاً، كما ومن باب أولى الكتاب الذي جاءهم بكل خير وسعادة وهناء، جاءهم بفك الآصار وإزالة الأغلال، جاءهم به محمد بن عبد الله يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

ولكنه التعامي عن الحق والصدود عنه، ونظره بالعيون شزراً من بعيد.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة: ١٠١].

وسمَّى الله الكتاب العزيز: حقّاً، نعم هو حق وجاء بالحق ودعا

إلى الحق، والحق أحق أن يُتبع، وهذا الحق الذي جاء به نبي البشرية أجمع يبين بكل صراحة وإيضاح العداء الذي هو بكل صراحة من أهل الكتاب.

عداء أثاره الحسد والضغائن والأحقاد الكامنة في نفوس اليهود والنصارى، حسد من أجل الدين الجديد والعقيدة الإسلامية، حسد من أجل ما يترتب على ذلك من السيطرة والزعامة.

والحذر لا يغني من قدر فالحروب الإسلامية التي كسرت كسرى وقصرت قيصر وأذاقت اليهودية الذل والهوان، الباعث عليها والمغذي لها والمقوي لأركانها هي العقيدة الإسلامية والعمل بأحكامها وتطبيق نظامها، ومتى عاد المسلمون إلى حضيرتها والوقوف تحت رايتها عاد إليهم عزهم ومجدهم، ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الروم: ٤٧]، وإلا يفعل المسلمون هكذا فقل على الحياة العفاء وعلى أمة الإسلام السلام.

والحسد والأحقاد والضغائن كامنة في نفوس اليهود والنصارى في كل مكان وفي كل زمان.

والحيل تحاك والشباك تنصب بالأقوال والأفعال، تارة بالحروب الشعوى، وتارة بإرساليات التبشير لدين النصرانية التي تغذى بملايين الدولارات، ومرة أخرى بإبعاد المسلمين عن دنيهم وعقائدهم ومرة بالقوة والقهر كمنع المسلمين وأبناء المسلمين من تعلم دينهم وتراثهم ولغتهم العربية في مدارسهم وإلزامهم بمناهج لا صلة لها بالدين ولا بلغة الدين، كما وقع ذلك في كثير من البلاد الإسلامية التي تسرب إليها الاستعمار.

قال جَلَّ ذكره: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٩﴾ [البقرة: ١٠٩].

وسمَّى الله القرآن الكريم: حقّاً وما بعد الحق إلا الضلال، وأخبر تعالى أنه أرسل رسوله بهذا الحق بشيراً للمؤمنين والمسلمين بكل خير وسعادة، بشيراً بعز الدنيا وشرفها وسعادة الآخرة، ونذيراً للكافرين والمنافقين والزنادقة والملحدين، هذه وظيفة الرسول ﷺ هو البيان والتبليغ، والدلالة والإرشاد، وأما هداية القلوب فهي بيد الله فليس الرسول بمسؤول عنها.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾ [البقرة: ١١٩].

والله جَلَّ شأنه سمَّى هذا القرآن: هدى وعلماً، فهو العلم النافع، وكل العلم به وكل العلم منه، ففيه علم بداية الخلق والخليقة، وعلم نهايتها، ففيه علم الأديان وعلم الأكوان، ففيه علم كل شيء، وقد قيل والقائل هو العالم الأديب ابن مشرف الأحسائي:

فمنه ينابيع العلوم تفجرت وما كان من علم فمن عذب مائه[١]

قال مسروق: ما سُئل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن علمنا قصر عنه[٢]. وقال الشعبي: ما ابتدع أحد بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها[٣]، ويأتي ذكر العلم إن شاء الله عند عدِّ الآيات الواردة في العلم.

وفي هذه الآية الكريمة إشعار من الله لحبيب الله ورسوله بأن اليهود والنصارى لا ينقادوا لطاعته ولا يستجيبوا لدعوته إلا بعد موافقتهم والدخول فيما هم فيه من المخالفة والكفر والضلال، فلا ينقصهم دليل

---

(١) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (ص٧٦٧).
(٢) فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص٩٦).
(٣) مجموع الفتاوى (٥/٣٨).

ولا حجة ولا برهان، قد عرفوا وتحققوا صدق الدعوة وصدق داعيها، وفي الآية وعيد وتحذير وإرهاب للرسول ﷺ، إن اتبع الملل المغيِّرة والمبدلة بل المنسوخة وحاشاه الله من ذلك.

والخطاب شامل لأمة الرسول فلا ركون ولا مراوغة ولا مداهنة للكافرين، ولا لمن ابتدع في الدين ولا لمن غيَّر شرع ربِّ العالمين من الزنادقة والملحدين الذين حكموا القوانين الوضعية والنظم الرومانية والعادات الفرنجية.

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

وأيضاً قد سمَّى الله القرآن الكريم: كتاباً وآيات، جرى ذلك على لسان خليله إبراهيم ﷺ، وأنصح الخلق للخلق أنبياء الله ورسله الكرام، وكذا من كان له بهم أسوة حسنة من عباد الله الصالحين المصلحين.

لذا؛ توسل إبراهيم باسمين عظيمين لله تعالى: العزيز والحكيم، أن يبعث في هذه الأمة رسولاً من أنفسها يهذب الأخلاق ويزكي العقول ويطهر النفوس؛ يطهرها من أدران الشرك، شرك العبادة وشرك الطاعة.

وشرك الطاعة في هذا الزمن الذي راجت فيه الزندقة والإلحاد أعظم خطراً على المجتمعات البشرية من شرك العبادة.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٩].

وسمَّى الله القرآن العظيم: علماً، فهو العلم حقّاً، هو العلم الصحيح، هو العلم النافع، هو العلم الذي يجب أن يعمل به كل مخلوق، هو روح الحياة وسفينة النجاة، هو مشعل الهداية ونور الطريق،

وفق الله المسلمين زعماء ومزعومين وحكاماً ومحكومين للعمل بهذا العلم الزكي العظيم الذي هو عزهم ومجدهم ولن يجدوا العز والمجد بدونه مهما قالوا ومهما عملوا.

وفي الآية إشعار من الله لرسوله ﷺ بعداوة اليهود والنصارى لهذا الدين الحنيف عداوة أصيلة متمكنة الجذور، عداوة عنصرها الحسد والبغضاء والحقد، فهم وإن بان لهم الحق واستنار لهم الطريق لا ينقادوا لدعوة الرسول ولا يتجهوا إلى قبلته ولو جاءهم بكل آية ودليل بيان وبرهان.

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٥].

والله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن المجيد: كتاباً وحثّ تعالى ورغب في تلاوته حق تلاوته وشهد سبحانه لمن يتلونه حق تلاوته بالإيمان.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله[(١)].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما معناه: حق تلاوته؛ إذا مر بذكر الجنة سألها، وإذا مر بذكر النار تعوذ منها[(٢)].

ثم ذكر تعالى مصير الكافرين بالقرآن، وهي الخسارة التي لا تشبهها خسارة، خسارة لا يرجى بعدها سعادة ولا صلاح ولا فلاح.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٨٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١/ ٢١٨).

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾ [البقرة: ١٢١].

والله تعالى سمَّى كتابه: حقّاً ونبيّه حقّاً، وأهل الكتاب وخاصة اليهود يعرفون الرسول ﷺ معرفة لا يرتابون فيها يعرفون بأنه حق وما جاء به حق، ويعرفون أن التوجه إلى المسجد الحرام في الصلاة حق، ولكنهم من الهوى والحقد والحسد والبغضاء يكتمون هذا الحق ويتواصون بكتمانه.

وأعداؤنا بالأمس وأعداء ديننا، هم أعداؤنا اليوم وفي كل مكان وزمان، ومما يؤسف له أن البعض من أبناء المسلمين تشرق لهم الدراسة في جامعات الكفر والكافرين، فيرجعوا منها بخفي حنين، يرجعوا بالصفقة الخاسرة، يرجعوا متسممي الأفكار حرباً علينا في عقائدنا وأخلاقنا فلا حول ولا قوة إلا بالله.

قال جَلَّ ذكره: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾ [البقرة: ١٤٦، ١٤٧].

وأيضاً ربنا جَلَّ وعلا سمَّى هذا القرآن: كتاباً وآيات، وامتن تعالى على البشرية كلها وخاصة العرب، حيث أرسل منهم وفيهم رسولاً من أنفسهم يعرفون لغته وأمانته، أرسله تعالى ليهذب الأخلاق ويزكي العقول ويطهر النفوس من درن الشرك وأوضار الجاهلية الجهلا والهمجية العميا.

نعم؛ والله لقد زكت نفوس الصحابة والتابعين لهم بإحسان بتعليمه عليه السلام آيات القرآن الكريم والكتاب الحكيم، علمهم سيد المعلمين وإمام المتقين، علمهم الناصح الأمين ما لم يعلموا، علمهم التنزيل والبيان، والحكمة والقرآن، علمهم بأول مدرسة وجامعة إسلامية تخرج

منها الصالحون المصلحون، تخرج منها الأزكياء الأتقياء، تخرج منها قادة الأمم وزعماء العالم وهو مسجد الرسول ﷺ.

لقد زكت نفوس الصحابة والتابعون لهم بإحسان بتزكية الرسول عليه من ربه السلام وبتعلم الكتاب المجيد، وبالعمل بالكتاب المجيد، وهكذا يجب أن يكون التعلم والتعليم، وهكذا تكون نتائج التعليم الصحيح وثمارات العلم الصحيح.

قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١].

والله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: هدى وبينات ومنزلاً وكتاباً.

نعم؛ هو منزل من عند الله العلي العظيم، فليس هو من عند غير الله وليس بمخلوق، هذا معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، ويأتي ذلك إن شاء الله في عنوان مستقل، والكتاب هو المكتوب، وهذا القرآن كتاب عظيم كتاب أُحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم عليم، وهو آيات واضحات لا لبس فيها ولا غموض ولا خفاء، آيات بينات واضحات الدلالة والبرهان.

والقرآن العظيم هو الهدى الذي ليس بعده هدى؛ هدى من كل حيرة وضلالة، ومن كل شك وارتياب، هدى لمن اهتدى، هدى لمن كان من أهل الهداية، هدى لمن امتثل أمر ربِّ العالمين وترسم خطى النبيين والمرسلين.

وصدق الله العظيم ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ١، ٢]، وقد أشارت الآية الكريمة إلى الذين تغلغل في أعماقهم كراهية الدين الجديد وامتلأت قلوبهم من الحقد لأهله، وهم

اليهود الأغبياء الأنذال فهم دوماً وأبداً قديماً وحديثاً يعادون، ويحاربون هذا الدين وأهله، ويكتمونه خوفاً من ظهوره وخوفاً من سيطرته، ولا يغني حذر من قدر فقد أظهر الله هذا المنزل وهذا الكتاب الذي جاء لإسعاد البشرية كلها رغم ما كانت اليهود تثير من غبار وما تكنه من كتمان، وما تلقيه من شكوك وأراجيف في صفوف الجماعة المسلمة، فعلى اليهود لعائن الله المتتابعة ولعائن خلقه أجمعين إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩].

ووصف الله تعالى القرآن بكونه منزلاً وسمَّاه: كتاباً.

والآية الكريمة من الآيات التي ذم الله فيها اليهود الذين تسربلوا بالكذب، وارتدوا بالكتمان كتمان الحق المبين كتمان صفة محمد ﷺ التي وجدوها في التوراة ناصعة بيضاء واضحة جلية كالشمس في رابعة النهار، كتموها وتكاتموها بغياً وحسداً وهلعاً وطمعاً بما يناله علماء اليهود ويتحصلون عليه من سحت الدنيا من أتباعهم من العرب وغيرهم.

ورد أن بعض العرب كان يهدي لليهود الهدايا ويخصهم بالتحف، ومن المتحقق أن العرب إذا أسلموا واتبعوا محمداً انقطع عن اليهود ما كان يأتيهم من صلات، وكلُّ من أكل المالَ الحرام فإنه يأكل في بطنه نار جنهم ومنه الرشوة في الحكم وغيره.

وقد لعن عليه السلام الراشي والمرتشي ومنه الربا في البيع والشراء، وكثير من البنوك وكثير من أفراد المجتمع تعاملوا بالربا فلا حول ولا قوة إلا بالله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾ [البقرة: ١٧٤].

والله تعالى أنزل القرآن العظيم بالحق، وسمَّاه: كتاباً، والحق هو الصدق والعدل والإنصاف.

فالقرآن هو الحق ومنه يعرف الحق، وبه يحكم من يريد الحق والذين اختلفوا في هذا الكتاب هم في شقاق؛ أي: في خلاف وحيرة وشك وارتياب، فلا بد من الإيمان بهذا القرآن، ولا بد من تطبيقه دستوراً ونظاماً.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة: ١٧٦].

وأيضاً سمَّى الله هذا القرآن الكريم: كتاباً وأخبر تعالى أن البر وهي كلمة جامعة لمعاني الخير كله هو الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.

فالإيمان بهذا الكتاب والعمل بهذا الكتاب وتطبيقه نظاماً ودستوراً شرط لإيمان كل مخلوق.

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والله جَلَّ شأنه سمَّى ما أنزله على رسوله ﷺ: هدًى وقرآناً وفرقاناً وبينات.

فهذا القرآن العظيم سوره وآياته واضحة الدلالة ناصعة البيان، ليست بألغاز ولا أحاجي.

وهذا القرآن أيضاً فرق بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام، وأبان الحجة وأوضح المحجة، وهو هدى من كل حيرة وضلالة ومن كل شك وارتياب.

وهدى من كل المذاهب الهدامة للدين الإسلامي وللأخلاق والفضيلة.

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والله عز شأنه سمَّى كتابه: «بيِّنات»، وحذر تعالى من الزيغ والزلل بعد الحجة والبيان، ومن الضلالة والعمى بعد الهدى، وأخبر تعالى أنه عزيز في انتقامه، وعزيز في عذابه لمن خالف أمره وارتكب نهيه، وهو تعالى أيضاً حكيم في أمره ونهيه وحكمه، ويأتي ذكر العزة لله والحكمة له تعالى فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

قال تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ [البقرة: ٢٠٩].

وفي آية كريمة سمَّى الله القرآن: كتاباً وآيات، ووصفه تعالى بكونه منزلاً، وأخبر جَلَّ ذكره بأنه يعظ بهذا القرآن أمة الإسلام يعظهم ويأمرهم بالعدل والإنصاف فلا ظلم ولا جور ولا اعتداء، وبالأخص مع ربة البيت وقرينة الحياة، وأخت المسلم في الإسلام، فإذا أراد الزوج الطلاق فلا بد أن يكون الطلاق شرعيّاً لا كذب فيه ولا تغرير، ولا تضليل ولا ظلم ولا جور ولا حرام.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة: ٢٣١].

۞ ۞ ۞

آيات من سورة آل عمران

وقد سمَّى الله هذا القرآن: آيات، وكتاباً وفرقاناً، وقد وصفه تعالى بما هو لائق به، وصفه بالصدق والتصديق.

نعم؛ هو الصدق ومنه يعرف الصدق، ووصفه بالأحقية فهو الحق وبه يعرف الحق، ويحكم به من أراد الحق، والحق هو العدل والإنصاف.

ولذا ومن أجل ذا جاء هذا القرآن، كتاباً فارقاً بين الحق والباطل، وبين الغي والرشاد، وبين الهدى والضلال، هو كتاب الأمة الإسلامية هو دستورها العظيم في كل زمان وفي كل مكان، كتاب فيه حل لجميع مشاكل الحياة بأحسن نظام وأعدل أحكام.

كتاب هذب أخلاق الأمة الإسلامية وزكى نفوسها، وبه ومن أجله تكون وقام للعرب وللمسلمين دولة قوية الأركان مرهوبة الجانب، بل كانوا بأسرع وقت ساسة الأمم وزعماء العالم وقادة الشعوب بعدما كانوا معدومين من سقط المتاع لا وزن لهم ولا قيمة عالة على غيرهم في دينهم ودنياهم.

وكتاب الأمة الإسلامية هو كتابها اليوم، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، والذي أصلح أولها هو دين الإسلام.

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ

وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران: ١ ـ ٤].

وأيضاً سمَّى الله القرآن العزيز: كتاباً وآيات، وأخبر تعالى بأن منه آيات محكمات واضحات الدلالة والبيان.

ومنه آيات فيهن اشتباه والتباس، فلا مسرح للعقول ولا مجال للتفكير في معرفة معناها؛ كالحروف في فواتح بعض السور، فأما من طلب الحق وتعرف عليه فإنه يؤمن بالمتشابه ويؤمن بالمحكم ويعمل به، وأما مَن تأول القرآن على غير تأويله وفسره بغير المراد منه فهو من الزائغين، ومن علامات الزيغ اتباع المتشابه.

كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم**»(١).

وقد اختلف علماء الأمة الإسلامية في المتشابه؛ فمنهم من قال: المتشابه الحروف المقطعة في أوائل السور، وقيل: المحكم ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً والمتشابه ما يحتمل وجوهاً، وإذا ردت إلى وجه واحد وأبطل الباقي صار المتشابه محكماً، وقيل المحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ، وقيل: المحكم الذي ليس فيه تصريف ولا تحريف عما وضع، والمتشابه هو ما فيه تأويل وتصريف وتحريف، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

قال جَلَّ ذكره: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

والله جَلَّ وعلا سمَّى هذا القرآن المجيد: ذكراً وحكيماً وآيات.

بلا شك ولا امتراء هو الذكر والتذكار، هو الذكر نفسه والآمر بالذكر والمرغب فيه، والحاث عليه، هو المذكر للقلوب، والمشوق للنفوس، هو بذكره وتذكيره الباعث على كل خير والناهي عن كل شر، هو الذكر الذي بوعده ووعيده وترغيبه وترهيبه ملين القلوب وسياطها تارة وفرحها واستبشارها تارة أخرى.

وأخرج الترمذي من حديث أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الرب تبارك وتعالى: مَن شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**»[1]، وهو مع ذلك في غاية من الحكمة والإحكام، فمنطقه حكيم وأسلوبه حكيم وأمره ونهيه ووعده ووعيده حكيم.

وحكيم في أخباره، وحكيم في أحكامه، وحكيم في أمثاله، وحكيم في معناه، كيف لا وهو كلام أحكم الحاكمين، وقول ربِّ العالمين نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١]، ﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس: ١]، وقال جَلَّ ذكره في معرض قصة عيسى عليه السلام: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٥٨﴾ [آل عمران: ٥٨].

وقد سمَّى الله القرآن العزيز: آيات، وسمَّاه: صراطاً مستقيماً، وأمر الله نبيَّه ﷺ أن يصارح اليهود بكفرهم وضلالهم وبغيهم وطغيانهم حيث حاولوا بكل وسيلة، وبكل ما يقدرون عليه ويستطيعونه صد المؤمنين عن سبيل الله وعن كتاب الله، وعن منهج الله المنهج القويم والصراط المستقيم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٢٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب، والدارمي في مسنده (٣٣٥٦).

حاول اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة الفساد والإفساد، حاولوا تفريق صفوف المؤمنين وزرع العداوة بين الأوس والخزرج، حاولوا بقولهم وفعلهم وجدوا واجتهدوا.

ولكن بحمد الله فشلت المحاولة الضالة؛ لأنه لا مجال لها لأنها مع المهاجرين والأنصار، مع قوم إسلامهم صحيح وإيمانهم قوي، لا تكدر صفوه أعاصير الفتن ولا تحركه موجات الإلحاد.

وفي سياق الآيات الكريمة وعيد وإرهاب لليهود يخلع القلوب، وعيد من قادر عليه والله شهيد على ما تعملون وما الله بغافل عما تعملون.

وفي السياق أيضاً تحذير للمؤمنين إنْ امتثلوا أمر أعدائهم فكفروا بعد إسلامهم، وهذا التحذير وهذا التخويف للمؤمنين والمسلمين في كل زمان وفي كل مكان عياذاً بك اللَّهُمَّ عياذاً.

فالكثير في هذا الزمن ممن يدعي الإسلام تنكبوا الصراط المستقيم فامتثلوا أمر أعدائهم وأعداء دينهم نبذوا كتاب ربهم وراءهم ظهريّاً، نبذوا الذي به عزّهم ومجدهم واعتنقوا المذاهب الهدامة للديانة السماوية وحَكَّموا القوانين البشرية وتفرنجوا بقولهم وفعلهم واعتقادهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ٩٨ ـ ١٠١].

والله تعالى سمَّى كتابه: آيات، وسمَّاه: حبل الله، فهو آيات بينات واضحات الدلالة والبيان، تأخذ تارةً في مجامع القلوب رجاء وشوقاً وطرباً وإعجاباً، وخوفاً وإرهاباً تارة أخرى.

وهذا الأسلوب البديع الرائع هو من أساليب القرآن الحكيم.

نعم؛ قد ذهب إلى أن المراد بحبل الله: القرآن، جماعة من علماء التفسير، منهم: ابن مسعود رضي الله عنه وقتادة، والضحاك، والسدي[(١)].

وقال ابن جرير في «تفسيره»: حدثنا سعيد بن يحيى قال: حدثنا أسباط بن محمد، عن عبد الكريم بن أبي سليمان العرزمي، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض**»[(٢)].

وقال ابن كثير في «تفسيره»: وروى ابن مردويه من طريق إبراهيم بن مسلم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه**»[(٣)].

وروى الحديث أبو عبيد القاسم بن سَلَّام، ولفظه: حدثنا أبو اليقظان، حدثنا عمار بن محمد الثوري أو غيره، عن أبي إسحاق الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ، قال: «**إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرفٍ عشر حسنات.**

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٣١١).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٦٤٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٨٩).

أما إني لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

قلت: وبعض العلماء يميل إلى أن هذا الحديث من قول ابن مسعود رضي الله عنه[(١)].

والله تعالى قد امتن على المؤمنين والمسلمين، فألَّف بين قلوبهم فجعلهم أخوه متحابين بعدما كانوا أعداء متناحرين، وأمرهم تعالى بالاعتصام بحبله جميعاً، وحذرهم من شؤم التفرق والاختلاف؛ لأنه عنوان الخزي والذل والهوان.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وأيضاً قد سمَّى الله القرآن، وما فيه من حجج وبراهين: بيِّنات، بيِّنات لا خفاء فيها ولا غموض تتلى على الرسول ﷺ؛ أي: يتلوها أفضل ملائكة الرحمٰن على أفضل رسول، يتلوها جبرائيل عليه السلام على محمد ﷺ بالحق.

فالله حق وقوله حق وأمره ونهيه حق، ووعده ووعيده حق، ومن الحق: العدل والإنصاف، ومن عدله تعالى لا يظلم ولا يريد ظلماً، وهو جَلَّ ذكره الناهي عن الظلم والمحذر منه.

قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٨﴾ [آل عمران: ١٠٨].

---

(١) سنن الترمذي (٢٩١٠)، ويروى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن مسعود، ورواه أبو الأحوص عن ابن مسعود، رفعه بعضهم، ووقفه بعضهم عن ابن مسعود، هذا الحديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٣٢٧).

والله جَلَّ وعلا سمَّى هذا القرآن الكريم: هدًى وموعظةً وبياناً، الله أكبر ما أعذب هذا اللفظ! وما أطيب هذا السياق! وما أحلى هذا التعبير تعبير شائق ومشوق.

فالقرآن العظيم بيان بيِّن واضح جلي، وهدى لمن تطلب الهدى ورغب فيه، فليس القرآن هدى لكل مخلوق، وموعظة؛ أي: تذكير للمتقين.

فأكثر الخلق لا ينقصهم فهم ولا بيان، ولا موعظة ولا إرشاد، ولا دليل ولا برهان، إنما الذي ينقصهم هو الإيمان والتقوى؛ بل كثير من المسلمين لا يؤمنون ولا يتقون، وقد ذكرت التقوى في القرآن في (٢٥٢) موضعاً تقريباً، ويأتي ذلك إن شاء الله تعالى في عنوان مستقل.

قال جَلَّ وعلا: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وربنا تعالى نوَّه بذكر هذا القرآن الكريم وشوَّق النفوس إلى فهمه وبعث الهمم إلى العمل به فسمَّاه: آيات وكتاباً، وامتن الله على المؤمنين حيث هداهم بعد الضلالة وبصرهم بعد العمى، هداهم بآيات الذكر الحكيم، يتلوها عليهم الرسول النبي الكريم ويعلمهم سيد المعلمين وإمام المتقين، الكتابَ الكريم، والدستورَ العظيم.

يعلمهم رسول ربِّ العالمين التعليم النافع الذي به طهرت الأخلاق وزكت النفوس وارتفعت القيم، فتعلم القرآن وتعليمه والعمل به هو الذي به عز الدنيا وشرفها وسعادة الآخرة، وقد قيل وينسب للإمام الشافعي:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدين[1]

(١) طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٢٩٧).

ومن رحمته تعالى أن بعث في الأمة الإسلامية رسولاً من أنفسها؛ أي: من جنسها، يعرفون مدخله ومخرجه ولغته وصدقه وأمانته.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

والله تعالى سمَّى القرآن: كتاباً، ومن تشريف هذا القرآن وتعظيمه، أضافه الله إلى نفسه وأمر تعالى بلزوم هذا القرآن، والعمل به بعدما ذكر تعالى تحريم ما يحرم نكاحه من النساء وما يجوز وطئهن من المسبيات، قال: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: طبقوا نظام هذا الكتاب، واعملوا بأحكام هذا الكتاب، وتمسكوا بهذا الكتاب.

فإنه النور المبين والصراط المستقيم؛ لأنه جاء بكل خير ونهى عن كل شر، جاء بما يسعد البشرية في دنياها وأخراها، فما حرمه القرآن فهو عين الصلاح والإصلاح للفرد والمجتمع، وما أباحه فكذلك، فهو كتاب حكيم محكم حِكَمُه وأحْكامه، كلها في غاية الحِكْمَة.

وسبب نزول الآية الكريمة ما رواه مسلم والإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابوا سبايا يوم أوطاس لهن أزواج من أهل الشرك، فكان أناس من أصحاب رسول الله ﷺ تحرجوا من غشيانهن من أزواجهن من المشركين، فأنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] الآية[1].

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥٦).

وقد سمَّى الله الكتاب العزيز: قرآناً، وأمر تعالى بتدبره وتفهمه وتعقله، وأخبر أنه من عنده منزل على رسوله، فهو كلام الله حقّاً حروفه ومعانيه فلا اختلاف ولا تعارض، ولا تناقض ولا اضطراب فيه، حكيم محكم، فصيح العبارة واضح الدلالة صحيح المعاني قوي المباني، وهذا أعظم حجة وأبين بيان وأقطع برهان أنه من عند الله حقّاً، فلو كان من عند غير الله لتسرب إليه الاختلاف والتعارض والاضطراب كما يوجد في الأنظمة التي وضعها المخلوق للمخلوق.

والقرآن جاء ليُفهم ويعمل به، وهذا يقتضي وجوب تدبره، وقد جاء ذلك في أربعة مواضع من القرآن، في سورة النساء كما هنا، وفي سورة صٓ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾، وفي سورة محمد: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾، وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى[1]:

فتدبر القرآن إن رمتَ الهدى ... فالعلم تحت تدبر القرآن

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

والله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن المجيد: بينات، ونهى تعالى وحذر من التفرق والاختلافات، فالشرور والفتن الدينية والدنيوية كلها مصدرها هو التفرق والاختلاف.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥].

والله تعالى ينهى المؤمنين عن موالاة الكافرين والمنافقين، ويخبر

(١) متن القصيدة النونية (ص٤٩).

جَلَّ ذكره عما تخفيه وتكنه صدورهم من العداوة، وما يبين على لحظاتهم وما يظهر على فلتات ألسنتهم من الكراهة والبغضاء للإسلام والمسلمين.

وفي الآية دليل على أن الكافر لا يجوز أن يولَّى شيئاً من أعمال المسلمين الخاصة؛ كالكتابة مثلاً في دواوين الحكومة المسلمة، وقد سمَّى الله هذا القرآن الكريم: آيات.

فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران: ١١٨].

الله تعالى واحد أحد فرد صمد لا ربّ غيره ولا إلٰه سواه، قرر المعاد والبعث والنشور، فهو بلا ريب ولا شك ولا امتراء كائن لا محالة، وواقع كما يشاء الله ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

والحكمة الإلٰهية تقتضي ذلك فسوف يجمع الله الأولين والآخرين؛ ليجازي أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وقد جاء ذكر البعث والنشور في القرآن في (١٣٧٦) موضعاً.

وقد سمَّى الله هذا القرآن العظيم: حديثاً، في خمس عشرة (١٥) آية، ومن أصدق من الله حديثاً، ومن أصدق من الله قيلاً، وأي ناطق وأي متكلم أصدق من الله، وقد سمَّى الله القرآن: صدقاً في (٢١) موضعاً، فهذا القرآن الكريم هو الصدق والآمر بالصدق والداعي إلى الصدق والمرغب فيه.

آيات من سورة النساء

قال جَلَّ ذكره: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء: ٨٧].

وربنا جَلَّ وعلا سمَّى هذا القرآن الكريم والدستور الحكيم: كتاباً، ووصفه تعالى بكونه منزلاً وكونه حقّاً.

وقد تقدمت الإشارة بأن الله سمَّى القرآن: كتاباً في (٧٧) موضعاً، وحقّاً هذا الكتاب المجيد كتاب الأمة الإسلامية، هو الحق، وبه يعرف الحق، ويحكم به من أراد الحق.

حقّاً هذا الكتاب هو الحق، والحق أحق أن يقال، هو الصراط المستقيم، هو النبراس العظيم، هو الهدى، هو النور، هو الشفاء، هو الذي جاء لإحقاق الحق وإبطال الباطل، جاء بالأمن والإيمان والسلامة والسلام، جاء لإقامة العدالة بين الأمم ونصب موازين قسطاسها بين الشعوب والجماعات والأفراد، جاء حكماً وتشريعاً ربانيّاً لكل أمة ولكل جيل في كل زمان وكل مكان.

من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، فيجب على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يكون نظامهم ودستورهم هو القرآن الكريم.

وأي زعيم وأي مسؤول وأي شعب وأي أمة، تحكم بغير ما

أنزل الله؛ كالحكم بالقوانين البشرية التي هي من وضع البشر، فهم كافرون بالله العظيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

وأيضاً قد سمَّى الله تعالى القرآن: كتاباً، وسمَّى سُنَّة الرسول ﷺ: حكمةً، وامتن الله على رسوله وتفضل عليه وشرفه وعظمه وأكرمه بتعليمه ما لا علم له به بتعليمه هذا القرآن الكريم والذكر الحكيم، بتعليمه ﷺ ما به له ولأمته ـ أمة الإسلام ـ عزّ الدنيا وشرفها وسعادة الآخرة.

ومنة الله كبرى وفضله عظيم على الرسول وعلى أمته أمة الإسلام بهذا القرآن، ومن أجل هذا القرآن تكونت الأمة الإسلامية، وقامت دولتها دولةً مرهوبة الجانب قوية الأركان، دولةً صالحة ومصلحة، دولة الله ربها ومحمد ﷺ رسولها والقرآن دستورها، أمة الإسلام من أجل القرآن خير الأمم وأكرمها وأفضلها على الله، وربك يخلق ما يشاء ويختار، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وهذا القرآن الذي تشرفت به الأمة الإسلامية في فتوتها وريعان شبابها لا سعادة لها اليوم ولا عز ولا شرف ولا تمكين إلا به قولاً وعملاً ودعوةً واعتقاداً.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

والله تقدست أسماؤه قد سمَّى القرآن وكلامَهُ: قيلاً، وذلك بعدما ذكر تعالى مصير الكافرين والمؤمنين؛ مصير الكافرين شر مصير،

مصيرهم جهنم ودار السعير، ومصير المؤمنين دار الحبور جنات النعيم والسرور، وقول الله حق ووعده صدق، فما توعد الله به أعداءه وما وعد به أولياءه فهو كائن لا محالة فلا بد من وقوعه يقيناً، ومن أصدق من الله حديثاً ومن أصدق من الله قيلاً، فالقرآن الكريم هو عنوان الصدق ومصدر الصدق وينبوع الصدق، والآمر بالصدق والمرغب فيه.

وقد ذكر اللهُ الصدق في القرآن في (١٠٩) مائة موضع وتسعة مواضع، هذا ما يسر الله لنا إحصاءه ولله الحمد والمنة، وقد يكون في القرآن أكثر من ذلك ويأتي إن شاء الله في آخر الكتاب.

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢١، ١٢٢].

وأيضاً سمَّى الله القرآن العزيز: كتاباً، وحيث أن هذا القرآن هو المصدر الأول للأحكام وللفتوى والاستفتاء.

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧].

والله عزّ شأنه سمَّى هذا القرآن الكريم: آيات، وسمَّاه: كتاباً؛ كتاب كريم لا كان ولا يكون مثله، كتاب جاء بالصلاح والإصلاح، جاء بالخير واليمن والسعادة، جاء هدى للمتقين وحجة على الكافرين.

والآية الكريمة صريحة في أن المسلم لا يجوز له أن يجلس في مجلس يشاع فيه المنكر، يكفر بآيات الله ويستهزأ بها، بل الاستهزاء بشيء من دين الله أو بأهل دين الله كفرٌ بالله العظيم، سواء صدر الاستهزاء من كافر أو منافق أو ممن يدعي الإسلام.

وفي غزوة تبوك استهزأ جماعة من المنافقين بالرسول ﷺ وصحابته، وعلى رأس المستهزئين وديعة بن ثابت قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغبنا بطوناً وأكذبنا ألسنة وأجبنا عند اللقاء، فأنزل الله على رسوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

والاستهزاء بالدين وذم المستهزئين مذكور في القرآن في (٣٠) موضعاً تقريباً، ويأتي ذلك إن شاء الله تعالى، فيحرم على المسلم أن يجلس في مجلس فيه منكر، الراضي بالمنكر كفاعله.

مطلوب من المسلم القوة والصرامة والغيرة للهِ ولكتابه ولدين اللهِ، مطلوب من المسلم الحماسة والشجاعة، فلا يلين أمام الباطل بل يصرح ويصدح بالحق بلا مجاملة ولا مداهنة في دين الله.

يجب على المسلم أن ينكر المنكر بقوله وفعله، المجتمع البشري فيه كثير من الكفرة والفسقة والمنافقين والزنادقة والملحدين، وعند هؤلاء من البغضاء والحقد على المسلمين، وعلى دين المسلمين ما هو معلوم، فيحرم على المسلم موالاة هؤلاء، ويحرم عليه الجلوس مع هؤلاء.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

وربنا تعالى سمَّى القرآن العزيز: حقّاً، وقد ورد ذلك في (٦١) موضعاً، فالله جَلَّ شأنه حق وكتابه حق، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

هو الحق بجميع معانيه، والآمر بالحق والمرشد إليه، فأحكام هذا القرآن، وتشريعات هذا القرآن، ونظام هذا القرآن، وعظاته ووعده،

ووعيده وأمره ونهيه وقوارعه وزواجره، وعطفه ورحمته وترغيبه وترهيبه، كل ذلك حق، وكله في صالح الفرد والمجتمع، في صالح البشرية كلها في دنياها وأُخراها في كل زمان وفي كل مكان.

فيجب على المسلمين؛ رعاةً ورعية، حكاماً ومحكومين أن يكون نظامهم ودستورهم القرآن في جميع الدوائر الحكومية، ولا عز ولا نصر للمسلمين إلا بذلك، أبداً يكون للمسلمين دولة قوية الأركان مرهوبة الجانب إلا بتحكيم القرآن والعمل بالقرآن.

وحيث أنه آخر الكتب السماوية جاء تشريعاً عامّاً لكل مخلوق من بني آدم، جاء ناسخاً لكل ما خالفه من الديانات والشرائع، وحكمة الله اقتضت ذلك لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، فلو كانت رسالة محمد ﷺ، وما جاء به من الحق للعرب، أو لأهل زمانه خاصة لوجدت الأجيال القادمة المجال مفسوحاً فيقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير.

وفي الآية الكريمة يدعو تعالى عباده إلى الإيمان ويحثهم عليه ويرغبهم فيه.

والإيمان أعلى من درجة الإسلام، وقد ذكر الله الإيمان في القرآن في (٧٢٣) موضعاً، ومن لم يؤمن، وكفر بالله فلن يضر إلا نفسه والله غني عن العالمين، قال تعالى مخاطباً الناس جميعاً وهذه الآية صريحة في عموم رسالة محمد ﷺ.

قال جَلَّ ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠﴾ [النساء: ١٧٠].

والله تعالى سمَّى القرآن: نوراً، وسمَّاه: برهاناً؛ سمَّاه: نوراً في اثني عشر موضعاً، فالقرآن برهان؛ أي: بينة وحجة، لقد جاء هذا القرآن

الكريم بكل بيان، وبكل حجة واضحة جلية، جاء بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة.

فالقرآن كما هو معلوم هو مصدر التشريع، هو المنهج القويم والصراط المستقيم، هو الأصل الأصيل والمصدر الأول الذي عليه المعول في معرفة ما يحتاجه بنو الإنسان من حِكَمٍ وبيانٍ ودليل وبرهان.

والقرآن نور، نورٌ وهاج يضيء الطريق للسالكين، نورٌ ترتاح له نفوس المؤمنين والمسلمين، نور يهتدى به من الضلالة ويقتدى به من الجهالة، نور لوائحه يهتدي بها كل حيران، نور أشعته تشفي من أمراض الشهوات والشبهات، نور يحرق المغالطات، نور أضاء من رب الأرض والسمٰوات، نور لا كالأنوار، نور بهي ساطع جلي، نور ليس هو من صنع البشر، ولا من مقدور البشر، والبشرية كلها في شر وبلاء كلها في شقاء وعناء، كلها في ليل دامس، وظلام حالك كلها في حيرة وارتباك إلا من استضاء بهذا النبراس العظيم وسلك الصراط المستقيم.

وهذه الآية الكريمة من الآيات الدالة على عموم رسالة الرسول ﷺ، ووجه الدلالة من الآية صيغة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

وقد خاطب الله كل مخلوق من بني آدم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ في ثلاث وعشرين موضعاً من القرآن، وكما أن الله تعالى سمَّى القرآن: نوراً وكذا الرسول ﷺ سمَّاه: نوراً.

روى الحاكم وأبو عبيد القاسم بن سَلَّام، عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه: «**إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع**».

وروى ابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال:

قلت: يا رسول الله أوصني، قال: «**عليك بتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة**». روى الحديث الإمام أحمد[1].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٤، ١٧٥].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد (٨٤٩٤)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٤٠٨).

آيات من سورة المائدة

وربنا تقدس اسمه سمَّى هذا القرآن: نوراً، وسمَّاه: كتاباً مبيناً، وسمَّاه تعالى: هادياً يهدي به الله من كان أهلاً للهداية، يهدي به الله من اتبع رضوانه.

وبلا شك أن هذا القرآن هو كتاب الأمة كلها، فليس هذا الكتاب الكريم للعرب خاصة، بل البشرية كلها واجب عليها الإيمان، والعمل بهذا الكتاب؛ لأنه آخر الكتب السماوية، فاقتضت حكمة الله أن يكون نظاماً، ودستوراً لكل مخلوق من بني البشر.

لهذا جاء واضحاً جليّاً بيِّناً ومبيِّناً، فليس هو إشارات، ولا رموز وليس فيه إيماء ولا تعقيد كما يوجد ذلك في كلام البشر، بل جاء بأوضح عبارة وأبين بيان.

وجاء أيضاً بأعذب ألفاظ وأروع تعبير وأبدع أسلوب، إذا سمعه العاقل المنصف رق له طبعه وارتاحت له نفسه، وسكن له ضميره وتحقق بأنه من عند الله حقّاً فآمن به واهتدى، وكم اهتدى بهذا القرآن من أمم وشعوب، ومن اهتدى بهذا القرآن انقشعت عنه غياهب الظلام، وحصل له من آثار نور القرآن، ومن نور الإسلام، نور في نفسه، ونور في بصيرته، ونور في عباداته، ونور في معاملاته، ونور في إرادته، ونور في تفكيره، ونور في اختياره، ونور في قوله، ونور في عمله.

وأكثر خلق الله في أرض الله عن هذا النور معرضون، وفي دياجر

الظلمات يعمهون ظلمات الكفر والفسق والنفاق، وظلمات الزندقة والإلحاد، وظلمات الخرافات والخزعبلات، وظلمات البدع والمعاصي والمنكرات، وظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠]، والآية التي نحن بصددها صريحة، في عموم رسالة محمد ﷺ، لكل مخلوق من بني آدم؛ لأنه تعالى قال: يا أهل الكتاب، وهذا الخطاب من اللهِ فيه رقة ولين واستعطاف لليهود والنصارى، لعلهم ولعلهم يرضخوا للحق فيؤمنوا بمحمد، وبما جاء به محمد، ولكن التيه ونعرات الكبر ونخوة الحسد واقفة في الطريق، وقد خاطب الله اليهود والنصارى باسم أهل الكتاب في ستة عشر موضعاً من القرآن.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

والله تقدس اسمه سمَّى القرآن: كتاباً، ووصفه تعالى بكونه منزلاً من الله على رسوله، وقد أوجب الله على عباده المكلفين الإيمان بهذا الكتاب، كما أوجب تعالى الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها على رسله، ومعروف أن الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله هو أحد أركان الإيمان الستة، كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، فيجب على كل مكلف أن يؤمن بهذا الكتاب الذي هو أفضل كتب الله المنزلة، هو الكتاب العظيم المهيمن على الكتب كلها، أحسن كتب الله أحكاماً وأعدلها نظاماً، ومن شرط الإيمان بكتاب الله العمل بكتاب الله،

فما آمن بكتاب الله من ارتكب ما نهى عنه كتاب الله، وما آمن بكتاب الله من ترك أوامر كتاب الله، وما آمن بكتاب الله من لم يحكم بما جاء في كتاب الله.

وقد نادى المسلمين وعباده الصالحين نداءً ما أحلاه وأطيبه وأعذبه، ناداهم باسم الإيمان، جاء ذلك في القرآن في (٨٩) موضعاً.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

والله تعالى سمَّى القرآن العزيز: آيات، وأضافها تعالى إلى نفسه تشريفاً وتعظيماً، ووصف تعالى القرآن بكونه منزلاً من عنده تعالى ونهى عن أن يشترى، ومعناه: الاعتياض بآيات الله ثمناً، ولو كانت الدنيا كلها ثمناً فهي بالنسبة إلى ما يوجب غضب الله ويوجب عقابه قليل، ومنه الرشوة التي يتوصل بها إلى ارتكاب جريمة وفعل محرم.

ومن ذلك الذي يحكم أو يفتي اتباعاً لهوى نفسه أو إرضاءً لبعض الشخصيات ممن لهم سيطرة ونفوذ، فيحكم نزولاً على رغبتهم ليخصوه بشيء من المال، أو ليكون عندهم من المقربين، فهذا قد اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً، فلا عبادة إلا لله، ولا حاكمية إلا لله، ولا أمر ولا نهي إلا لله.

والآية الكريمة صريحة في أن من حَكَمَ بغير ما أنزل الله فهو كافر بالله وبالأخص إذا كان عالماً بذلك، وحكم بغير ما أنزل الله مستحلّاً لذلك أو معتقداً أن ما حكم به أحسن من حكم الله فهذا كافر بالله الكفر المخرج من الملة الإسلامية.

ولا شك أن الحكم بالقوانين البشرية، والنظم الرومانية والعادات

الفرنجية المخالفة لما جاء عن الله ورسوله كفر وضلال، كفر مخرج من دائرة الإسلام؛ لأن الآية على قول ابن مسعود وابن عباس فيما حكاه عنه ابن المنذر وحذيفة رضي الله عنهم، والحسن والشعبي والنخعي والسدي: نزلت في اليهود، وفي المسلمين، ومعروف ومتقرر لدى كل عاقل منصف أن القرآن إنما أنزله الله ليعمل به ويحكم بما فيه، وقد جاء في القرآن ستون آية كلها صريحة في وجوب الحكم بما أنزل الله، ويأتي ذلك إن شاء الله وبه العون والثقة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

وأيضاً قد سمَّى الله القرآن: كتاباً، ووصفه تعالى بكونه منزلاً من عنده ووصفه بالأحقية والصدق والهيمنة، فالله تعالى أنزل هذا القرآن بالحق؛ أي: بالصدق الذي لا شك ولا ارتياب فيه.

وكل كتاب أنزله الله فالقرآن مصدق له، وشاهد له بالأحقية فكتب الله التي أنزل على رسله وأنبيائه السابقة واللاحقة كلها يشهد بعضها لبعض ويصدق بعضها بعضاً.

ولكن ما أنزل الله على محمد بن عبد الله ﷺ، هو أحسن كتب الله نظاماً وأعمها أحكاماً، فجاء ناسخاً لبعض أحكام التوراة والإنجيل، وقد امتاز هذا القرآن بكونه جاء مهيمناً على كل كتاب أنزله الله، والمهيمن الحاكم.

فالقرآن حاكم على كل كتاب قبله، وقيل: المهيمن الشاهد؛ أي: القرآن جاء شاهداً بصحة الكتب التي جاءت من عند الله، وقد أمر الله نبيَّه ﷺ بأن يحكم بين عباده بما أنزل عليه تعالى فلا أمر إلا لله، ولا حكم إلا بما أنزل الله، وقد حذَّر الله نبيَّه في هذا السياق عن اتباع الهوى

مرتين وحاشاه الله من ذلك، وأمة الرسول أسوته في الأحكام، فيتعين على كل مسلم أن لا يحكم إلا بما جاء عن الله أو جاء عن رسوله ﷺ، فالحكم بغير ما أنزل حكمٌ بالهوى، حكم بأحكام الجاهلية، حكم بالقوانين التي وضعها المخلوق للمخلوق، وفي ذلك الضلال المبين والشر المستطير، في ذلك الظلم والجور، والاعتداء والكفر والإلحاد، في ذلك الجراءة على الله والتهجم على أحكام الله، في ذلك ظلم عباد الله وتضييع حقوقهم فكتاب الله هو: المنهاج القويم، والصراط المستقيم، هو: النور المبين، هو: الهدى، هو: الشفاء، هو شريعة الله الخالدة للخلق أجمعين، هو: الذي جاء بالصلاح والإصلاح، هو: الذي جاء بحل جميع مشاكل الحياة في كل زمان وفي كل مكان: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢].

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٨ ـ ٥٠].

وقد سمَّى الله تعالى القرآن الكريم: حقّاً في (٦١) موضعاً، ووصف الله القرآن بكونه منزلاً على الرسول ﷺ في (١٤٢) موضعاً، نعم، القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فليس القرآن فيض فاض على قلب محمد، ولا هو من تفكير محمد، ولا من عقل

محمد، وليس القرآن من كلام المخلوقين، ولا يشبه كلام المخلوقين، فهو حق من عند الله، والحق هو الصدق لا ريب في ذلك ولا شك.

وإذا كان القرآن حقّاً هو كذلك، فالحق أحق أن يتبع، فعليه يجب تطبيق نظامه والعمل بأحكامه، فالقرآن ما نزل ليحفظ ويدرس فحسب بل أنزله الله ليكون تشريعاً عامّاً لكل مخلوق حتى يرث الله الأرض، ومن عليها وهو خير الوارثين.

وأفراد من النصارى على قول كثير من علماء السير والتفسير هم النجاشي، ومن أسلم من قومه لما سمعوا شيئاً من القرآن، هي سورة مريم رتلها وترنم بآياتها صحابي جليل، هو جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقيل: هم رسل أرسلهم النجاشي إلى رسوله الله ﷺ، فقرأ عليهم ﷺ سورة يس، قرأ عليهم أعلم الخلق بعظمة الخالق، قرأ عليهم الذي إذ قرأ آيات الذكر الحكيم يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء.

فحينما سمع القوم ذلك عرفوا الحق بحقيقته فزالت عنهم نعرات الجاهلية، وانزاحت عنهم القومية والعصبية والعنصرية.

ثم اهتزت الأعطاف، وتحركت المشاعر وخشعت القلوب واشتاقت النفوس ثم ترقرقت العيون بدمعها ثم فاض الدمع غزيراً، يسيل مرة ويتقاطر أخرى، معبراً عن التأثر وعن التصديق والإيمان.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: ٨٣ ـ ٨٥].

والله تقدس اسمه سمَّى ما أنزل على رسوله: قرآناً، ووصفه تعالى بكونه منزلاً، وقد خاطب الله عباده الصالحين باسم الإيمان في مواضع كثيرة من القرآن عددها (٨٩) موضعاً، وهي شهادة من الله لعباده الصالحين الأتقياء بالإيمان، فيا له من خطاب، ما أعظمه وما أحلاه! وما ألطفه من خطاب بعده إرشاد وتوجيه وتربية وتأديب، يؤدب الله عباده المؤمنين وينهاهم عن سؤال كل ما من شأنه ليس فيه مصلحة لا دينية ولا دنيوية، فلربما يكون السؤال للرسول ﷺ سبباً للتكاليف الشاقة، أو التي لا تطاق، أو يكون السؤال سبباً لإيجاب ما لم يكن واجباً قبل ذلك أو سبباً لتحريم ما لم يكن محرماً، ومن ذلك السؤال عن شيء من الأمور المغيبة التي استأثر الله بعلمها.

وقد قال عليه السلام: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[(١)].

وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود من حديث سعيد بن مالك بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته**»[(٢)].

وأخرج الشيخان والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**دعوني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[(٣)].

وفي «مسند البزار» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ما رأيت قوماً أخير

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٢٣١٧)، وابن ماجه في سننه (٣٩٧٦)، وأحمد في مسنده (١٧٣٧)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٩)، ومسلم (٢٣٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

من أصحاب محمد ﷺ، ما سألوه إلا عن اثنتي عشرة مسألة كلها في القرآن.. وذكر الحديث[١].

أما إذا كان السؤال لا محذور فيه أو كان عما يشكل من أمر الدين أو مما ينفع في الدنيا فلا مانع منه، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣].

وقال عليه السلام: «**ألا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاء العي السؤال**». رواه أبو داود والدارقطني من حديث جابر[٢].

وحيث أن القرآن هو مصدر التشريع، وأحكام العبادات، وأحكام المعاملات التي تحفظ بها حقوق الآدميين لا تعرف إلا من مصدرها وهو القرآن، جاءت الآية الكريمة صريحة في ذلك.

والأقوال في سبب نزول الآية ستة، ذكرها ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير»، منها: أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال: «**إن الله كتب عليكم الحج فحجوا**»، فقال رجل: أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، ثم قال: «**ذروني ما تركتكم، لو قلت: نعم، لوجبت ولما استطعتم الحديث**». رواه مسلم والنسائي[٣].

فأنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [المائدة: ١٠١].

والله جَلَّ ذكره سمَّى هذا القرآن: آيات، وسمَّاه: حقّاً، فالقرآن كما تقدم آيات واضحات الدلالة والبيان، وهي في جملة القرآن الذي هو حق.

---

(١) مسند البزار (٥٠٦٥).
(٢) أخرجه أبو داود (٣٣٦)، وابن ماجه (٥٧٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود.
(٣) أخرجه مسلم (١٣٣٧).

وحيث أن الله تعالى وصف القرآن بكونه حقّاً وهو كذلك، والحق هو الصدق فيجب تعلم هذا الحق وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه، ثم يجب تطبيق نظامه والعمل بأحكامه؛ لأنه الحق المبين والصراط المستقيم.

والآية الكريم مشعرة بأن القرآن له خصوم معارضون، وخصوم معارضون، وأعداء ألداء متكبرون، ومكذبون ومستهزئون هكذا كان عندما أنزل الله على محمد بن عبد الله ﷺ هذا القرآن، صرح بالتكذيب والاستهزاء البعض ممن نزل القرآن بلغتهم وهم العرب، وكذا اليهود والنصارى عارضوا القرآن وكذبوا بالقرآن إلا أفراداً منهم.

ولكل قوم وارث، فالتكذيب موجود في هذا الزمان، كما وجد قديماً ولكنها بحمد الله معارضات وتكذيب وتشدقات وشنشنات باءت بالفشل، فنباح الكلاب لا يضر السحاب.

وليس الخبر كالعيان فأعداء القرآن والمكذبون بالقرآن والمشوهون للقرآن، الغيظ يحرق نفوسهم والحقد يأكل قلوبَهم، ولهم التهديد والعذابُ الشديد سوفَ يأتيهم الخبر اليقين عقاب وعذاب لا يعرفون وقته ولا نوعه.

❁ ❁ ❁

آيات من سورة الأنعام

قال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنعام: ٤، ٥].

والله تعالى ذكره وتقدس اسمه سمَّى ما أنزل على رسوله: قرآناً، وسمَّاه: نذيراً ووصفه بكونه وحياً من الله، فسمَّى الله كتابه العزيز: نذيراً في (١١) موضعاً من القرآن، وسمَّاه: قرآناً في (٦٣) موضعاً.

ووصفه تعالى بكونه وحياً في (٤٥) موضعاً، وقد تقدم ذكر ذلك ولله الحمد والمنة، فالقرآن هو النور المبين، والصراط المستقيم والدستور العظيم، وحجة الله على خلقه أجمعين.

وأبين بيان وأعظم برهان على صدق الرسول ﷺ، هو القرآن الكريم، وأعظم شاهد على ذلك هو الله تعالى شهادة من عليم حكيم، والآية الكريمة صريحة في عموم رسالة الرسول ﷺ لكل مخلوق من بني آدم، فكل من بلغه القرآن فقد قامت عليه حجة الله.

فيجب عليه أن ينقاد للدين الجديد، يجب عليه أن يسلم لله ربِّ العالمين، ويأتي إن شاء الله ذكر الآيات الواردة في عموم رسالة الرسول ﷺ، وأعظم شهادة وأزكاها على وحدانية الله وإفراده بالعبادة هي شهادة الله جَلَّ وَعَلَا، فلا ألوهية ولا عبادة إلا للهِ، ولا أمر ولا نهي إلا للهِ ولا حاكمية ولا حكم إلا لله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله،

والرسول ﷺ في هذه الآية الكريمة قد أمر الله أن يخاطب الجاهلية العابدة غير الله، والحاكمة بغير ما أنزل الله.

وها هي جاهلية أبي جهل أطلت على العالم بل قد طغت موجاتها الإلحادية على المجتمعات البشرية، بل جاهلية هذه الأجيال أعظم كفراً وأكثر شروراً من الجاهلية الأولى، فأكثر المنتسبين للإسلام اسم بلا مسمًّى، يعبدون غير الله ويمتثلون أمر غير الله ويحكمون بغير ما أنزل الله، فكل مخلوق امتثل أمر مخلوق في معصية الله فقد عبده من دون الله.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام: ١٩].

والله تعالى سمَّى كتابه العزيز: آيات، نعم، هو آيات نيرات، آيات باهرات، آيات عظيمة المعاني قوية المباني، آيات تفيض من جوانبها الحِكمَة والأحكام، آيات رصينة هي منابع العلم والعرفان.

بل العلوم النافعة كلها عنصرها ومصدرها الأصيل، هو آيات القرآن المجيد، يعرف ذلك من أمعن النظر في القرآن تأملاً وتدبراً، ورحم الله ابن قيم الجوزية حيث قال:

تدبر القرآن إن رمت الهدى ... فالعلم تحت تدبر القرآن[1]

وقال ابن مشرف رحمة الله عليه:

منه ينابع العلوم تفجرت ... وما كان من علم فمن عذب مائه[2]

ولا فوز ولا فلاح لمن كذب على الله وكذب بآيات الله، بل ولا

---

(١) تقدم.

(٢) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (ص٧٦٧).

أضل ولا أظلم ممن كذب بآيات الله وبما جاء عن الله.

قال الله عزَّ سلطانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: ٢١].

وأيضاً سمَّى الله هذا القرآن: آيات، والمكذبون بآيات الله، وبوعد الله ووعيده سيفيقوا من خمرة الهوى، ومن سكر الطغيان حينما يبين لهم خسرانهم ويتضح عذابهم فيتمنوا العودة والرجوع لدار الدنيا ليكونوا من المؤمنين المصدقين، وهيهات ضاعت الفرصة وفات الأوان، وبان الربح من الخسران، وصار الأمر جليّاً عندما يوقف الكفرة والمجرمون، والطغاة والمتجبرون، والظلمة والفاسقون، والزنادقة والملحدون، الموقف الموحش الحرج الرهيب.

يوقفوا على شفير جهنم فيروا، ويسمعوا ما ليس لهم بالحسبان، يروا ويسمعوا ما يذهل عقولهم ويبلبل أفكارهم ويخدر أعصابهم، يروا تغيظ نار جهنم ويسمعوا زفيرها ويروا سوادها الحالك المظلم وشررها كبير الحجم.

حينئذٍ يتمنوا العودة والرجوع محاولة وتمويهاً وكذباً.

قال جَلَّ ذكره: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨].

وأيضاً سمَّى الله جَلَّ شأنه القرآن العزيز: كلمات وآيات، الله أكبر عزَّ شأن ربنا وتقدس اسمه، القرآن كلمات وآيات، هي قرة العيون وشفاء لما في الصدور، كلمات وآيات حكيمة محكمة، كلمات وآيات فيها الصلاح والإصلاح، كلمات وآيات جاءت بالخير والسعادة لمن آمن وصدق، وآيات القرآن صريحة في أن صناديد قريش أبا جهل وشيعته

مقرون ومعترفون بأن ما جاءهم به محمد ﷺ من عند الله حقّاً، ولكنه الحسد والطغيان والجهل ونعرات الجاهلية، والتحامق والكبر والتيه والأنفة يعرفون أمانة الرسول ولهجته الصادقة، ولكن منعهم من تصديق الرسول ومن الإيمان بالرسول حذاراً من أن يكونوا أتباعاً لبني عبد مناف، كما صرح بذلك أبو جهل، ومن كرم الرسول ﷺ على ربه يعزيه تعالى ويصبره ويسليه فيخبره بأن له بمن قبله من الأنبياء والمرسلين أسوة وله بهم قدوة لما صبروا على تكذيب قومهم جاءهم النصر، وسُنَّة الله في خلقه العاقبة للرسل وأتباع الرسل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨]، والصبر مذكور في القرآن في (٩٦) موضعاً، والصبر مفتاح الفرج، وبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين[١].

قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣].

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤].

والله تعالى سمَّى القرآن: كتاباً، نعم، هو كتاب عظيم، لا كان ولا يكون مثله، كتاب جاء لإسعاد البشرية في دنياها وأخراها، كتاب جاء بحل مشاكل الحياة في كل زمان ومكان.

نعم؛ يا عباد الله ويا مسلمين، كل ما يحتاجه المكلفون في أمر دينهم وعقائدهم ومعاملاتهم ومشاكلهم الاجتماعية مذكور في القرآن؛ إما صريحاً مفصلاً وإما مجملاً، بيَّنته سُنَّة الرسول ﷺ كما في قوله تعالى:

---

(١) قاعدة في الصبر (ص٩٤)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص٧٢).

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨].

وأيضاً سمَّى الله القرآن العزيز: آيات، نعم، هو آيات بينات وحجج قاطعات، آيات يجب الإيمان والتصديق بها ويجب أيضاً العمل بمقتضاها، ومن كذب بآيات الله فهو أصم لا يسمع القرآن، وأبكم لا ينطق به، يعمه ويهيم في ظلمات الشك والشرك، والحيرة والكفر والضلال، بعيد من كل خير، قريب من كل شر.

والأمر لله والخلق خلق الله والمشيئة له تعالى، فمن علم الله فيه خيراً جعله مستقيماً على صراط مستقيم، ومن اشمئز وتكبر عن عبادة الله وطغى وبغى وتنكب الصراط المستقيم، فهو في ضلاله يهيم ومأواه دار الجحيم.

قال جَلَّ ذكره: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام: ٣٩].

وأيضاً الله تعالى سمَّى كتابه الكريم: آيات مصرفات، ومن رحمته تعالى وحكمته ولطفه بعباده، هو تصريفه لآيات الذكر الحكيم، والتصريف: هو التوضيح والتبيين، فلا لبس ولا غموض ولا خفاء في آيات الله، ومن كذب بآياته تعالى فله العذاب الأبدي والنكار السرمدي.

نعم؛ آيات القرآن، صرفها الرب العليم الذي يعلم السر والنجوى، صرفها العالم بمصالح عباده وخلقه أجمعين، صرفها الذي أنزلها على رسوله ﷺ.

صرفها الرب جَلَّ وَعَلَا فجعلها ظاهرة لا خفاء فيها ولا غموض، بينة واضحة جلية منوعة؛ فتارة تأتي آيات القرآن بالأمر والنهي، وتارة

بالترغيب والترهيب، وتارة بالوعد والوعيد، وتارة بالإنذار، والإعذار، وتارة بالحكم وتارة بالأحكام، وتارة بالأمور الغيبية ماضية ومستقبلة، وتارة يأتي اللفظ مختلفاً والمعنى واحد، وتارة بالقصص والأخبار، وتارة بضرب الأمثال، وغير ذلك.

بهذا التصريف وبهذا الأسلوب البديع الرائع الجذاب، وبهذا الرونق الجميل، لعل، ولعل المكلفين من بني البشر يؤمنوا، ويصدقوا فيعملوا بالمنهج القويم ويستقيموا على الصراط المستقيم، فيكون لهم العز والشرف والسيادة والقيادة، في الدنيا والسعادة في الآخرة، ولكن ويا للأسف ما لميت بجرح إيلام وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنعام: ٤٦].

وقال جَلَّ ذكره: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنعام: ١٠٥].

وقد سمَّى الله القرآن: نذيراً، جاء ذلك في القرآن في (١١) موضعاً، والإنذار في لغة العرب: هو الإعلام، والقرآن العزيز نذير بفصاحته وبلاغته، ونذير بحكمه وأحكامه، ونذير بوعده ووعيده، ونذير بمعانيه البديعة، وأساليبه الرائعة، نذير من الكفر والشرك، ونذير من الظلم والطغيان، ونذير من البدع والمعاصي، ونذير من عذاب الله وأليم عقابه.

وقد أمر الله نبيَّه ﷺ أن ينذر بالقرآن كل مخلوق، وبالأخص الذين ينتفعون بالنذارة لخوفهم من الله فيخشونه ويتقونه، يتقون ربهم امتثال أمره، واجتناب نهيه، يتقون الله تعظيماً له تعالى، ويتقونه لتصديقهم وإيمانهم بالأمور الغيبية التي أخبر الله بها؛ كالبعث، والنشور، ويتقي المؤمنون ربهم لمعرفتهم بأنه ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع، والبعث وحشر الخلائق مذكور في القرآن في أكثر من ألف وثلاثمائة موضع، ويأتي تحديد ذلك إن شاء الله تعالى، البعث مذكور في (١٣٧٦) آية.

قال جَلَّ ذكره: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام: ٥١].

والله جَلَّ شأنه قد وصف القرآن المجيد بكونه آيات مفصلات، نعم، الله تعالى فصل آيات ما أنزل على رسوله ﷺ؛ أي: جعلها واضحة بيِّنة جلية، لا لبس ولا غموض ولا خفاء، لعل ولعل الخلق يفيقوا من سكر الهوى، ويصحوا من الجنون المطبق فيؤوبوا إلى رشدهم فيؤمنوا بالله ويصدقوا رسول الله، وفصل الله آيات القرآن؛ لينتفي العذر وتقوم الحجة على العباد، وفصل الله آيات القرآن؛ ليكون المؤمنون والمسلمون من أمر دينهم وعقيدتهم على يقين وعلى هدى وعلى نور وعلى بصيرة.

وفصلت آيات القرآن؛ ليستبين للمسلمين أمر الكفرة والمشركين والظالمين والفاسقين والزنادقة والملحدين والمنافقين والمجرمين، سواء كانوا من الذين يزعمون الإسلام وينتسبون إليه والإسلام منهم بريء، وما أكثرهم في هذا الزمن لا كثرهم الله، أو من غير المنتسبين له.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥].

وقال جَلَّ ذكره: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ

ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام: ٩٧].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنعام: ٩٨].

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأنعام: ١٢٦].

والله جَلَّ شأنه سمَّى كتابه العزيز: حقّاً، نعم، القرآن الكريم هو الحق بجميع معانيه وجاء بالحق ودعا إلى الحق وأمر بالحق ووصى بالحق، هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك يعتريه، هو الحق والحق أحق أن يتبع وماذا بعد الحق إلا الضلال.

وصلاح الفرد والمجتمع والراعي والرعية والزعيم والمزعوم في كل زمان ومكان هو تطبيق نظام القرآن، والعمل به عقيدة ودستوراً وخلقاً وسلوكاً وأحكاماً ونظاماً: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، ومهما قال ومهما عمل أي مخلوق من بني آدم فإنه لا يكون في الدنيا شريفاً معظماً، وفي الآخرة سعيداً، إلا إذا قال بالحق وعمل بالحق وأمر بالحق.

وكما أنه كذب بهذا الحق ولم يعمل به أكثر خلق الله في زمن بعثة رسول الله، فقد كذب به الجم الغفير والسواد الأعظم في هذا الزمن، بل كذب به كثير ممن يزعمون الإسلام ويتشدقون به نفاقاً، ونبذوه وراءهم ظهريّاً، فكان الذل حليفهم والخزي سربالهم، وتتابعت عليهم الهزائم من صهاينة اليهود، فوالله وبالله وتالله لا فخر ولا عزَّ ولا تأييد ولا نصر لأمة الإسلام إلا بالإسلام وتطبيق أحكام الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۖ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنعام: ٦٦، ٦٧].

والله تعالى سمَّى ما أنزل على رسوله ﷺ: تذكرة وذكرى وتذكيراً، صدق الله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢]، القرآن الكريم هو: آية الله العظمى ومعجزة الرسول الكبرى.

وليس شيء أنفع ولا أبلغ من القرآن تذكرة به وتذكيراً، فهو بفصاحته وبلاغته ورونقه، وحسن أسلوبه، وجمال تركيبه وأمره ونهيه ووعده، ووعيده، وترغيبه وترهيبه، وقصصه وأخباره وحِكَمِه وأحْكامه وأعاجيبه العجيبة، هو الغاية في الذكرى والتذكير، هو سياط القلوب، والملين لها والحافز للهمم، هو الذي هزّ الأعطاف وشوق النفوس، وأوجد الصدق والتقوى والإيمان.

فجعل من هذه الأمة طائفة، رهباناً بالليل أُسُوداً بالنهار، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.

نعم؛ القرآن الكريم هو كذلك وأعظم من ذلك، القرآن هو الذي جعل الرسول وصحابة الرسول: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]، هكذا كان الرسول وصحابة الرسول والتابعون لهم بإحسان، بالقرآن ومن أجل القرآن يعادون في الله ويوالون في الله ويحبون في الله ويبغضون في الله، فلا مجاملة ولا مراوغة، ولا مداهنة في دين الله، وقد قال رسول الله ﷺ: «**من التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضى الناس**

بسخط الله وكله الله إلى الناس». رواه الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها[(١)].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنعام: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠].

والله جَلَّ ذكره في سورة الأنعام، سمَّى القرآن العظيم: كتاباً، ووصفه تعالى بالأوصاف اللائقة به، وصفه بكونه منزلاً من عند الله فليس بمخلوق كما تقوله الجهمية، وليس هو من قبل محمد ولا فيضٌ فاض على قلب محمد من العقل الفعال، كما تقوله الزنادقة والصابئة، وليس من كلام البشر ولا يشبه كلام البشر بل هو تنزيل من حكيم حميد.

ووصفه مَن أنزله رحمةً للعالمين بالصدق والتصديق: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧]، فالقرآن صدق، وأمر بالصدق، وحث عليه ورغب فيه، ومصدق لما بين يديه من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل، ومعنى ذلك: أن القرآن يوافق ما جاء في الكتب السماوية، ويصدق ما جاء فيها من وجوب توحيد الله وإفراده بالعبودية، والدعوة إلى ذلك وإن خالفها في بعض الأحكام الفرعية.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٤)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

ووصفه تعالى بالبركة، وصدق الله العظيم القرآن في نفسه مبارك؛ مبارك بجميع معاني البركة، مبارك في أمره ونهيه، ومبارك في وعده ووعيده، ومبارك في حِكَمِه وأحْكامه، فسور القرآن وآياته وحروفه، كلها بركة، كلها في صالح المجموعة البشرية في دنياها وأخراها، فتجد السورة القصيرة والآية الواحدة، قد اشتملت على الفصاحة والبلاغة والأحكام الحكيمة، والمعاني الجليلة والأسرار البديعة.

وقد أمر الرسول ﷺ أن ينذر أم القرى، وهي مكة المكرمة، ومن حولها، والمراد بمن حولها: جميع أهل الأرض، ولا فرق بين العرب والعجم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قال جَلَّ ذكره: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام: ٩٢].

والله تقدس اسمه في سورة الأنعام سمَّى القرآن: بصائر، وقد جاء ذلك في ثلاثة مواضع من القرآن.

والبصائر جمع: بصيرة، وهي الأدلة والبينات الواضحة والحجج القاطعة، والبراهين الساطعة التي اشتمل عليها القرآن العزيز، وجاءت صريحة فيه.

نعم؛ القرآن المجيد هو البصائر حقّاً، هو الهدى، هو النور، هو الشفاء، لما في الصدور، هو البصائر من الكفر والشرك، ومن الشك والريب، ومن الجهل والغرور، ومن الفسوق والفجور، ومن تبصر بالقرآن وأبصر وعرف الله وعظَّمه عرفه بأسمائه وصفاته، وآلائه عرف الله وعرف العقيدة الإسلامية، وعرف الديانة الشرعية، والأحكام الإسلامية،

وعمل بذلك، فكان من أمر عقيدته ودينه على يقين، وعلى هدى وعلى نور، وعلى بصيرة، آمن بالله وعمل بما جاء به رسول الله ودعا إلى ذلك فهو المؤمن حقّاً، هو الذي أبصر: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٠٤]، هو الذي سبقت له من الله السعادة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، ومَن هُدي فلم يهتدِ، وبُصّر فلم يتبصر وعمى عن بصائر القرآن، وتعامى عن حججه وبراهينه وتمادى في جهله وغيه وطغيانه، وظلمه وجوره، وفسوقه وحمقه وغطرسته وفجوره ومجونه.. فهذا عماؤه عياذاً بالله عماءُ بصيرة، وضرر ذلك على نفسه ووباله عليه، وربك للظالمين بالمرصاد.

وليس الرسول ﷺ بحفيظ على المكلفين من بني آدم يراقبهم ويحصي عليهم أعمالهم، وإنما ذلك إلى الله تعالى فهو الذي يعلم ما تخفيه الصدور وما تكنه الضمائر، يعلم السر وأخفى، لا إلٰه غيره ولا ربّ سواه.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٤].

وفي سورة الأنعام أيضاً سمَّى الله تعالى القرآن: كتاباً وآيات بينات، ووصفه تعالى بكونه مباركاً ومنزلاً من عنده، وأمر تعالى باتباع القرآن والعمل بالقرآن، ومن اتبع القرآن وانقاد لأوامره فهو من أهل رحمة الله، ومن الذين سبقت لهم من الله السعادة، وأيضاً سمَّى الله القرآن: هدى ورحمة.

وصدق الله العظيم القرآن كتاب كريم، كتاب عظيم، كتاب لا كان ولا يكون مثله أحسن الكتب السماوية أحكاماً، وأعدلها نظاماً، كتاب وآيات بينات وحجج قاطعات.

وهو أيضاً هدى ورحمة، هدى للمهتدين ورحمة للمؤمنين، هدى من العمى والضلالة، وهدى من الشك والريب، وهدى من الحيرة والتردد والارتباك: ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩]، ولا والله لا سعادة للبشرية جمعا، في كل زمان ومكان إلا إذا تبصرت من عماها واهتدت بهداه.

ولكن المصيبة عظمى والفتنة عميا، أكثر خلق الله في أرض الله مجرمون ومعرضون لا يقبلون الهدى ولا يتبصرون من العمى، وصدق الله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف: ٥٧]، ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، وكيف لا يكون القرآن هو الهدى، وهو كلام ربِّ العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب سيد الأولين، والآخرين محمد بن عبد الله صلّى عليه ربُّ العالمين.

والقرآن أيضاً كله خير وسعادة وبركة، بركة لا منتهى لها، نعم وعزة ربي القرآن المَجيد هو ينبوع البركة ومعينها الصافي ومصدرها الأصيل، هو والله هدى ورحمة وبركة في جميع المجالات التي اشتمل عليها القرآن، مجال التوحيد والعبودية، ومجال العقيدة الإسلامية، ومجال الحِكَمِ والأحْكام، ومجال الأمر والنهي، ومجال الوعد والوعيد، ومجال الترغيب والترهيب، ومجال الإخبارات والأقاصيص، ومجال ضرب الأمثال، وغير ذلك مما احتوى عليه القرآن الكريم من المعاني الجليلة، والأسرار البديعة، فهو إذاً أعجوبة الدهر وسفينة النجاة وحصن السلامة، ومستحيل شرعاً وعقلاً أن يكون للأمة الإسلامية دولة قوية الأركان مرهوبة الجانب ولها مكانتها بين الأمم إلا إذا تمشت على نظام القرآن، وطبقت أحكام القرآن قولاً وفعلاً، واعتقاداً.

تَنْبِيهٌ

أمة الإسلام هي في أمس حاجة وأعظم ضرورة إلى شيئين: عقيدة صحيحة، وزعامة إسلامية يسر الله ذلك بمنه وكرمه.

نعم؛ واللهِ ضرورة ولا بد أن يكون الشعب عقيدته وإسلامه صحيحاً وكذا زعيم الشعب، أما إذا كانت العقيدة مفقودة أو ضعيفة، أو الزعامة لا تحترم الدين ولا صلة لها بالدين فقل على الحياة العفاء وعلى أمة الإسلام السلام.

قال جَلَّ ذكره: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأنعام: ١٥٦].

وقال تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأنعام: ١٥٧].

❁ ❁ ❁

آيات من سورة الأعراف

والله تعالى سمَّى القرآن العزيز: كتاباً في (٧٧) موضعاً، وفي (١١) موضعاً سمَّاه الله: نذيراً، وفي (٥٥) موضعاً سمَّاه الله: تذكرة وذكرى، وفي (١٤٢) موضعاً سمَّاه ووصفه تعالى بكونه: منزلاً، وسمَّى الكتاب: كتاباً؛ لجمع بعضه إلى بعض ولجمعه الحروف والكلمات.

والرسول ﷺ جاء بهذا الكتاب الكريم والنبراس العظيم والذكر الحكيم من عند الله؛ لينقذ البشرية من غوايتها، ويخلصها من شقائها ومن طغيانها؛ جاء لينقذ البشرية من شرورها، ومن انتكاسها وهمجيتها، ومن تهورها وتفسخها وانحلالها، ومن ظلمها وفجورها، ومن كفرها وفسوقها.

وبلا شكٍّ ولا ريب كل جيل وكل أمة تعيش بلا عقيدة ولا شريعة ولا دين هي والله في شقاء وعناء، وفي جاهلية جهلا وهمجية عميا مهما كانت وأين كانت ولو كانت ما كانت.

فها هي أوروبا قد سئمت من مدنيتها المزعومة، ويفكر عقلاؤها بالعلاج الذي ينقذها من ويلاتها وانحلالها وفساد أخلاقها ومن مجونها وخلاعتها وشقائها.

والسعيد مَن وُعظ بغيره، والله تعالى في صدارة هذه السورة سورة الأعراف يقوي عزيمة الرسول ﷺ فيقول تعالى: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢]، والحرج هو الضيق فامضِ لما أمرت به ولا

تبالي بتكذيب المكذبين، ولا بإيذاء الجاهلين، فإن النصر والعاقبة لك ولأتباعك من بعدك.

وقال مجاهد وقتادة والسدي: الحرج: الشك؛ أي: لا تشك في أنه منزل من عند الله، وهذا التثبيت الذي خاطب الله به رسوله ﷺ، هو تثبيت لأتباع الرسول، وبالأخص المرشدون والموجهون والمصلحون، والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

والذين يغرسون عقيدةً إسلامية ويربون جيلاً جديداً إسلاميّاً، فإنهم ولا بد أن ينالهم ما ينالهم ولكن العاقبة للمتقين، فهذه الآية الكريمة، وما شاكلها من آي القرآن المجيد هي التي تشوق النفوس، وتحرك المشاعر، وتبعث الهمم، وتقوي العزائم، حتى تتحقق المقاصد العظيمة، والأهداف السامية، وهو بناءُ صرحٍ شامخ للإسلام والمسلمين، واللهُ من وراء القصد، وما توفيقنا إلا بالله.

قال تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ [الأعراف: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۝١٩٥ إِنَّ وَلِيِّ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩٦﴾ [الأعراف: ١٩٥، ١٩٦].

والله جَلَّ ذكره في (١٣٠) موضعاً سمَّى القرآن المجيد: آيات.

نعم؛ القرآن آيات بينات الدلالة واضحات المعاني، آيات مفصلات هي مصادر الحِكَم وينبوعُ الأحْكام، آيات مفصلات، لعل ولعل تنقشع غياهب الظلام وتطمئن النفوس المريبة، وتلين القلوب المتحجرة، وترجع عن غيها فتؤمن بربها، آيات ودلالات يجب الإيمان بها، والعمل بما

تقتضيه من توحيد الله وعبادته، وامتثال أمره واجتناب نهيه.

ولا سعادة ولا شرف ولا عزَّ ولا أمن ولا تمكين ولا راحة ولا طمأنينة لمن لم يؤمن بآيات الله ويمتثل أمر رسول الله ﷺ، ولا أكفر ولا أشقى، ولا أضل ولا أظلم ممن كذب بآيات الله وتكبر واستكبر عنها، وحَكَّمَ القوانين الوضعية والنظم الرومانية، والعادات الفرنجية، فضل وأضل عن سواء السبيل، وصدق الله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

قال جَلَّ ذكره في سورة الأعراف: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف: ١٧٤].

وقال تعالى: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢ ـ ١٨٣].

والله تعالى سمَّى القرآن الكريم: كتاباً، وسمَّاه: هدى في (٤٦) موضعاً، وسمَّاه: رحمة في (١٥) موضعاً، ووصفه تعالى بكونه مفصلاً في (١٨) موضعاً، وبعدما حصل التغيير والتبديل من قوم موسى وعيسى عليهما السلام وغيرهم، من الذين نزلت عليهم الكتب السماوية، وأرسلت إليهم الرسل، وانطمست أعلام النبوة وتنكبت الخليقة طريق الهدى،

وعبد المخلوق مخلوقاً مثله فلا عقيدة ولا شريعة، ولا دين.. حينئذٍ صار أهل الأرض في ظلامٍ دامس وفي حيرة وارتباك وفي شك، وارتياب كفر وطغيان وظلم وضلالٍ وفسوق ومروق، وقتل وقتيل ونهبٍ وسلبٍ وفتن ومحن، وشرور وغرور.. بعد ذلك رحم الله وهدى من كان أهلاً للرحمة والهداية، رحمة أرحم الراحمين.

فبعث الله رسوله ﷺ وأوحى إليه هذا الكتاب العظيم، هذا الكتاب الكريم، هذا الكتاب الذي فصَّله الله على علم؛ أي: بيَّنه ووضح معانيه، وهذا الكتاب الذي هو آية الله العظمى ومعجزة الرسول الكبرى، هذا الكتاب الذي هو حجة الله على الكافرين، ورحمته للمؤمنين، هدى به الله من الضلالة وبصر به من العمى وأنقذ به من الجهالة.

جاء الرسول ﷺ بهذا الدين الجديد لإنقاذ البشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور، وسرعان ما ضرب الإسلام بعطن، وشع نوره في آفاق المعمورة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، جاء الرسول ﷺ بهذا الدين الذي به من المحاسن والمزايا ما لا يوجد في غيره من الأديان.

جاء بهذا الدين الذي به عزّ الدنيا ومجدها وشرفها وسعادة الآخرة، وبهذا الدين ومن أجل هذا الدين قامت للإسلام دولة وأي دولة، دولة قوية الأركان مرهوبة الجانب لها مكانتها المرموقة بين الأمم، دولة صالحة ومصلحة لغيرها.

دولة فتحت البلاد وقلوب العباد، دولة لها الأمر والنفوذ ولها السيادة والقيادة، دامت على ذلك برهةً من الزمن، ثم غيَّرت وبدلت وتنكرت لعقيدتها ولدينها وأخلاقها فغيَّر الله عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١] جزاءً وفاقاً، وما ربك بظلامٍ للعبيد.

وها هم أكثر الذين يزعمون الإسلام في هذا الزمن تنكروا لعقيدتهم ولدينهم تنكراً بشعاً، تنكُّراً يبتهج ويفرح به أعداء الإسلام، تنكراً تتصدع له قلوب المؤمنين، تنكراً استبشر به اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام.

فرحمتك يا ربي، رحمتك يا الله، ومن لها، ومن لها، من للأمة الإسلامية يغيثها وينقذها، مَنْ للأمة الإسلامية تنتصر راياتها في فلسطين، كما انتصرت في بدر والقادسية وحطين: ما هو علاجها، ما هو شفاؤها؛ شفاؤها من دائها العضال، وعلاجها من سمومها القتالة؛ هي العقيدة الصحيحة، العقيدة الإسلامية، العقيدة الخالصة من كل ما يشينها وخالصة من كل ما يشوبها، وهو العمل بكتاب ربها وسُنَّة نبيِّها ﷺ، هذا هو الذي به عزها وفخرها، ومجدها وشرفها وسعادتها وصلاحها، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٢].

والله تعالى سمَّى القرآن: كلمات في إحدى عشرة آية، وفي خمس عشرة آية سمَّاه الله: حديثاً، وفي اثنتي عشرة آية سمَّاه الله: نوراً.

ولله الأمر من قبل ومن بعد لا إلٰه غيره ولا ربَّ سواه، أكثر الخلق عن هذا الحديث العجيب، وعن هذه الكلمات العظيمة النافعة، وعن هذا النور الوضاء الساطع.. معرضون وغافلون، معرضون عما به مصالحهم الدينية والدنيوية، معرضون عما خُلقوا له حقيقة، معرضون عما به مجدهم، وعزمهم في الدنيا، وسعادتهم في الآخرة.

معرضون عن القرآن الذي به الأعاجيب، معرضون عما به حل مشاكلهم الفردية والاجتماعية، معرضون عن الهدى والنور والشفاء.

فالقرآن هو نور القلوب والعقول والبصائر، والشمس نور الدنيا،

والله نور السماوات والأرض، والقرآن نور القلوب، والله يهدي لنوره مَن يشاء، اللَّهُمَّ اهدنا ولا تضلنا.

والذين لا يؤمنون بالقرآن ولا يطبقون أحكام القرآن ولا يعملون به، هم في عماء يعمهون، قلوبهم مظلمة ومنكوسة رانت عليها الذنوب والمعاصي ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤] والقلوب تمرض كما تمرض الأبدان ودواء دائها وعلاجها النافع وشفاؤها المبرء، هو القرآن الكريم والذكر الحكيم، قال تعالى في شأن الذين آمنوا بالله ورسوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧].

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف: ١٨٥].

والله تعالى في سورة الأعراف، سمَّى القرآن الكريم: هدى، وسمَّاه: رحمة، وسمَّاه: وحياً، وسمَّاه: قرآناً، وسمَّاه: بصائر.

نعم؛ وعزة ربي إنها أسماء مطابقة لمسمَّاها؛ فسمَّاه الله: هدى في ستة وأربعين موضعاً، وسمَّاه: رحمة في خمسة عشر موضعاً، وسمَّاه: وحياً في خمسة وأربعين موضعاً، وسمَّاه: قرآناً في سبعة وسبعين موضعاً، وسمَّاه: بصائر في ثلاثة مواضع، وتقدم ذلك.

فالقرآن المجيد هو الهدى لمن اهتدى، هدى لمن كان أهلاً

للهداية، هدى من الكفر والشرك، وهدى من الظلم والضلالة والفسوق، وهدى من الحيرة والشك والريب، يهدي هذا القرآن إلى سبيل الرشاد، يهدي إلى ما به شرف الدينا وسعادة الآخرة.

نعم؛ قد اهتدى بهذا القرآن الرعيل الأول: صحابة الرسول ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، فكانوا هم الناس وهم الأمة، وكان لهم الدين والدنيا والآخرة، كانت لهم الزعامة والسيادة والمكانة المرموقة بين الأمم، ولهم في الآخرة الأجر الجزيل والثواب العظيم من الله تعالى، كانوا لله فكان الله لهم، وكانوا مع الله فكان الله معهم.

والقرآن كما هو هدى فهو رحمة الله التي رحم بها عباده المؤمنين، فأخرجهم به من الظلمات إلى النور، رحمة من رحيم، رحمة من رب كريم، رحمة فياضة تفيض بالنوال من الله قبل السؤال، ومن أسباب رحمة الله: العمل بالقرآن، والإنصات للقرآن في الصلاة وغير الصلاة.

والقرآن كما هو رحمة وهدى، فهو بصائر جمع: بصيرة، والمراد بذلك: البينات والحجج والبراهين، فالقرآن بصائر لمن استبصر وبراهين ساطعة وحجج قاطعة وبينات واضحة، فمن أمعن النظر في القرآن مع التفكير والتدبر وجده أعجوبة الدهر، وجده الكنز الثمين الذي ضيعه أهله فضاعوا إلا ما شاء الله، وجده يأمر بكل خير وينهى عن كل شر، وجده صالحاً ومصلحاً لكل زمان ومكان.

وجد به حلّاً لجميع مشاكل الحياة، بل هو فوق ذلك وأعظم من ذلك، كيف لا؟ وهو كلام ربِّ العالمين، نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين، وقد أمر عليه السلام باتباع ما أُوحي إليه، وأمة الرسول أسوته في الأحكام.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا

يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

والله تعالى في سورة الأنفال، سمَّى القرآن الكريم: آيات وأضافها إلى نفسه تشريفاً، ووصف الله عباده المؤمنين الأتقياء بأنهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم؛ أي: فزعت وخافت، هذه صفات المؤمنين حقّاً إذا ذُكر الله خافوا الله تعظيماً له وخوفاً من عقابه، ولا يخاف عقاب الله ولا يرجو ثوابه إلا المؤمنين الذين آمنوا بالله وبعظمة الله، وآمنوا بآيات الله وإذا تليت عليهم آيات ربهم ومعبودهم زادتهم إيماناً؛ أي: تصديقاً ويقيناً، زادتهم آيات القرآن المجيد هدى ونوراً وبصيرة لما فيها من العجب والإعجاب ولما فيها من الفصاحة والبلاغة، ولما فيها من جزالة المعاني وعذوبة اللفظ، ولما فيها من سلامة التعبير ورقة السياق، ولما فيها من الحِكم والأحكام، ولما فيها من الترغيب والترهيب، ولما فيها من الوعد والوعيد.

آيات القرآن المجيد هي كلام علام الغيوب، وهي مغناطيس القلوب، فرونق آيات القرآن وبهاؤها وحسن تركيبها وفصاحتها وبلاغتها، وروعة تصوريها. ذلك هو الذي جعل صحابة الرسول ﷺ والتابعين لهم بإحسان يصدقون ويؤمنون ويعملون، فيمتثلون أوامر الله ويتركون ما حرم الله، فهم جمعوا بين العلم والعمل، فكان ثوابهم عظيماً وفوزهم كبيراً، ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال.

آيات القرآن هي التي كسرت من حدة عمر رضي الله عنه وألانت عريكته

وجعلته يؤمن وينقاد للحق ويذعن له حينما سمع آيات من سورة طه، ولسان حاله يقول: آيات القرآن أفلج والحق أبلج والباطل لجلج، فأولى بنا اتباع هذا المنهج.

آيات القرآن الكريم هي عناصر العقيدة الإسلامية، ومصدر الأحكام الشرعية، آيات القرآن هي التي جعلت المؤمنين لا يتوكلون ولا يعتمدون إلا على ربهم ومعبودهم، ولا يرجون سواه ولا يخافون إلا منه.

وآيات القرآن صريحة، في أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما هو معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، والإيمان مذكور في القرآن في سبعمائة وثلاثة وعشرين موضعاً، والتوكل على الله تعالى مذكور في القرآن في خمسة وأربعين موضعاً.

۞ ۞ ۞

آيات من سورة الأنفال

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [الأنفال: ٣].

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٤].

والله جَلَّ ذكره في سورة الأنفال أيضاً، سمَّى القرآن: آيات، وسمَّاه: حقّاً، والحق يقال: القرآن الكريم هو الحق والآمر بالحق ومصدر الحق، والحق أحق أن يُتبع، والحق من أسماء الله تعالى، والحق في لغة العرب ضد الباطل وهو الصدق والعدل والإنصاف.

نعم؛ وعزة ربي، لقد جاء المنزل على عبد الله ورسوله محمد ﷺ بالحق الذي هو الحق، جاء بالهدى والنور والشفاء وهو الحق، جاء بتوحيد الله وإفراده بالعبودية وهو الحق، جاء بإخراج الخليقة أجمع من الظلمات إلى النور وهو الحق، جاء بأن لا يكون في الأرض ظلم ولا جور ولا عدوان وهو الحق، جاء القرآن الكريم والذكر الحكيم بما يسعد البشرية في دنياها وأخراها في كل زمان وفي كل مكان وهو الحق، جاء القرآن بأن لا يعبد إلا الله ولا يحكم بغير ما أنزل الله وهو الحق.

فالحكم بغير ما أنزل الله هو حكم بالقانون الذي وضعه المخلوق

للمخلوق ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، وهذا القرآن الذي جاء بالصلاح والإصلاح، وجاء بكل خير ونهى عن كل شر وجدت المحاولات والمناورات والاعتراضات عليه من أول وهلة من حين بزوغه وترعرعه في مهده، ولكنه بحمد الله شق طريقه، وانبلج صبحه وشعَّ نوره في الآفاق، صبح أضاء في أرجاء المعمورة فأعشى كل خفاش، ونور أحرق المغالطات وأبطل كل شبهة، وعلى رأس المعترضين، وفي طليعتهم النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، فإنه ـ لعنه الله ـ كان يسافر إلى بلاد فارس، والروم للتجارة فيسمع من أخبارهم ويسمع العباد منهم والرهبان يقرؤون الإنجيل.

فلما بعث الله رسوله ﷺ وأوحى إليه هذا القرآن الكريم والنبراس العظيم، قال النضر بن الحارث: لو شئتُ لقلتُ مثل هذا، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١]، والنضر بن الحارث والحمد لله قُتل صبراً بين يدي الرسول ﷺ بعد وقعة بدر.

والنضر بن الحارث له زميل يماثله في الخبث والتمرد والعناد والكفر والطغيان، هو: أبو جهل، فإنه القائل: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢]. وقيل: قريش هي القائلة ذلك، وقيل: الآية نزلت في النضر بن الحارث أيضاً، فالله أعلم أيُّ ذلك كان.

ولم تزل الاعتراضات على القرآن الكريم من الزنادقة والملحدين في كل زمان، فتعود الاعتراضات خاسئة وهي حسيرة، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١]، فالجبال لا يضيرها

نطاح الكباش، والسحاب لا يضره نباح الكلاب، فالقرآن آية الله العظمى ومعجزة الرسول الكبرى.

لقد تحدى الفصحاء والبلغاء ومصاقع الخطباء بأن يأتوا بسورة من مثله، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨]، ولم يزل ولن يزال سوق التحدي قائماً وصوته مدويّاً حتى يرث الله الأرض وهو خير الوارثين.

ولو كانت قريش تدري ولكنها لا تدري ولا تدري أنها لا تدري، لقالت وأنصفت في مقالها: اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ووفقنا لاتباعه، واجعلنا من أنصاره.

ولكنه الحمق والغطرسة والطغيان والضلال، ونعرات الجاهلية والغرور والجهل، وهكذا يفعل الجهل بأهله.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢].

والله تعالى في سورة التوبة سمَّى القرآن الكريم: هدى، وسمَّاه: نوراً، قال الحسن وقتادة: نور الله القرآن والإسلام[1].

فالقرآن كلام الله حروفه ومعانيه، أنزله تعالى على رسوله ﷺ لهداية البشرية أجمع ليكون الدين كله لله، ليكون الحكم والتحاكم لشريعة الله شريعة العدل والإنصاف، فلا أمر ولا نهي إلا لله، ولا عبادة ولا حاكمية إلا لله، وتقدمت الإشارة في أن الله تعالى سمَّى القرآن: نوراً في اثني عشر موضعاً، وسمَّاه: هدى في ستة وأربعين موضعاً.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٢٥٣).

نعم؛ وعزة ربي إن القرآن المجيد نور وهدى، نور ساطع وبرهان قاطع، نور يتلألأ، نور لا كالأنوار، نور أشعته مترامية الأطراف، نور لا أفول ولا اضمحلال له، نور أنار الطريق للسالكين، نور يا له من نور، نور في هذا الزمن ما استضاء به أهله إلا أفراداً وأفذاذاً، وصدق الله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، فأكثر من يزعمون الإسلام ويتشدقون به نفاقاً، ضلوا وأضلوا وتاهوا في المفاوز المهلكة، ووقعوا في الهوة المظلمة، تدهوروا اعتقاداً وأخلاقاً، وصدق الله: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، القرآن نور عظيم وكنز ثمين أضاعه أهله فضاعوا، نور من لم يستضئ به فهو في ظلام دامس وفي حيرة وارتباك.

فهلمّ يا قوم، فهلمّ يا أمة الإسلام، هلم إلى النور والهدى، هلم إلى الإيمان بهذا النور والعمل بهذا النور، ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن: ٨].

هلمّ إلى ساحل السلامة، هلمّ إلى الهدى من الحيرة والضلال والشك والريب، هلمّ إلى المجد والعز والشرف في الدنيا والسعادة في الآخرة، هلمّ يا قادة الفكر الإسلامي، وهلمّ يا زعماء المسلمين.

وهلمّ يا شباب الإسلام إلى دروب السلامة، هلمّ نتدارك أمرنا ونجمع شملنا، هلمّ إلى العمل بكتاب ربنا وسُنَّة نبيِّنا محمد ﷺ، هلمّ إلى قمة المجد، وهلمّ إلى حصون السلامة في الدنيا والآخرة، وهلمّ إلى العمل بدين الحق، وهلمّ إلى الدعوة لدين الحق بالقول والفعل ليكون ظاهراً على الأديان كلها ولو كره الكافرون والزنادقة والملحدون وأهل الخلاعة والمجون ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

آيات من سورة التوبة

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

والقرآن كما هو معروف آيات بينات وسور محكمات، فالقرآن سور، والسور آيات والآيات كلمات، والجميع من عند الله، والكل كلام الله، وقد وصفه الله بكونه سوراً في سبعة مواضع؛ من ذلك ما جاء في آخر سورة المنافقين الكبرى ألا وهي سورة التوبة التي فضح الله فيها المنافقين وبين ما يضمرونه من الغوائل والشرور والكيد للإسلام والمسلمين، المنافقون الذين انطبع في قلوبهم وامتزج في دمائهم كراهة الدين وكراهة الإسلام، وكراهة العقيدة الإسلامية.

المنافقون عند نزول سورة من سور القرآن تضيق نفوسهم من سماع ما هو خير لهم لو كانوا يعلمون، فيغمز بعضهم بعضاً وتدور بينهم لحظات النظرات المريبة، فيتسربون متسللين لئلا يراهم من المؤمنين أحد، المنافقون هم أهل شك وريب، المنافقون هم الذين يتظاهرون بالإسلام، ويبطنون الكفر والزندقة، المنافقون أضر على الإسلام والمسلمين من اليهود والنصارى.

فالأضرار والنكبات التي أصيب بها الإسلام والمسلمون الناصب لحبائلها والناسج لغزلها والمحرك لمحورها والمعبي لقنبلتها هم

المنافقون، ولا يخلو زمان ولا مكان من النفاق والمنافقين، وما أكثرهم لا كثرهم الله.

المنافقون هم الذين لا ينتفعون بسور القرآن ولا بسماع القرآن، مع العلم أن القرآن شفاء ورشد ونور وهدى ولكن المنافق قلبه منكوس وغشاوة الران محيطة به.

فليس عند المنافق قابلية للانتفاع بالقرآن؛ لأن قلبه مريض فيزيده القرآن بعداً على بعد، ومرضاً على مرضه، ورجساً على رجسه، والذنب ذنبه والجريمة جريمته، ولا يظلم ربك أحداً، لا ينتفع بالقرآن إلا أهل القرآن، لا ينتفع به إلا المؤمنون الذين آمنوا بالقرآن، وأحبوا القرآن وعملوا بما جاء به القرآن فهؤلاء هم الذين يزيدهم القرآن إيماناً مع إيمانهم وتقدمت الإشارة في أن الإيمان مذكور في القرآن في سبعمائة وثلاث وعشرين موضعاً، ويأتي ذلك إن شاء الله تعالى في عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين.

قال جلَّ ذكره: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٥].

﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾ [التوبة: ١٢٦].

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧﴾ [التوبة: ١٢٧].

والله تعالى سمَّى القرآن الكريم: كتاباً، ووصفه تعالى بكونه حكيماً ومحكماً في سبعة مواضع وصدق الله العظيم، القرآن كله حكيم وحِكْمة؛

حَكِيم في لفظه وتنسيقه، وحكيم في معناه وأسلوبه، وحكيم في أمره ونهيه، وحكيم في أخباره وأمثاله وأقاصيصه وحكيم في وعده ووعيده، وحكيم في أقضيته وأحكامه ونظامه.

فيجب على كل جيل وعلى كل أمة، وكل مجتمع بشري وبالأخص من يتسمَّى بالإسلام أن يكون دستوره ونظامه هو القرآن المجيد.

لأن به صلاح الدين والدنيا، وبه صلاح الفرد والمجتمع، وبه نظام الحياة الاجتماعية والفردية.

نعم؛ وعزة ربي بالقرآن الكريم وبسُنَّة الرسول ﷺ حل لجميع مشاكل الحياة في كل زمان وفي كل مكان، ومن قال أو اعتقد أن القرآن ليس بصالح لكل زمان، أو أنه عاجز عن تنظيم الحياة البشرية، فهو أضل من حمار أهله، بل هو زنديق وملحد وكافر بالله العظيم.

فالقرآن ليس به عجز ولا قصور إنما العجز والتفريط والقصور جاء من جهة العقل الفاسد والفهم الكاسد، جاء القصور من عدم معرفة كتاب الله وسُنَّة رسوله.

❁ ❁ ❁

آيات من سورة يونس

قال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [يونس: ١].

والله عزَّ شأنه وتقدس اسمه سمَّى القرآن: آيات، ووصفها بالبيان والإيضاح، وسمَّاه تعالى: وحياً، وسمَّاه: قرآناً، وذكر تعالى تعنت قريش ومراوغتها للحق وعتوها وطغيانها؛ فتارة تصف الرسول ﷺ بالكذب، والسحر والكهانة، وتارة يطلبون تغيير هذا القرآن، أو تبديله بغيره على حسب ما يوافق نفوسهم الشريرة ويلائم طبائعهم الجافة وقلوبهم المتحجرة التي تنكر البعث، أو تراه ولكن تشمئز من عيب معبوداتها وآلهتها التي بزعمها تقربها إلى الله زلفى، وتأنف أيضاً من تنقص آبائها وأجدادها.

فيأتي الجواب من الله مسكت وحاسم: قل يا محمد لهؤلاء الأغبياء الألداء الذين يجادلون بالباطل ويخاصمون بغير حق: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ﴾ [يونس: ١٥]، ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾ [يونس: ١٦].

وهذه الآية الكريمة من آيات الذكر الحكيم التي هي صريحة في أن القرآن من الله وحي أوحاه إلى رسوله ﷺ.

فليس هو من أساطير الأولين، وليس هو من قِبل محمد ولا من عبقرية محمد، وليس هو من كلام البشر، ولا مشابهة بينه وبين كلام البشر، ففرق بعيد وبون شاسع بينه وبين ما جاء به مسيلمة الكذاب.

ومن حكمته تعالى أن أوحى هذا القرآن وأنزله على رسوله ﷺ،

وهو لا يقرأ ولا يكتب، ولا تعلّم ذلك، ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨]، ولكنه عليه السلام أصدق بني البشر لهجةً وأزكاهم نفساً وأرجحهم عقلاً، فكيف يتحاشى من الكذب على أبناء جنسه، ويكذب على الله فيزعم أنه أرسله وهو لم يفعل، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦].

وقد قال هرقل عظيم الروم لأبي سفيان لما سأله عن صفات الرسول ﷺ: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال أبو سفيان: قلتُ: لا، قال هرقل: فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

وعدد الأسئلة التي سأل عنها هرقل أبا سفيان عشرة، مذكورة في أول «صحيح البخاري»، فلتراجع؛ لما فيها من تقوية الإيمان[1].

ولكل قوم وارث، فالشقشقات والمراوغات، والمناورات، والاعتراضات التي كانت فبانت عند بزوغ الرسالة، ها هي تطل برأسها على العالم الإسلامي، وتتسرب إلى المجتمعات البشرية مكشوفة النقاب كاشرة الأنياب مصرحة بعيب القرآن، ومتنقصة للقرآن، ومبطلة لحاكمية القرآن، ومستهزئة بالقرآن، وأهل القرآن، وحاكمة بالقوانين الفرنجية، والعادات الرومانية والنظم الفرعونية، والقرآن خير لهم لو كانوا يعلمون، فعل ذلك وصرح به كثير من أهل التبشير من ملاحدة أوروبا ومن زنادقة روسيا، وصرح به أيضاً بعض مَن يدعي الإسلام ويتشدق به نفاقاً.

ولكنها أقاويل وزعامات وأباطيل منهارة لا تلبث أمام الحق، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١] ومغالطات

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

قالها خفافيش البصائر، وأنوار الحق وأشعة الحق تحرق المغالطات.

والله وبالله وتالله لا شرف ولا عزَّ ولا سعادة ولا نصر لأمة الإسلام إلا بالإسلام الذي أساسه وقاعدته هو القرآن المجيد.

قال جَلَّ ذكره: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [يونس: ١٥].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٦].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس: ١٧].

والله جَلَّ شأنه في سورة يونس سمَّى القرآن العزيز: كتاباً، ووصفه بكونه مفصلاً، وسمَّاه تعالى: قرآناً وسوراً.

والقرآن كما هو معروف آيات بينات وسور محكمات، والقرآن كلام الله حروفه ومعانيه، هذا قول أهل السُّنَّة والجماعة قاطبة، لا خلاف بينهم في ذلك، وهو وحي الله المنزل على رسوله ﷺ، فليس بمكذوب ولا بمفترى ولا يتصور ذلك، وليس بالإمكان، بل هو آية الله العظمى ومعجزة الرسول الكبرى، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

نعم؛ القرآن الكريم هو أكبر معجزات الرسول ﷺ، فبعدما زعم الأغبياء من كفار قريش بأن هذا القرآن مفترى تحداهم الله بأن يأتوا بمثله ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [القصص: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن

يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]، ثم تحداهم الله بأن يأتوا بعشر سور مثله فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨]، فلما تقاعسوا وبان عجزهم تحداهم الله بأن يأتوا بسورة مثله كما في سورة البقرة، وسورة يونس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾.

والعجيب أنهم بعد التنزل معهم لم ينطقوا ولا بكلمة واحدة، بل انهارت منهم القوى وخرست ألسنتهم وتخدرت منهم الأعصاب، وهم أهل المباهاة والمجاراة والمباراة في معلقاتهم السبع، وفي أسواقهم ذي المجاز وعكاظ ومجنة، هم الذين يملكون زمام الفصاحة والبلاغة والمهارة مع شدة العداوة للقرآن ولمن جاء به.

وحتى ولو تكاتفوا وتساندوا وتبادلوا الآراء فيما بينهم؛ لأنه قرع أسماعهم واختلج في ضمائرهم ما ليس لهم بالحسبان، جاءهم من الله ما لا قبل لهم به، ولهذا ومن أجل هذا أذعن بعضهم وانقاد للإسلام، وغالباً كل من سمع آيات القرآن الرصينة وأسلوبه الجذاب، ورونقه الجميل لا بد ولا بد أن يتأثر ويرق طبعه ويلين قلبه على حسب ما عنده من قابلية وإيمان.

أما كفار قريش أو غير كفار قريش لو راموا أن يأتوا ولو بسورة قصيرة، وزينت لهم أنفسهم ذلك لكانوا موضع السخرية، وضحكة العالم كما وقع لمسيلمة الكذاب، وما أدراك ما مسيلمة، فإنه من غروره وتهوره زعم أنه نبي مرسل وجاء بكلام سمج مهزول أضحك العقلاء.

والتحدي ليس خاصّاً بقوم دون قوم، ولا بأمة دون أمة، بل صوته مدويّاً وأعلامه منشورة في كل زمان وفي كل مكان، وهذا أوضح برهان

وأبين بيان في أن القرآن كلام الله أوحاه إلى رسوله عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

وكما أن الله جَلَّ شأنه لا شبيه له ولا نظير ولا مثيل، فالقرآن الذي هو كلامه لا يشابهه ولا يدانيه كلام بني البشر، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢] ومعجزات الرسول ﷺ كثيرة جدّاً.

وقد أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على أن القرآن الكريم هو أكبر معجزات الرسول، ووجوه إعجاز القرآن ليس بالإمكان حصرها ولا تعدادها؛ فهو معجز في كونه لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد، ومعجز في أقاصيصه وأخباره لما مضى ولما يأتي.

ومعجز في كونه لا مشابهة بينه وبين كلام المخلوقين، ومعجز في بهائه ورونقه وجمال أسلوبه، ومعجز في حِكَمه وأحكامه، ومعجز في إلفات الأنظار إلى عظمة الله وكبريائه، وما يجب له من عبادة وتوحيد.

ومعجز في إلفات الأنظار إلى هذا الكون؛ علويّه وسفليّه، وما فيه من الغرائب والعجائب وبدائع المخلوقات والمصنوعات لله تعالى، ومعجز في بلاغته وفصاحته وبراعته وحلاوته وطلاوته وجزالة ألفاظه.

ومعجز في تنسيقه وتنظيمه الباهر، ومعجز في كونه متفق ومتسق فليس فيه اضطراب ولا تصادم ولا تعارض، ولا تناقض كما يوجد في كلام المخلوق بل يصدق بعضه بعضاً ويوضح بعضه بعضاً، بل هو فوق ذلك وأعظم من ذلك، ومعجز أيضاً في كونه يأخذ بمجامع القلوب، ويروق للأسماع، لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالت: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١، ٢] حقّاً، والحق يقال: القرآن الكريم هو كنز الحكمة ومعدن الأحكام

ومصدر التشريع، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراطٍ مستقيم.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧].

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨].

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [يونس: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [يونس: ٤٠].

والله لا إلٰه غيره ولا ربَّ سواه سمَّى القرآن المجيد في سورة يونس: موعظةً وشفاء، وهدى ورحمة وصدق الله العظيم موعظة هي الموعظة حقّاً.

موعظة لا كالمواعظ، موعظة من ربٍّ كريم رؤوف رحيم، موعظة تتشوق لها النفوس المؤمنة وتحيا بها القلوب وتهتز لها الأعطاف وتنتعش بها الأرواح، موعظة هدفها الصلاح والإصلاح.

موعظة زاجرة عن الفواحش والمنكرات والمحرمات، موعظة أمرت بكل خير ونهت عن كل شر.

نعم؛ القرآن الكريم هو الموعظة، وهو مصدر المواعظ وهو الرحمة وهو الهدى وهو الشفاء، هو الرحمة لمن يستحقها، هو الرحمة للمسلمين المؤمنين، رحمة من أرحم الراحمين، رحمة من العناء والشقاء في الدارين؛ دار الدنيا ودار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

فرحمتك يا ربي ولطفك يا مولاي، فأكثر خلقك في أرضك لا يبتغون رحمتك ولا يطلبونها؛ بل من شقوتهم وغرورهم يتباعدون عنها، كتباعد الحمر من قسورة، ورحمة الله خير لهم لو كانوا يعلمون.

والقرآن كما هو رحمة فهو شفاء من أمراض القلوب، وشفاء من الشهوات المحظورة ومن الشبهات المضللة، وشفاء من الشك والريب، وشفاء من الغل والحقد والحسد، وشفاء من الظلم والجور والفساد، والقرآن شفاء وهدى؛ هدى من الحيرة والضلالة، هدى من كل شبهة، هدى لمن اهتدى، هدى لمن يستحق الهداية، هدى للمتقين والمؤمنين، هدى يهدي إلى الرشد والسعادة والفلاح، قالت الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١، ٢].

نعم؛ القرآن العزيز هدى يهدي البشرية إلى ما فيه خيرها وعزها ومجدها وراحتها وشرفها وطمأنينتها وسعادتها في دنياها وفي أُخْراها، كيف لا؟ وهو كلام أرحم الراحمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد الأولين والآخرين، وقد استشفى بهذا الشفاء واهتدى بهذا الهدى صحابة الرسول ﷺ والتابعون لهم بإحسان، فطبقوا أحكام القرآن وعملوا بما جاء به القرآن عقيدةً وأحكاماً ونظاماً وأمراً ونهياً، فكانت لهم الدنيا وكانت لهم الآخرة، كانوا مع الله فكان الله معهم، كان لهم العز والشرف، والقيادة والسيادة في الدنيا والفوز والسعادة في الآخرة، الجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً.

نعم؛ وعزة ربي، لا زعامة ولا قيادة ولا سيادة صحيحة ولا أمن ولا راحة ولا استقرار لمن لم يهتدِ بهدى القرآن ويعمل بما أرشد إليه القرآن.

فها هي أوروبا التي تزعم الحضارة والازدهار انحطت بها حضارتها إلى مستوى الحيوان هي في قلق وعناء وشقاء من حضارتها

وتفسخها أخلاقيّاً وتدهورها اقتصاديّاً، هي في بلاء وعناء وشقاء من حروبها العالمية المدمرة.

وها هي في عناء متواصل وشقاء مرير من حكمها وتحكيمها القوانين الوضعية التي هي عمل المخلوق للمخلوق، ضاعت الحقوق وشاع الفساد وارتكبت الجرائم، ها هي في عناء وشقاء متواصل ومستمر من تكالبها على الزعامات وعلى ما يترتب عليها من أطماع.

وها هم الذين يزعمون الإسلام ويتشدقون به نفاقاً في وقتنا الحاضر لما لم يهتدوا بهدى القرآن تنكبوا صراطه المستقيم، اعتنقوا المذاهب الخبيثة الملعونة؛ من اشتراكية إلى رأسمالية إلى أحزاب بعثية، فتدهوروا أخلاقيّاً واقتصاديّاً، أصابهم الذل والهوان، أضاعوا أمر الله فضاعوا، ونسوا الله فنسيهم، سامتهم اليهود سوء العذاب قتلاً وتشريداً وصدق الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

فيا مسلمين، ويا عباد الله، السعيد مَن وعظ بغيره، تمسكوا بكتاب ربكم وسُنَّة نبيكم محمد ﷺ، وعضوا عليها بالنواجذ قولاً وفعلاً واعتقاداً، وبذلك خاصة ابتهجوا واغتبطوا، وافرحوا وتباشروا يا معاشر المؤمنين والمسلمين والعاقبة للمتقين.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

والله جَلَّ شأنه في سورة يونس سمَّى القرآن: حقّاً، وسمَّاه: علماً، ووصفه تعالى بكونه وحياً منزلاً، ولا شك ولا مرية في أن القرآن حق والحق يجب اتباعه ويجب العمل به.

نعم؛ القرآن هو قاعدة الحق ومصدر الحق والآمر بالحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، فيجب على المسلمين أن يكون نظامهم وقانونهم ودستورهم في جميع الدوائر الحكومية هو القرآن.

والقرآن أمر بتوحيد الله وإفراده بالعبادة ونهى عن عبادة غير الله وهو الحق، وأرشد القرآن إلى العدل والإنصاف ونهى عن الظلم والجور والفساد وهو الحق.

والقرآن جاء بإيجاب الواجبات وتحريم المحرمات، وفي ذلك صلاح الفرد والمجتمع، وأمر بكل خير ونهى عن كل شر، وهو الحق ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الإسراء: ١٠٥]، والقرآن هو الذي يقول الحق وينطق به، ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المؤمنون: ٦٢].

وحكمة الله بالغة، أكثر الخلق للحق كارهون، أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون.

وكما أن القرآن حق فهو علم لا كالعلوم، علم عظيم، علم هو منبع العلوم وأصلها الأصيل، علم جاء بالصلاح والإصلاح، علم جاء لإسعاد البشرية كلها في كل زمان وفي كل مكان، علم ينابيعه صافية، وأنهاره جارية، وجداوله متدفقة وأشجاره سامقة، وأغصانه مورقة، وثماره متدلية، وأزهاره متفتحة وظلاله يسع كل مخلوق، فمن عمل بهذا الحق الذي هو الحق واستنار بهذا العلم الذي هو العلم فمنّة الله عليه عظيمة، ومن حاد وضل عن هذا الحق القويم وعن هذا العلم العظيم فلن يضر إلا نفسه، والله غني عن العالمين.

والقرآن الكريم وحي من الله منزل على قلب الرسول ﷺ، وهو عليه السلام لم يشك ولم يرتب فيما أوحى الله إليه؛ لأنه روى أنه قال: «**لا أشك ولا**

أسأل» حينما نزل قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤] ومن المحتمل والعلم عند الله أن الله جَلَّ شأنه أراد بذلك تقوية عزيمة الرسول، وتثبيته وتسليته وإدخال السرور عليه، وبالأخص حينما أبطأ عنه الوحي، قريب من خمسة عشر يوماً، وهو إذ ذاك في مكة، وقريش أيضاً ظهر منهم العناد ومصادمة الدعوة.

وأيضاً الرسول فقد مَن يحميه ويعاضده على تبليغ رسالة ربه، مات عمه أبو طالب وماتت زوجته خديجة.

إنها أيام عصيبة على الرسول ﷺ، تكتلت فيها المخاوف وتسربت فيها الأحزان والمآسي إلى قلبه عليه السلام، وهو مع ذلك كله مثابر وصابر ومصابر، ولكنه بشر ومخلوق من بني آدم ولا غنى له عن ربه ومولاه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [يونس: ٩٣].

قال تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [يونس: ٩٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [يونس: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس: ١٠٩].

والله جَلَّ شأنه في سورة هود، سمَّى القرآن العزيز: كتاباً، وسمَّاه:

آيات، وقد وصف الله القرآن بكونه آيات محكمة، ومفصلة وأضافها تعالى إلى نفسه الكريمة تشريفاً وتعظيماً للقرآن.

والقرآن الكريم أحكمه أحكم الحاكمين، وفصل آياته ربِّ العالمين، ولأنه كتاب الخلق أجمعين حتى يرث الله الأرض ومن عليها ومن هو خير الوارثين، أحكمه الله وأتقنه، فجاءت آياته متقنة لا نقص فيها بوجهٍ من الوجوه، متقنة لا يعتريها نسخ ولا تبديل، متقنة في لفظها ومفصلة في معناها، كيف لا يكون القرآن حكيم ومحكم وآياته مفصلة؛ أي: موضحة مبينة لا لبس فيها ولا خفاء، وهو كلام ربِّ العالمين نزل به الروح الأمين.

نعم؛ القرآن العزيز آياته قوية المباني واضحة المعاني، قواعد القرآن مكينة وآياته حكيمة، بل كل آية فيها من المعاني الجليلة والأسرار البديعة والحكم العظيمة ما لا يحاط به، كيف لا يكون القرآن هكذا وهو نزل تشريعاً عامّاً لكل زمان ولكل مكان ولكل جيل، ولكل أمة، والذي شرعه أحكم الحاكمين العالم بمصالح خلقه أجمعين.

ولا بدَّ لكل جيل ولكل أمة من دستور ونظام، فلزاماً ولا بد أن يعطى القوس باريها، يجب على كل أمة من بني البشر وبالأخص من يدعي الإسلام أن يكون نظامهم ودستورهم وقانونهم هو القرآن الذي هو حكيم ومحكم، ومبين ومفصل، فلا يقوم العدل، ولا تحفظ الحقوق ولا يسود الأمن إلا بتطبيق أحكام القرآن، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

وقد سمَّى الله نفسه في القرآن: حكيماً في ثمان وتسعين موضعاً، ويأتي ذلك إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان.

۞ ۞ ۞

آيات من سورة هود

قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١].

وفي سورة هود أيضاً سمَّى الله القرآن: سوراً، وسمَّاه: حقّاً وأخبر تعالى بأنه منزل من عنده، وأبطل تعالى قول القائلين بأنه افتراه محمد، أبطل تعالى قول المتمردين والكافرين حينما زعموا غروراً منهم وتمويهاً أن القرآن مفترى.

أمر الله نبيَّه محمد ﷺ أن يقول للأغبياء الذين تحجرت قلوبهم وعميت بصائرهم: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ [هود: ١٣]، وأولاً تحدى الله قريشاً والعرب كلها، بل الإعجاز والتحدي لكل مخلوق لا يؤمن بالله ولا بما جاء عن الله بأن يأتوا بمثل القرآن ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة مثله.

تحدى الله العرب واليهود والنصارى، وكل مخلوق في مكة وفي المدينة، تحداهم مراراً وتكراراً بأن يأتوا بسورة من مثله، ولو كانت السورة قصيرة إذا كانوا يزعمون بأن محمداً افتراه على الله تحداهم ولو كانوا أهل فصاحة وبلاغة ولو تكاتفوا وتناصروا وتساندوا وتبادلوا الآراء، فعجزوا وتقهقروا وخرست ألسنتهم؛ لأنهم سمعوا ما لا مشابهة بينه وبين كلامهم، ولا مشابهة بينه وبين أشعارهم، سمعوا كلاماً منسقاً منتظماً ليس فيه مجازفة ولا تقصير ولا كذب فيه، ولا تغرير، بل حق وعدل وصدق، وهو مع ذلك في غاية من البلاغة والفصاحة، والرونق

والحسن، والبهاء والجمال، وفيه حلاوة وعليه طلاوة يأخذ بمجامع قلوب المستمعين له، فيبهر عقولهم ويلين قلوبهم ويشوق نفوسهم ويحرك مشاعرهم ويهز أعطافهم هزّاً إذا تخلوا من التعصب والهوى.

فبذا؛ ومن أجل ذا وغير ذا، يعرف ويتحقق القارئ للقرآن والمستمع للقرآن أن هذا القرآن الكريم من عند الله حقّاً، فليس من قول محمد ولا من عبقرية محمد، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧]، قاتل الله الزنادقة والملحدين الزاعمين تخرصاً وظنّاً بأن هذا القرآن ليس من الله تعالى قاتلهم الله أنى يُؤفكون.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨].

قال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٤].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود: ١٧].

❁ ❁ ❁

آيات من سورة يوسف

وفي سورة يوسف سمَّى الله القرآن العزيز: كتاباً وآيات، ووصفه تعالى بالبيان، وسمَّاه تعالى: قرآناً عربيّاً، ووصفه بكونه وحياً منزلاً.

نعم؛ القرآن الكريم هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، هو وحي الله المنزل على الرسول ﷺ للصلاح والإصلاح وللعدل والإنصاف.

كتاب يجب تحكيمه والإيمان به، كتاب هو نبراس المؤمنين وحجة الله على الكافرين، كتاب عظيم كتاب كريم، كتاب بيِّن واضح جلي ليس به لبس ولا فيه خفاء، واضح الدلالة، جلي المعاني قوي المباني فيه وعد ووعيد وترغيب وترهيب، فيه ما تطمئن له القلوب، وترتاح له النفوس، فيه الهدى وبه الاهتداء.

كتاب أوحاه الله إلى رسوله ﷺ، لهداية الخلق أجمعين، فمنهم من اهتدى، ومنهم من ضل: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]، ولا يظلم ربك أحداً، كتاب فيه الإخبارات، والأقاصيص العجيبة، والأحكام الحكيمة بأجمل تنسيق وأحسن أسلوب، لعل ولعل الخلق والخليقة يدكرون ويعقلون فيؤمنون بالله، وبما جاء عن الله، فالذي لا يعقل عن الله أمره ونهيه، ولا يؤمن بما أنزل الله على رسوله ﷺ، ولا يعمل به، هو مبرسم بل مخبل مجنون والجنون فنون.

وقد امتاز هذا القرآن عن غيره بأشياء كثيرة، ليس بالإمكان حصرها ولا تعدادها؛ **منها**: كونه تعالى أنزله في أشرف زمان وهو شهر رمضان

المبارك، **ومنها**: كونه تعالى أنزله في أشرف بقاع الأرض وهي مكة والمدينة، **ومنها**: أنه تعالى أنزله على أشرف رسول أرسله الله، **ومنها**: كونه تعالى أنزله بلغة العرب التي هي أفصح اللغات وأبينها، وأوضحها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني، **ومنها**: أنزله الله بسفارة جبريل الذي هو أشرف الملائكة، **ومنها**: كونه تعالى أنزل القرآن تشريعاً عاماً لكل أمة ولكل جيل حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، **ومنها**: صيانته وحفظه من الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، **ومنها**: حفظه عن ظهر قلب: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧].

قال جَلَّ ذكره: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ [يوسف: ١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢].

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: ٣].

وأيضاً في سورة يوسف سمَّى الله القرآن ذكراً، وسمَّاه: رحمة وهدى، وسمَّاه: حديثاً.

نعم؛ القرآن رحمة ولكنها للمؤمنين رحمة من كل محنة، ومن كل عذاب في الدنيا والآخرة، رحمة وهدى لمن تطلب الهداية فاهتدى.

إي وعزة ربي إن القرآن هدى من كل شك وريب، وهدى من كل حيرة وارتباك، وهدى من الغي إلى الرشاد، ومن الضلال إلى السداد، ومن الشرك إلى عبادة رب العباد.

وكما أن القرآن هدى ورحمة فهو مصدق لما بين يديه من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل، والزبور يصدق القرآن ما أنزل الله على رسله الكرام، ويشهد لها بالصحة وينفي ما طرأ عليها من تغيير وتحريف

وتبديل، وينسخ بعض أحكامها الفرعية، ويثبت بعض أحكامها ويقررها؛ لأنه الكتاب العظيم المهيمن على الكتب كلها.

ولأنه كتاب لكل أمة ولكل جيل، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، وهو مع ذلك أحسن كتب الله أحكاماً وأعدلها نظاماً.

أما المسائل الأصولية في توحيد الله وإفراده بالعبودية فالكتب والصحف المنزلة من السماء على جميع الأنبياء والمرسلين كلها متفقة على ذلك لا تباين بينها ولا خلاف فيها، وكما أن القرآن جاء صِدقاً وتصديقاً ومصدقاً، فهو من عند الله حقّاً فليس بمكذوب ولا مفترى، ومن زعم ذلك فهو ملحد زنديق وكافر بالله العظيم، كتاب من عند الله أوحاه الله إلى رسوله ﷺ، كتاب معانيه واضحة وأحكامه مفصلة فيه حل لكل مشكلة في كل زمان ومكان.

فيه تفصيل لكل شيء، فيه تفصيل لكل ما يحتاجه بنو آدم في عقائدهم، وفي عباداتهم وفي معاملاتهم، في القرآن بيان وتفصيل لكل ما تحتاجه المجموعة البشرية في حياتها الاجتماعية، وصدق الله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢]، قال مسروق: ما سئل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن علمنا قصر عنه، وقال الشعبي: ما ابتدع أحد بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها.

وكما أن القرآن هدى ورحمة فهو ذكر وتذكير للعالمين لعلهم ولعلهم ينتفعوا بالذكرى والتذكير، والذكرى تنفع المؤمنين، وفي قصة يوسف عليه السلام عظة للمتعظين وعبرة للمعتبرين.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [يوسف: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

آيات من سورة الرعد

وفي سورة الرعد وهي مكية، سمَّى الله القرآن حقّاً، وسمَّاه: كتاباً منزلاً، وحكمة من حكيم حميد، أكثر الناس لا يصدقون بهذا الحق، أكثر الناس صم بكم عمي البصائر، لا يؤمنون بالحق، والحق واضح والحق جلي، والحق أبلج لا يلتبس بالباطل، وماذا بعد الحق إلا الضلال، والإيمان بالحق والعمل بالحق خير لهم لو كانوا يعلمون، خير للخلق أجمعين.

والقرآن هو الحق الذي لا شك فيه بوجه من الوجوه، حق واضح لا ريب فيه ولا مرية، ولا لبس فيه، ولا خفاء، حق كالشمس في رابعة النهار، حق لا يخفى إلا على من تحجر قلبه، وعميت بصيرته.

القرآن الكريم أخباره وأقاصيصه كلها حق، وأوامره ونواهيه كلها عدل، وأحكامه في غاية من الحكمة، وعظاته حسنة جميلة، تأخذ بمجامع القلوب، والجميع في صالح البشرية كلها في كل زمان ومكان، في صالح الخلق أجمعين.

وشتان بين من كان كافراً شقيّاً، وبين من كان مؤمناً تقيّاً، شتان بين مشرق ومغرب، لا يستوي الكافرون والمؤمنون، لا يستوي الأتقياء والفاسقون، لا يستوي أصحاب النار، وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون، الفرق كبير والبون شاسع، وحكمة الله بالغة وأمره نافذ أكثر أهل الأرض غلبت عليهم الطبائع البشرية، فأطاعوا الشيطان وعصوا الرحمان فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، فيا رباه ويا مولاه، رحمتك

يا الله، أكثر الخلق عن الحق معرضون، أكثرهم لا يؤمنون.

والمصيبة عظمى، والفتنة عمياء في هذا الزمن الذي طغت فيه موجات الفتن، وقامت فيه عواصف الزندقة، والإلحاد، وتمركزت فيه الغطرسة على الله وعلى أحكام الله، أكثر من يزعم الإسلام ويدعيه تنكبوا طريقه الواضح طريق الأمن والسلامة طريق العز والشرف والسعادة؛ عبدوا المخلوق، وتركوا عبادة الخالق، وأطاعوا المخلوق بمعصية الخالق وارتكبوا الجرائم، وفعلوا المحرمات، كفر وإلحاد وظلم وفساد وخلاعة، ومجون واستهتار وجنون.

ويزعمون ترويجاً وتمويهاً أن ذلك تقدماً ومدنية وحضارة وازدهاراً، وهي والله عند من يعرف الحق ويقول به، جاهلية جهلاء، وهمجية عمياء.

وزاد الطين بلة حكموا النظم الفرعونية والقوانين الوضعية التي هي من صنع المخلوق للمخلوق ومن عمل المخلوق للمخلوق، وتركوا النظم السماوية والأحكام الإلٰهية، تركوا أحكام القرآن بل نبذوه وراءهم ظهريّاً فسوف يلقون غيّاً، تركوا الحق الذي ليس بعده حق وحادوا عن طريقه، فضلوا ضلالاً بعيداً، تركوا الأحكام العادلة التي بها تحفظ الحقوق ويسود الأمن، وصدق الله: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف: ١٠٣].

والبراهين ساطعة، والحجج قاطعة، والطريق واضح، والمنهج قويم، والصراط مستقيم، ولكنه العناد والحمق والشقاق، والنفاق والغرور، والجهل وهكذا يفعل الجهل بأهله.

قال جَلَّ ذكره: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١﴾ [الرعد: ١].

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩].

وفي سورة الرعد أيضاً سمَّى الله القرآن: ذكرى، ومدح الله عباده الذين آمنوا مدحهم الله وأثنى عليهم، ونوَّه بذكرهم لإيمانهم إيماناً صادقاً إيماناً من ثمراته الأعمال الزكية الصالحة التي جزاؤها من الله الثواب العظيم والنعيم المقيم، ومن ثمراته الفرح والاستبشار والأنس والطمأنينة بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب.

والجزاء من جنس العمل، ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، وأعظم الذكر وأفضل الذكر لله تعالى هو القرآن الكريم مع تفهمه وتدبره.

روى الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الرب تبارك وتعالى: «**مَن شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**»[(١)]، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، فبتلاوة القرآن يحصل للمؤمنين الفرح والاستبشار والطمأنينة.

نعم؛ تبتهج وتطمئن قلوب المؤمنين وتنشرح صدورهم بالقرآن الكريم؛ لأن القرآن هو الذي جعل بين المؤمنين وبين ربهم رابطة قوية، وصلة وثيقة؛ لاشتماله على الأسرار البديعة والمعاني الجليلة والحِكم الحكيمة والوعد والوعيد والترغيب والترهيب وغير ذلك.

ولأنه كلام ربهم ومعبودهم، فلذا كان المؤمنون مع الله ولله وبالله،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٢٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وضعَّفه الألباني.

ومَن كان مع الله كان الله معه، اللهُ مع المؤمنين معيةً خاصة، يحفظهم ويكلأهم ويؤيدهم وينصرهم، والأنس بالله والتلذذ بطاعة الله، وما يقرب إليه هو قرة عيون الموحدين وبستان العارفين.

هو الذي جعل قلوبهم ترقص فرحاً وطرباً اشتياقاً إلى الله تعالى ومحبة له، ذلك هو الذي جعل المؤمنين والمصلحين والمجددين لدين الله يجاهدون في الله حق جهاده، ويستميتون في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ولا يخافون في الله لومة لائم.

هو الذي جعل الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف[١]، ونقل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بعض السلف أنه قال: إن للهِ في الدنيا جنة مَن لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة، ويُنسب لشيخ الإسلام ابن تيمية[٢].

وقال بعض العارفين: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا لذة ما فيها، وقالت رابعة العدوية التي اتصفت بالعبادة والزهادة ما معناه: ما عبدت ربي خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، وإنما عبدته لأرى وجهه الكريم[٣].

هكذا كان وهكذا يكون المؤمنون بربهم ومع ربهم، ومَن كان بالله أعرف كان أشد له اشتياقاً وأعظم له محبة ووداداً، والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٣٧٠).
(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص٤٨).
(٣) إحياء علوم الدين (٤/ ٣١٠).

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٩].

وأيضاً في سورة الرعد سمَّى الله القرآن علماً، وسمَّاه: حكماً عربيّاً، ووصفه تعالى بكونه منزلاً والحمد لله، والله أكبر، وعظمت قدرة الله وجلَّ شأنه، ما أنزله الله على رسوله ﷺ هو العلم حقّاً، هو العلم العظيم، هو العلم النافع، هو العلم الذي مع سُنَّة الرسول ﷺ ليس بعده علم.

هو العلم الذي ترتاح له النفوس، وتطمئن له القلوب، هو العلم الذي جاء لإقامة العدل في الأرض، جاء بإيجاب العبادة للخالق وإبطال عبادة المخلوق.

جاء حكماً محكماً عربيّاً واضحاً جليّاً ليس فيه خفاء ولا به التباس.

جاء القرآن علماً غزيراً، ينابيعه صافية وأنهاره متدفقة وجداوله تفيض بالحكمة والأحكام.

جاء نبراساً عظيماً، ينير الطريق للسالكين، جاء مشعل هداية يهتدي به كل تائه وحيران.

جاء القرآن ليتدبر ويفهم ويعمل به، لم ينزل القرآن على الرسول ﷺ من أجل أن يتبرك به فقط أو يترنم به فقط، بل لا بد لأهل القرآن ومَن خُوطبوا بالقرآن من أن يؤمنوا بالقرآن، ولا بد أن يطبقوا أحكام القرآن لا بد من امتثال أوامر القرآن.

ولا بدَّ من الانتهاء عما نهى عنه القرآن، ولا بد من خوض المعارك في الداخل والخارج، في الداخل مع النفس والهوى والشيطان، وفي الخارج مع كل مَن خالف القرآن أمراً ونهياً. هذا هو هدف القرآن وهو المقصود بإنزال القرآن.

وفي ذلك صلاح الدين والدنيا، وصلاح الفرد والمجتمع، وصلاح الراعي والرعية.

نعم؛ جاء القرآن الكريم بالصلاح والإصلاح، جاء بما يسعد البشرية كلها في دنياها وأُخراها، جاء بإبطال كل حكم يخالف حكم الله.

جاء بإبطال كل الأحكام الطاغوتية والقوانين الوضعية التي هي عمل المخلوق للمخلوق، والتي هي من أفكار المخلوق للمخلوق، ومن صنع المخلوق للمخلوق، وصدق الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

جاء القرآن بحفظ حقوق الآدميين على الوجه الأكمل العادل المرضي، جاء القرآن آمراً وموجهاً للرسول ﷺ، ولأمة الرسول.

جاء وعيداً ومحذراً عن اتباع أهواء أهل الأهواء، وحاشا الرسول عليه السلام من ذلك، وكل من تحاكم أو حكم بغير القرآن فإنه من اتباع الهوى، وصدق الله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠]، والآية الكريمة التي نستضيء بنورها ونستنشق نسميها المنعش هي في إزاء المحاولات التي تحاك لإضلال الرسول.

ومنها: محاولات قريش، ومحاولات اليهود، وكلها باءت بالفشل والحمد لله، محاولات ماكرة، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]، محاولات بالقول والفعل، محاولات خبيثة، محاولات تنبح كلابها ضد القرآن وأهل القرآن في كل زمان ومكان، ولكل قوم وارث ولكن بحمد الله السحاب لا يضره نباح الكلاب.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧].

آيات من سورة إبراهيم

وفي سورة إبراهيم عليه السلام، سمَّى الله تعالى القرآن: كتاباً، وسمَّاه: بلاغاً ونذيراً، ووصفه تعالى بكونه منزلاً، نعم القرآن الكريم منزل من عند الله فليس بمخلوق وليس بمفترى.

ومَن زعم أنه مخلوق أو مكذوب أو مفترى فهو أضل من حمار أهله بل هو كافر بالله العظيم.

وفي مطلع سورة إبراهيم، وفي خاتمتها آيتان كلاهما جاءت صريحة في عموم رسالة الرسول ﷺ لكل مخلوق من المكلفين.

والآيات في هذا كثيرة جدّاً، وحكمة الرب تعالى تقتضي ذلك؛ لأنه عليه السلام آخر الأنبياء والمرسلين فليس بعد نبوته نبوة ولا بعد رسالته رسالة وليس بعد الكتاب الذي جاء به كتاب.

فاقتضت حكمة اللهِ أن تكون رسالة الرسول ﷺ عامة لكل مخلوق من المكلفين، ودينه وشريعته ناسخة لكل ما خالفها من الديانات والشرائع ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ويأتي ذلك إن شاء الله تعالى.

وقد أمر الله نبيَّه ﷺ أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الكفر والشرك والظلم، ومن ظلمات الجهل والضلال والبدع، ومن ظلمات المعاصي والمنكرات، والخلاعات والأخلاق السيئة والخزعبلات إلى نور القرآن إلى نور التوحيد والإخلاص إلى نور العلم

والإيمان والعرفان إلى صراط العزيز الحميد، وقد امتثل الرسول ﷺ أمر ربه فبلغ بالقرآن وأنذر به، وبلغ عليه السلام وأنذر وأعاد وأبدى مراراً وتكراراً، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وكشف الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى قامت الحجة واتضحت المحجة، فاهتدى مَن اهتدى وضل مَن ضل، والخلق كلهم في ظلم دامس وفي جاهلية جهلاء، وفي حيرة وارتباك مهما كانوا وأين كانوا إلا من استضاء بالنبراس العظيم وهو القرآن الكريم فاهتدى بهداية الله، وامتثل أمر الله وانقاد لطاعة الله، والمنة لله، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

قال جَلَّ ذكره: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: ١].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢].

❁ ❁ ❁

آيات من سورة الحجر

وفي سورة الحجر وهي مكية، سمَّى الله جَلَّ شأنه ما أنزل على رسوله ﷺ: قرآناً وكتاباً ووصفه تعالى بالبيان وبكونه آيات.

نعم؛ القرآن الكريم هو سور وآيات، آيات حكيمة، آيات عظيمة، آيات هي مصادر الحِكْمة والأحْكام وقاعدة العبادة والتوحيد.

الكتاب وآياته والقرآن وبيناته، الجميع وحي الله المنزل على رسوله ﷺ لهداية الخلق أجمعين، حيث جاء فيه من الله البيان البين الواضح الجلي لكل ما يحتاجه بنو الإنسان في حياتهم الاجتماعية بأجمل أسلوب وأوضح عبارة، أبان الله وبيَّن في القرآن أحكام المكلفين في دنياهم وفي أُخْراهم.

فتوحيد الله والعقيدة الإسلامية، وأحكام العبادات والمعاملات وما جرى مجرى ذلك، مما هو من ضروريات المجتمع البشري في كل زمان ومكان هو مبين وموضح في القرآن، والتقصير من عقول الآدميين، ومن فهومهم العاطلة، والعيب عيبهم والذنب ذنبهم، والجريمة جريمتهم، وصدق الله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢].

وبعد الآية المشار إليها يأتي الوعيد والتهديد والتقريع من الله تعالى للذين لا يؤمنون بالقرآن ولا يحكمون القرآن ولا يعملون بالقرآن من الكافرين والزنادقة والملحدين الذين غرتهم الآمال الكاذبة، وغرهم بالله

الغرور، غرتهم الدنيا بزخارفها الفانية، هذه طبيعتها الخداع والغرور حينما تكون السرائر علانية وينكشف الغطاء ويبين خسرانهم ويتحقق عذابهم يودون لو كانوا مسلمين وهيهات وأنى لهم ذلك، انفلت الزمام وضاعت الفرصة وفات الأوان ونعوذ بالله من الخذلان.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر: ١ ـ ٣].

وأيضاً في سورة الحجر سمَّى الله القرآن: ذكرى، وقد تقدمت الإشارة في أن الله سمَّى القرآن: ذكرى في خمسة وخمسين موضعاً.

نعم؛ القرآن الكريم هو الذكر والتذكير، هو الذكر الحكيم والنور المبين، هو الذكر حقيقة ومعنى، فهو في نفسه ذكر؛ لأن من قرأه أو شيئاً منه فله بكل حرف عشر حسنات، كما روى ذلك ابن مسعود عن النبي ﷺ[1]، فهو ذكر ومذكر؛ مذكر بالله وبعظمة الله وبآلاء الله وبوعد الله ووعيده.

فالقرآن مذكر للمسلمين في كل ما يحتاجونه من أمر عباداتهم ومعاملاتهم، وجميع شؤونهم الاجتماعية، بل القرآن مذكر لكل مخلوق من الجن والإنس في كل زمان ومكان، ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ﴾ [الأنفال: ٤٢]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت: ٤٦].

القرآن هو معجزة الرسول الكبرى وآية الله العظمى، محروس ومحفوظ من الزيادة والنقصان، ومن التغيير والتبديل قدرة من قدير

---

(١) تقدم.

وحفظ من حفيظ، وحكمة من حكيم، مرت عليه عصور ودهور، وهو بحمد الله لم ينقص منه ولم يزد فيه ولا حرف واحد، والزنادقة متوفرون، والملاحدة كثيرون والأعداء متكالبون، ولكن الجبال لا يضيرها نطاح الكباش، والسحاب لا يضره نباح الكلاب، وضوء النهار يعشى الخفاش.

وفي الآية الكريمة دليل على وقاحة كفار قريش وسفاهتها وغطرستها وتعنتها وسخريتها بالرسول ﷺ.

وهكذا كل من لم يؤمن بالقرآن ولم يعمل بالقرآن فإنه متشبه بالكافرين والظالمين وبالطغاة والعتاة من كفار قريش، وربك للظالمين بالمرصاد.

قال جَلَّ ذكره: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٦، ٩].

وفي سورة الحجر أيضاً سمَّى الله كتابه العزيز: قرآناً عظيماً، والعظيم في لغة العرب هو الذي له المكانة المرموقة والشرف والميزة على غيره.

فحيث أن اللهَ تعالى عظيم فكلامه ـ وهو القرآن ـ عظيم، عظيم وأي عظيم، عظيم في حِكَمه وأحْكامِهِ، وعظيم في لفظه ومعناه، وعظيم في رونقه وأساليبه، وعظيم في بلاغته وفصاحته، وعظيم في وعده ووعيده، وعظيم في ترغيبه وترهيبه، وعظيم في أمثاله وأخباره وأقاصيصه، وعظيم في أهدافه ومقاصده، وعظيم في أمره ونهيه.

والله جَلَّ وعلا يصف القرآن بالأوصاف اللائقة به، فيصفه تارة

بالعظيم وتارة بالكريم وتارة بالمجيد، وسمَّاه الله نوراً وسمَّاه: هدى، وسمَّاه: شفاء، وصدق الله ومَن أصدق من الله قيلاً هي أسماء مطابقة لمسمَّاها.

وقد امتنَّ الله تعالى على رسوله حيث آتاه الله هذا القرآن العظيم، ومنه السبع المثاني، وهي فاتحة الكتاب على قول أكثر علماء التفسير؛ لأنها سبع آيات وتثنَّى؛ أي: تقرأ في كل ركعة من ركعات الصلاة، أخرج البخاري من حديث أبي هريرة: قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمّ القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم**»(١).

وأخرج البخاري أيضاً من حديث أبي سعيد رافع بن المعلى رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**الحمد لله ربِّ العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**»(٢).

وقد ذهب بعض علماء التفسير إلى أن المراد بالسبع المثاني هي البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والسابعة الأنفال مع التوبة؛ لأنها كسورة واحدة؛ إذ ليس بينهما تسمية.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٨٧ ـ ٩٣].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٤).

آيات من سورة النحل

وفي سورة النحل سمَّى اللهُ تعالى القرآن: ذكرى، نَعَم اللهُ جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: ذكرى، وهذا تنويه وتفخيم وتعظيم للقرآن الكريم.

فالقرآن مذكِّر بالله وآلائه، وأسمائه وصفاته، وما يجب لله وما لا يجب، وما يجوز عليه وما لا يجوز، والقرآن ذكر للمؤمنين والمسلمين فهو نبراسهم العظيم، وصراطهم المستقيم، ففيه الهدى وفيه الشفاء، فيه كل ما يحتاجه المكلفون من بني آدم في أمر دينهم ودنياهم.

والقرآن في نفسه ذكرٌ؛ فالذي يتلوه ويترنم بآياته هو من أفضل الذاكرين لله تعالى، وقد وصفه الله تعالى بكونه وحياً منزلاً من الله على رسوله ﷺ، أنزل الله على رسوله عليه السلام هذا القرآن الكريم، والذكر المبين ليبيِّن الرسول للناس أجمعين ما أشكل عليهم من معاني كلام ربِّ العالمين، ويفصل عليه السلام ما جاء في القرآن مجملاً؛ لأنه عليه السلام أعلم الخلق بربه وأعلمهم بمعاني كلامه وهو الواسطة بينه وبين خلقه؛ لعل الخلق ولعلهم يؤوبوا إلى رشدهم فيذكروا ويتفكروا ويذَّكَّروا بالذكر العظيم فما تذكر بالقرآن من دعا الله ودعا معه غيره.

وما تَذَكَّر بالقرآن من ارتكب شيئاً من الجرائم أو فعل شيئاً من المحرمات أو ترك شيئاً من الواجبات، وما تذكر بالقرآن، وما آمن بالقرآن من حكم القوانين البشرية المخالفة لأحكام القرآن.

وما آمن بالقرآن وما تذكَّر بالقرآن من لم يرضَ بالله ربّاً وبالإسلام

ديناً وبمحمد نبيّاً، والآية الكريمة من الأدلة الدالة على فضل العلم والعلماء، ويأتي ذلك إن شاء الله تعالى، ولما استنكرت قريش حيث كانوا متغطرسين سفهاء الأحلام أن يكون الرسول بشراً من بني آدم، أنزل الله قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٣ ـ ٤٤].

وأيضاً في سورة النحل سمَّى الله القرآن: هدى، ورحمة وكتاباً، ووصفه تعالى بكونه منزلاً، بلا شكٍّ ولا ريب أن القرآن رحمة وهدى، رحمة من الله تعالى، رحمة من ربِّ العالمين، رحمة من أرحم الراحمين، ولكنها للمؤمنين، وكان بالمؤمنين رحيماً.

القرآن رحمة من كل محنة ومن كل فتنة ومن كل عذاب، وهو مع ذلك هدى من كل حيرة ومن كل شك ومن كل ريب، هدى لمن تطلب الهداية وكان من أهلها، هدى يهدي إلى الخير والسعادة، هدى للمتقين والمنة لله ربِّ العالمين.

قال تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: ٣٨]، والهدف السامي والمقصود الأعظم من إنزال القرآن الكريم، هو البيان والتبيين والهدى والرحمة من ربِّ العالمين لتقوم الحجة على الذين لا يؤمنون ولا لرحمة الله يطلبون، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢].

فالدين الإسلامي الذي مصادره وقواعده هو القرآن العظيم وسُنَّة النبي الكريم ففيهما البيان الواضح الجلي لكل ما يحتاجه بنو الإنسان من أمور العقائد والعبادات والأحكام والمعاملات بأحسن نظام وأعدل أحكام.

في الكتاب والسُّنَّة الفصل الحاسم والبيان البيِّن لكل ما اختلف فيه بنو الإنسان من أمور دينهم ومن أمور دنياهم، الدين الإسلامي فيه حل لجميع مشاكل الحياة بأحسن أحكام وأجمل تفصيل، فكل خلاف وكل شجار وُجد أو يوجد بيننا معاشر المسلمين أو يكون بيننا وبين غيرنا من الكافرين، أو بين الكافرين أنفسهم، ففي القرآن وسُنَّة المصطفى حل هذا الخلاف وإزالة ما تسرب إليه من إشكال بلا ظلم ولا جور بل بالعدالة والإنصاف.

نعم؛ وعزة ربي إن القرآن هو الرحمة والهدى والنور والشفاء، هو الذي به الصلاح والإصلاح هو الذي به شرف الدنيا وعزها وسعادة الآخرة، هو الذي لا تكون لأمم والجموع البشرية في راحة وأمن واستقامة واستقرار إلا إذا تمشت خلف نظامه، وعملت بأحكامه والتوفيق بيد الله، والهداية من الله، فأنيبوا عباد الله إلى الرحمة والهدى أنيبوا.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤].

وأيضاً في سورة النحل سمَّى الله جَلَّ شأنه القرآن: هدى ورحمة وكتاباً، والآية الكريمة دليل على أن الله تعالى أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، فلا يعذب ولا يعاقب إلا بعد قيام الحجة بشهادة الأنبياء والمرسلين على الأمم بالخير والشر، وذلك في الموقف الرهيب موقف الحشر لفصل القضاء.

والرسول ﷺ محمد بن عبد الله يشهد على هذه الأمة، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]، ومن فضائل الأمة الإسلامية وتشريفاتها أنها تشهد على الأمم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

والقرآن الكريم كله حِكَم وأحكام وعظات وبينات، وصفه تعالى بكونه تبياناً لكل شيء ولكن أكثر الناس في عماء يعمهون وفي ضلال يهيمون.

نعم؛ قلوب العباد تعمى وبصائرهم تنطمس وقلوبهم تمرض كما تمرض الأبدان، وشفاؤها ودواؤها من دائها العضال، ومن عمائها المستحكم هو القرآن، فهو الهدى من العمى، هو الهدى من الضلالة ومن الجهالة، هو الهدى من كل زيغ ومن كل غرور، هو النور، هو البصائر، هو الهدى من الحيرة والشك، هو رحمة أرحم الراحمين لعباده المؤمنين.

القرآن هو رحمة الله رحم الله به عباده، من الشرك والكفر والظلم والضلال، رحم الله بالقرآن من آمن بالقرآن وأسلم واستسلم فكانوا هم الأمة وهم الناس، هم ملوك الدنيا وزعماء العالم، عزوا به بعد الذلة، وائتلفوا بعد الفرقة، واستغنوا به بعد الفاقة، فالمسلمون لم ينتصروا على أعدائهم ولم تكن لهم الغلبة إلا من أجل تحكيم القرآن والعمل بالقرآن، فكان للمسلمين بالقرآن ومن أجل القرآن دولة قوية الأركان مرهوبة الجانب، لها مكانتها في المجموعة البشرية، وذلك كله من آثار هدى القرآن ورحمة القرآن وتبشير القرآن والعمل بالقرآن.

فالقرآن هدى ورحمة، وبشرى للمسلمين يبشرهم بالخير والسعادة، يبشرهم بما فيه عزهم ومجدهم في الدنيا وسعادتهم في الآخرة، يبشرهم بالنصر والتمكين، يبشرهم بخيري الدنيا والآخرة.

والقرآن أيضاً كما أنه هدى ورحمة فهو تبيان لكل شيء، فكل ما يحتاجه المكلفون من عباد الله في أمر معاشهم ومعادهم وأمر عباداتهم ومعاملاتهم وغير ذلك.. فهو موضح ومبيِّن في القرآن وفي سُنَّة الرسول ﷺ.

وقد قال عليه السلام: «**إني أُوتيتُ القرآن ومثله معه**»(١).

وقال ﷺ: «**تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك**»(٢)، فالأحكام التي يحتاجها العباد في حياتهم الاجتماعية قد أوضح القرآن معانيها بأوجز لفظ وأروع عبارة وأجمل أسلوب.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

والله تقدس اسمه في سورة النحل، سمَّى كتابه العزيز: قرآناً وهدى وآيات، ووصفه تعالى بكونه بشرى للمسلمين.

والآية الكريمة التي نحن بصددها ونسير في ظلها، دليل على مشروعية الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن؛ ليسلم العبد من وساوس الشيطان وتخييلاته الفاسدة، والأمر من الله لعباده على لسان نبيِّه أمر ندب واستحباب على قول أكثر العلماء.

ومذهب الجماهير من العلماء الاستعاذة تكون قبل القراءة، وصفة الاستعاذة: (أعوذ باللهِ من الشيطان الرجيم)، كما في حديث أُبي بن كعب عنه ﷺ(٣).

أو يقول المستعيذ: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، جاء ذلك في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن ﷺ(٤).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٧١٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢)، والدارمي (٥٨٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٣).

(٣) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٣٩١).

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٠٨٦)، وأبو داود (٤٧٨٠)، وضعَّفه الألباني.

وورد عنه أيضاً ﷺ: «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم**»[(١)]، حيث أن الشيطان اللعين عداوته لبني آدم أصيلة، فهو يبذل جده واجتهاده ويجلب عليهم بخيله ورجله ويأتيهم من كل طريق لصدهم عن كل خير وعن ما يقربهم إلى الله تعالى.

ومن أعظم القربات وأجل الطاعات لربِّ الأرض والسماوات هو تلاوة القرآن المجيد مع تدبر آياته وتعقل أحكامه، فالشيطان إذاً واقف لبني آدم بالمرصاد يصدهم عن تلاوة القرآن، وعن تفهم القرآن وعن العمل بالقرآن؛ لأن بالقرآن الهدى والشفاء والتقى والعفاف والغنى، وبالقرآن تهذيب الأخلاق، وتزكيه النفوس وبالقرآن الخير والسعادة، وبالقرآن معرفة الحلال والحرام.

وبالقرآن والعمل بالقرآن الفوز الأكبر والنعيم المقيم في جنات النعيم، وبالقرآن تثبيت المؤمنين وتبشير المسلمين، تبشيرهم بالعزِّ والشرف، والنصر والتمكين، وتبشيرهم بخيري الدنيا والآخرة، بل في القرآن ما هو أعظم من ذلك وهو معرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يجب له، وما لا يجب، ومعرفة أمره ونهيه، وذلك كله لا يروق للشيطان ولا يرضى به ولا يوافق عليه.

وفي سياق الآيات التي نحن بصددها تتضح حماقة قريش وجهلها وسفاهتها وسفسطتها وغطرستها، حيث لم يؤمنوا بالقرآن ولا صدقوا من جاء بالقرآن بل زعموه مفترى، افتراه محمد على الله.

وزاد الطين بلة، وزادت الغباوة غباوة، زعموا أن محمداً تعلمه من فلان الأعجمي؛ رجل في مكة زمن بعثة الرسول ﷺ قيل: اسمه جبر،

---

(١) أخرجه أحمد (١١٤٧٣)، وأبو داود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢)، وصححه الألباني.

عبد لبعض بني الحضرمي، وقيل: اسمه يعيش، غلام لبني المغيرة، وقيل: غلام أعجمي لامرأة من قريش، وقيل غير ذلك، ولكل قومٍ وارث كثير ممن يدعي الإسلام في هذا الزمن راقت لهم جاهلية قريش فاعتنقوها، فلم يؤمنوا بالقرآن ولم يعملوا بالقرآن ولم يحكموا القرآن بل كذبوا بالقرآن بقولهم وفعلهم واعتقادهم، والقرآن خير لهم لو كانوا يعلمون، فيا مصاب الإسلام ويا محنة المسلمين ممن يدعي الإسلام والإسلام منه بريء.

اللَّهُمَّ رحمتك يا رب، ولطفك الخفي، اللَّهُمَّ هيء لهذه الأمة الإسلامية مَن يجدد لها دينها ويرفع أعلام شريعتها، اللَّهُمَّ وأبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعز فيه أهل طاعتك ويُذل فيه أهل معصيتك، ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر، إنك سميع الدعاء فعال لما تريد.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل: ٩٨ ـ ١٠٥].

❁ ❁ ❁

آيات من سورة الإسراء

والله تعالى في سورة الإسراء سمَّى كتابه العزيز: قرآناً ووصفه جَلَّ وعلا بالهداية والتبشير، نعم هداية القرآن هي الهداية الحقيقية، يهدي القرآن الكريم إلى الحق، يهدي للتي هي أقوم، وهي الطريقة التي هي أحسن وأعدل من غيرها، وهو دين الإسلام الذي فيه من المزايا والمحاسن، ما لا يوجد في غيره.

فلا التواء ولا ميول، ولا غلو ولا انحراف، ولا شذوذ، يهدي القرآن إلى الاستقامة والاعتدال، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].

وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك. قال: «**قل: آمنتُ بالله ثم استقم**»[(١)]. رواه مسلم.

والناس على ثلاثة أقسام؛ فمنهم: الغالي، ومنهم: الجافي، ومنهم: المستقيم، والعقيدة الإسلامية والدين الإسلامي بجميع نظامه وأحكامه، هو بين الغلو والتشديد، وبين الجفاء والتساهل والترخيص، فما جاء به القرآن توحيداً وحِلّاً وتحريماً عقيدةً وأحكاماً وحَظراً وإباحةً وأمراً ونهياً هو المنهج القويم والصراط المستقيم، هو الذي به الصلاح والإصلاح، هو الموافق للعقول الصحيحة والفطر المستقيمة.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨).

فالقرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً، يبشرهم بالعز والشرف والتمكين، يبشرهم بالحياة الطيبة في دنياهم وفي أخراهم، يبشرهم بالسعادة والنعيم المقيم، يبشرهم بخيري الدنيا والآخرة.

ومما ينبغي معرفته، هو أنه لا إيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان، فأهل الإيمان وأهل الإسلام وأهل طاعة الله تعالى هم في نعيم في دورهم الثلاث: دار الدنيا ودار البرزخ ودار الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤]؛ أي: في دورهم الثلاث.

فأهل الإيمان حيث كان لهم بالله صلة، ولهم معه معاملة طيبة، فهم في الدنيا دائماً في فرح واستبشار وانشراح صدر وسعة خاطر، فالدنيا أوسع عليهم من الدنيا، وعكس ذلك أهل المعاصي، فإنهم دائماً في خوف وهمٍّ وغمٍّ، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «**اللَّهُمَّ عزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك**»(١).

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف(٢).

وقال أيضاً: إنهم ـ أي: أهل المعاصي ـ وإن هملجت بهم البراذين وطقطقت بهم البغال، إن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل مَن عصاه(٣).

وقال الله وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ

---

(١) لم أجد هذا الحديث منسوباً للنبي ﷺ، قال الإمام ابن رجب [لطائف المعارف (١/ ٤٦)]: كان الإمام أحمد يدعو ويقول: اللَّهُمَّ أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك.
(٢) تقدم.
(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٢٦).

وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسراء: ٩، ١٠].

والله جَلَّ شأنه أخبر بأن القرآن الكريم فيه بيان وتفصيل لكل شيء وحكمة من حكيم؛ حيث أن القرآن العظيم هو آخر الكتب السماوية، جاء تشريعاً عامّاً لكل أمة ولكل جيل في كل زمان وفي كل مكان مهما كان وأين كان، تشريعاً عامّاً لكل ما يحتاجه المكلفون في أمر دينهم وفي أمر دنياهم.

ومع ذلك هذا الكتاب الكريم والنبراس العظيم كما فصل الله تعالى فيه أحكام التوحيد والعقيدة والعبادات، فصل أمور الأحكام والمعاملات، كلها فصلها أحسن تفصيل وأحْكَمه وأبينه، وصدق الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

حتى وإن اختلفت عقود البياعات والإجارات والمعاوضات والمعاملات باختلاف الزمان وأهله، فهي في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ موضحة ومبينة ومفصلة أجمل تفصيل تفصيلاً متقناً ومحكماً تفصيلاً وافياً بالمقصود، تفصيلاً يوضح الحق ويبطل الباطل، تفصيلاً يعطي كل ذي حق حقه، تفصيلاً لا يختلف باختلاف الزمان وأهله؛ لأنه تعالى بقدرته ومشيئته وإرادته خلق البشرية وأوجدها فهو العالم بمصالح عباده وما يحتاجونه في حياتهم الاجتماعية، وصدق الله: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢]، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

فأحكام الكتاب والسُّنَّة هي التي بها حفظُ الحقوق وصيانة الأعراض وصلاح المجتمع بل وصلاح الدين والدنيا، أما القوانين الوضعية والعادات الفرنجية والنظم الرومانية التي افتتن بها واعتنقها كثير ممن يزعم الإسلام ويدعيه هي نحاتة أفكار وزبالة أذهان لا يفارقها

الاختلاف والاضطراب، وكلها ظلم وجور واعتداء على أحكام الله وتضييع لحقوق عباد الله عياذاً بالله.

فيا مصاب الإسلام ويا محنة المسلمين من الزنادقة والملحدين الذين من غرورهم يتشدقون ويتفيهقون ومن هوسهم ينقون نقيق الضفادع، ومن حمقهم ينبحون نباح الكلاب، فيقولون ولا يستحون، يقولون ويصرحون، يقولون قولة خبيثة ملعونة يستحي العاقل من ذكرها.

يقولون: القرآن وأحكام القرآن ونظام القرآن لا يناسب الزمن ولا يصلح له، هذا زمن التقدم والاختراع قاتلهم الله أنى يؤفكون، يبغونها خلاعة ومجوناً ويبغونها جاهلية جهلاء وهمجية هوجاء كجاهلية أبي جهل وهكذا يفعل الجهل بأهله.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢].

والله جَلَّ شأنه جعل الليل والنهار آيتين عظيمتين، والمراد بآية الليل: القمر، والمحو هو السواد الذي فيه، وآية النهار: هي الشمس، وبالليل والنهار والشمس والقمر والنجوم يعرف حساب ما يحتاجه المكلفون من بني البشر.

والله تقدس اسمه، سمَّى في سورة الإسراء كتابه العزيز: قرآناً، وذكر تعالى أنه بين الأدلة في القرآن وصرفها؛ أي: وضحها بالبراهين والحجج وأعادها وأبداها بالأساليب المتنوعة وبالبراهين الساطعة والحجج القاطعة.

صرف الله جَلَّ ذكره آيات القرآن بياناً للمحجة وإقامة للحجة، لعل

كفار قريش وغيرهم من المشركين لعلهم يذكروا ولعلهم ينيبوا ولعلهم يعرفوا الحق لأهله.

لعلهم يعرفوا عقيدة التوحيد، عقيدة العز والشرف والسعادة، فينطقوا بكلمة الإخلاص: لا إلٰه إلا الله، ثم لعلهم يعرفوا معناها، ثم لعلهم يعملوا بمقتضاها، لعل كفار قريش يقولون الكلمة العظيمة كلمة التوحيد فتدين لهم بها العرب وتؤدي لهم بها العجم الجزية، كما قال ذلك الرسول ﷺ[1]، ولكنه ويا للأسف تذكير وتذكار ما وجد قابلية إلا أفراداً عند بزوغ الرسالة يُعدون بالأصابع، مَنَّ الله عليهم بالإسلام وعملوا به وكانوا من أنصاره وحماته.

أما السواد الأعظم الخلق الكثير والجم الغفير، فتصريف الحِكَم والأحكام، والأقاصيص العجيبة وضرب الأمثال والترغيب والترهيب ومعاني القرآن البديعة وأساليبه الرائعة، فما زادت القوم إلا نفوراً وبُعداً عن الحق؛ لأنهم لم يستمعوا للقرآن استماع استفادة واسترشاد وانتفاع، بل استماع تهكم وسخرية؛ لأن قلوبهم متحجرة وعقولهم ساذجة، وصدق الله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠].

فهم في سفاهة وغرور والجهل مخيم على سماء القوم، فهم في ظلام دامس، وفي تقليد أعمى وفي جاهلية جهلاء، والجهل يفعل بأهله كل قبيح.

قال جَلَّ ذكره: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء: ٤١ ـ ٤٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٤١٩)، والترمذي (٣٢٣٢)، وضعَّفه الألباني.

وأيضاً: الله جَلَّ ذكره سمَّى في سورة الإسراء هذا الكتاب الكريم: قرآناً، وهو تعالى أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين لا يؤاخذ إلا بذنب، ولا يعاقب إلا على جريمة.

فبعد البيان والتفصيل والإيضاح وبعد نصب الحجة وقيام البرهان، وبعد الإعذار والإنذار لكفار قريش وغيرهم ممن بلغته دعوة الرسول ﷺ، عاقبهم الله عقوبة أعمت بصائرهم، وأصمت أسماعهم عياذاً بالله من عقوبة الله، وصدق الله: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [الإسراء: ٦٠]، والذنب ذنبهم والجريمة جريمتهم، ولا يظلم ربك أحداً.

عاقبهم الله إذ لم يؤمنوا بالقرآن ولم يعملوا بالقرآن، ولم يصدقوا ما أخبر به القرآن كالبعث والنشور، فحال بينهم تعالى وبين فهم القرآن، والانتفاع بالقرآن والاهتداء بالقرآن، وجعل تعالى على قلوبهم كالأغلفة فلا تفقه القرآن، ولا تدري ما يراد به، وجعل آذانهم صمّاً فلا تعي ما يُقال، وهذا واللهِ هو عين الحرمان، هذا هو الخسران العظيم والضلال المبين.

ولقد قدّر أن بعض قريش فهموا شيئاً من القرآن، وأحسوا من أنفسهم التأثر بالقرآن فعندهم محاولات، ومراوغات في صد أنفسهم عن فهم القرآن، والانتفاع بالقرآن والتأثر به والاهتداء بهديه.

ومن شواهد ذلك ما روى محمد بن إسحٰق في السيرة[1]: حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أنه حدَّث أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً، يستمعوا فيه، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه،

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٣١٥).

فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، قال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في قلبه شيئاً ثم انصرفوا.

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا.

حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود، ثم تعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا، هكذا تكون الغباوة وهكذا يكون الحرمان.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الإسراء: ٤٥ ـ ٤٨].

وفي سورة الإسراء أيضاً سمَّى الله القرآن: شفاءً، ورحمة وحقّاً، والحق هو الصدق، والحق ضد الباطل والحق أحق أن يتبع، والحق واضح، والحق جلي، والحق أبلج والباطل لجلج.

فالله حق وما أوحاه الله إلى رسوله ﷺ هو الحق الثابت الذي ليس بعده حق، فأمر القرآن ونهيه، وحِكَمُه وأحْكامه، ووعده ووعيده، وترغيبه وترهيبه، وأخباره وأقاصيصه وغير ذلك مما اشتمل عليه كله حق وعدل وصدق لا شك في ذلك ولا مرية، ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس: ٩٤].

فقد تقدمت الإشارة في أن الله تعالى سمَّى القرآن: حقّاً في ستين موضعاً، فالقرآن حق ورحمة وشفاء، شفاء من الأمراض البدنية، ومن الأمراض القلبية و﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٨٢] هي لبيان الجنس.

فالقرآن كله شفاء، في القرآن شفاء من الشرك والكفر والنفاق ومن الظلم والجور ومن الغل والحسد والحقد ومن البدع والمعاصي، ومن الخرافات والخزعبلات ومن الحيرة والشك، ومن الوسوسة والقلق، ومن الشطحات والشطط.

في القرآن شفاء من الأفكار الخبيثة التي هي معاول لهدم الإسلام، ومنها الاشتراكية الماركسية الزائفة التي تفشى شرها وسرى سمّها في هذا الزمن في كثير ممن يدعي الإسلام، ويأتي إن شاء الله عدد الآيات التي فيها الرد على الاشتراكية الخبيثة، وذكرنا والحمد لله الشيوعية والاشتراكية في: عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، وطُبع الكتاب سنة ١٤٠١هـ.

وفي القرآن شفاء من أمراض القلوب التي تحمل على ارتكاب الجرائم وفعل المحرمات، وكما أن القرآن شفاء فهو رحمة، رحمة من الله تعالى لعباده المؤمنين الذين آمنوا بالقرآن وعملوا بالقرآن، رحمة في الدنيا ورحمة لهم في الآخرة، أما الظالمون فلا يزيدهم القرآن إلا خساراً؛ أي: هلاكاً وتباباً ومقتاً وبُعداً من الحق؛ لأنه به قامت عليهم حجة الله.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨١، ٨٢].

والله جَلَّ ذكره في سورة سبحان، سمَّى كتابه العزيز: قرآناً،

والآية الكريمة التي نحن بصددها، هي في بيان إعجاز القرآن للأولين والآخرين والإنس والجن حتى ولو تعاونوا وتساعدوا وتساندوا، وتظاهروا، وتبادلوا الآراء، فليس بالإمكان وبعيد كل البعد أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله، وأنَّى لهم ذلك، مستحيل شرعاً وعقلاً وفطرة أن يشبه كلام المخلوق كلام الخالق.

فالقرآن من كلام الله، وكلام الله من صفاته، وكما أن لله ذاتاً لا تشبه ذوات خلقه فله صفات لا تشبه صفات خلقه، فله تعالى الكمال المطلق من جميع الوجوه.

أما المخلوق فالعيب والنقص والخطأ لازم له، وصدق الله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، وهذا أبين بيان وأقطع برهان في أن القرآن من عند الله حقّاً، ووجوه إعجاز القرآن ليس بالإمكان حصرها ولا تعدادها، فمنهج القرآن ونظمه وبلاغته وفصاحته وألفاظه ومعانيه ورونقه وحلاوته وطلاوته، وحِكَمُه وأحكامه وأساليبه.. كل ذلك في غاية من الحكمة والإحكام، كل ذلك بديع، كله رائع، كله مدهش ومنعش، كله عجب وأعاجيب.

وقد تقدم في البحوث السابقة الإشارة في أن الله تعالى تحدى العرب، وتحدى غيرهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، ثم بسورة من مثله، وهم أهل الفصاحة والبلاغة فلم ينطقوا ولا ببنت كلمة، ومن أول وهلة عجزوا وتقاعسوا وخرست ألسنتهم، ومن حاول أن يأتي بمثل القرآن كمسيلمة الكذاب صار موضع السخرية وضحكة العالم.

تحداهم الله مراراً وتكراراً، تحداهم في مكة كما في سورة يونس وفي سورة هود، وتحداهم في المدينة كما في سورة البقرة.

فعليه يا عباد الله ويا مسلمين يجب الإيمان بالقرآن والعمل بالقرآن، ويجب تحكيم القرآن، وفي ذلك ورب العزة شرف الدنيا وعزها ومجدها وفخرها وسعادة الآخرة وأمنها، والعكس بالعكس جزاءً وفاقاً وما ربك بظلام للعبيد.

فالقرآن الكريم ما نزل إلا ليفهم ويعمل به، ما نزل إلا للعمل والتحكيم، ما نزل إلا لتكون له الصدارة والمكانة، ما نزل إلا ليكون نظاماً ودستوراً عامّاً لكل أمة ولكل جيل، وفي ذلك والله صلاح الدين والدنيا، وصلاح الفرد والمجتمع، وصلاح الراعي والرعية والزعيم والمزعوم.

ويا للأسف المصيبة عظيمة والفتنة عمياء الكثير ممن يدعي الإسلام وينتسب إليه في هذا الزمن لا يطبقون تعاليم القرآن، ولا يهتدون بهدي القرآن ولا يستضيئون بنور القرآن، بل عزلوا القرآن عن الحكم والتحكيم، والقرآن خير لهم لو كانوا يعلمون.

فمن سفاهتهم وغرورهم وهوسهم وجنونهم، مناهجهم في الابتدائي والثانوي والعالي أكثرها ليست على هدي القرآن، ومحاكمهم تحكم بالقانون الذي هو من وحي الشيطان.

ومن جهلهم وحمقهم وغطرستهم وغرورهم فصلوا الإسلام عن الدولة، والإسلام دين ودولة، اللَّهُمَّ رد شارد المسلمين إلى الرشاد وجنِّبهم أسباب الغي والفساد، اللَّهُمَّ رحمتك يا حنان ولطفك يا منان.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وأيضاً في سورة سبحان سمَّى الله كتابه العزيز: قرآناً، وإقامة للحجة وقطعاً للمعذرة نوَّع الله فيه الأدلة والبراهين، وصرف الله فيه

الأدلة والأمثال؛ أي: وضَّحها وبيَّنها وأعادها وأبداها مراراً وتكراراً بعبارات وأساليب تتناسب مع العقول والمشاعر، ومع الأمم والأجيال، في كل زمان ومكان، وفي ذلك عظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فكل ما يحتاجه العباد من أمر دينهم ودنياهم وأمر معادهم وغير ذلك جاء في القرآن بأبين بيان وأوضح برهان، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، لعل ولعل كفار قريش ولعل غيرهم من الكافرين والمشركين والزنادقة والملحدين تذهب عنهم نخوة الجاهلية ونعرات النفاق، وتنقشع عنهم غياهب الظلام فيروا الحق حقّاً فيتبعوه، والباطل باطلاً فيجتنبوه.

والحق أحق أن يُتبع، وماذا بعد الحق إلا الضلال، لعلهم يؤمنوا بالقرآن ويصدقوا من جاء بالقرآن ويعملوا بالقرآن، ويطبقوا أحكام القرآن، فيكون لهم العز والشرف والفخار وتكون لهم القيادة والسيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة.

ولكنه مع الأسف الشديد تصديق من الله وتوضيح وتذكير وتذكار ما وجد قابلية إلا قليلاً، أكثر الخلق من بني آدم في أنوفهم زكمة وفي آذانهم صمم وفي قلوبهم عماء، أكثر خلق الله في أرض الله كفار ومنافقون وزنادقة وملحدون، أكثرهم لا يؤمنون، فأبى الظالمون إلا كفوراً، أبوا إلا فسقاً وفجوراً، أبوا إلا خلاعة ومجوناً، وصدق الله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ [الإسراء: ٨٩].

وأيضاً في سورة الإسراء سمَّى الله القرآن: هدى، والهدى والهداية من الله تعالى مذكور ذلك في القرآن في أكثر من مائة وثلاثين موضعاً، ويأتي تحديد ذلك مع ما تيسر من بحوث إن شاء الله تعالى، وفي ستة وأربعين موضعاً من القرآن سمَّى الله القرآن الكريم: هدى.

وعلى كل حال وبلا شك ولا ريب أن القرآن الكريم هو الهدى، هو الهدى من كل فتنة ومن كل ضلالة، هو الهدى من زيغ القلوب ومن وساوس الشيطان.

هو الهدى من الكفر والنفاق والشقاق، هو الهدى من الظلم والجور والفسوق، هو الهدى من كل حيرة وشك، القرآن هو الهدى لمن كان من أهل الهداية، هو الهدى لمن تطلب الهدى وتخلى عن الهوى.

وقد اهتدى بهذا القرآن من سبقت لهم من الله السعادة، ففازوا بخيري الدنيا والآخرة، فازوا بالنعيم المقيم والسعادة الأبدية، كانوا مع الله فكان الله معهم، كانوا في الدنيا سادة وقادة، وفي الآخرة من أهل السعادة.

اهتدى بهذا القرآن صحابة الرسول ﷺ والتابعون لهم بإحسان، كانوا هداةً مهتدين وصلحاء ومصلحين، آمنوا بالقرآن وطبّقوا ما جاء به القرآن عقيدةً وأحكاماً ونظاماً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أما أهل الشقاق والنفاق والكفر والفسوق فهم في كل زمان وفي كل مكان، لم يؤمنوا بالقرآن ولم يصدقوا من جاء بالقرآن، بل يعترضون على الله في ما شاءه وقضاه.

يعترضون على الله قائلين: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء: ٩٤].

وهذا في زعمهم هو الذي منعهم من الإيمان بالقرآن، وغاب عن

الأغبياء أن حكمة الله الحكيم تقتضي ذلك، تقتضي أن يكون المرسل من جنس المرسل إليهم؛ لأنه الذي تتيسر معه المفاهمة والمخاطبة، قال تعالى ممتنّاً على عباده المؤمنين: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال فرعون وملؤه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: ٤٧].

وإقامة للحجة وقطعاً للمعذرة لو قدر أن في الأرض ملائكة مستقرين فيها فلطفاً من الله ورحمة لأنزل عليهم من جنسهم ملكاً رسولاً.

قال جَلَّ ذكره: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء: ٩٤].

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٥].

وفي آخر سورة الإسراء سمَّى الله جَلَّ شأنه كتابه المجيد قرآناً، ووصفه تعالى بالحق، وصدق الله فالقرآن أنزله الله بالحق وبالحق نزل القرآن.

والحق هو الصدق والعدل والإنصاف، وكل ما اشتمل عليه القرآن فهو حق، والحق أحق أن يُتبع، والحق يجب العمل به، والحق يزهق الباطل، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ: ٤٩]، فالقرآن هو الحق، هو الحق حقّاً، ولا عز في الدنيا ولا سعادة في الآخرة إلا لمن قال بهذا الحق وعمل به ودعا إليه.

نعم؛ لقد آمن بهذا الحق وعمل بهذا الحق، ودعا إليه صحابة الرسول ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، فكان هو نظامهم، هو دستورهم، هو نبراسهم.

وبهذا الحق ومن أجل هذا الحق فتحوا البلاد وقلوب العباد، فكانت لهم الدنيا عزّاً وشرفاً وفخراً، وكانت لهم الآخرة نعيماً وأمناً، بشرهم الرسول ﷺ وأنذرهم، فقبلوا البشارة والنذارة بقلوبٍ مطمئنة وصدور رحبة، وصدقوا وآمنوا وعملوا، فعزوا بعد الذلة، واستغنوا بعد الفاقة، وسادت بينهم الألفة بعد العداوة والفرقة، فكانوا ساسة الأمم وزعماء العالم، قوّى القرآن قلوبهم وشد عزائمهم وحفز هممهم فكانوا مضرب المثل شجاعةً وعلماً وحلماً وتقى وزهادة.

ومن حكمته تعالى ورحمته أن أنزل على رسوله هذا القرآن الكريم موضحاً ومبيناً ومفصلاً ولم ينزل جملة واحدة بل مفرقاً على حسب الوقائع والمناسبات؛ ليكون ذلك أسهل لمعرفته وفهمه وأشوق لقبوله وتلقيه.

والآيات التي نسير في ظلها ونستنشق نسيمها فيها إرهاب وتقريع وتهديد لمن لم يؤمن بالقرآن، فمن آمن فالمنة لله عليه، ومن لم يؤمن فلن يضر إلا نفسه، والله غني عن العالمين.

وقد آمن بالقرآن كثير ممن قرأ الكتب قبيل بعثة الرسول ﷺ وكثير من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام، وورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، فحين ما سمعوا القرآن عرفوه من عند الله حقّاً وتحققوه صدقاً.

فخشعت له قلوبهم وتحركت مشاعرهم واهتزت أعطافهم، ولانت جوارحهم فخروا لله سُجّداً، ثم إذا بدمع العين فيها يترقرق ثم يغلب فيسيل معبراً عن تأثر القوم بالقرآن وخشوعهم لآياته الحكيمة.

قال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٥ ـ ١٠٩].

تَنْبِيهٌ

قد تكلمنا على طريقة الاختصار والرمز والإشارة، على شيء من معاني الآيات القرآنية التي وردت في وصف القرآن، وأسماء القرآن، وأهداف القرآن، ومقاصد القرآن.

ومن أول سورة البقرة كان ابتداؤنا وحيث انتهى بنا المطاف إلى آخر سورة الإسراء، وهذا على سبيل التقريب نصف القرآن الكريم، فعليه نكتفي بسرد الآيات الواردة في موضوع بحثنا، وهي الآيات الواردة في أسماء القرآن وأهداف القرآن، بدون شرح؛ **لأمور**:

أولاً: طلباً للاختصار.

ثانياً: لأن الإشارات التي ذكرناها فيما تقدم على الآيات السابقة هي أيضاً بيان وتوضيح للآيات اللاحقة.

۞ ۞ ۞

آيات من سورة الكهف

ومن الله نستمد العون والتوفيق والتسديد، فنقول مستعينين بالله: قد وصف الله جَلَّ شأنه القرآن وسمَّاه: كتاباً وقيماً وحديثاً ووحياً وكلمات وهدى وقرآناً وآيات وذكرى، وذلك في ثمان آياتٍ من سورة الكهف.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف: ١ ـ ٢].

وقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ [الكهف: ٥٤ ـ ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ [الكهف: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾ [الكهف: ١٠١].

❁ ❁ ❁

آيات من سورة مريم

والله جَلَّ شأنه في سورة مريم سمَّى القرآن الكريم: آيات، ووصفه بكونه بشيراً ونذيراً، بشيراً للمؤمنين بكل خير وسعادة، ونذيراً للعصاة والمتمردين والكافرين والمشركين والزنادقة والملحدين.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ [مريم: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ [مريم: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم: ٩٧].

آيات من سورة طه

وفي عشرة آيات منها سمَّى الله كتابه العزيز: قرآناً وآيات وذكرى وتذكرة وهدى، وصدق الله العظيم القرآن الكريم هدًى للمهتدين وذكرى للذاكرين وتذكرةً لخلق الله أجمعين.

قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤﴾ [طه: ١ ـ ٤].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝٩٩﴾ [طه: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۝١١٣﴾ [طه: ١١٣].

وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ۝١١٤﴾ [طه: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٢٧﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ۝١٣٤﴾ [طه: ١٣٤].

آيات من سورة الأنبياء

وفي ست آيات منها سمَّى الله القرآن الكريم: كتاباً ووحياً وقرآناً وذكرى، ووصفه تعالى بكونه مباركاً، وصدق الله ومن أصدق من الله قيلاً.

القرآن المجيد هو الكتاب الكريم، والنبراس العظيم والذكر المبارك الحكيم، هو وحي الله المنزل، نزل به الروح الأمين على سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ [الأنبياء: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ [الأنبياء: ١٠].

وقال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٤﴾ [الأنبياء: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ۝٤٢﴾ [الأنبياء: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ۝٤٥﴾ [الأنبياء: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ [الأنبياء: ٥٠].

آيات من سورة الحج

وفي خمس آيات من سورة الحج سمَّى الله القرآن الكريم: آيات بينات، وتعظيماً للقرآن أضافها تعالى إلى نفسه، ووصفه تعالى بكونه حقّاً.

وصدق ربُّ العزة ﷻ وتقدست أسماؤه، القرآن العظيم هو آيات بينات المعاني، آيات حكيمة وعظيمة، آيات هي مصادر الحكمة والأحكام، آيات هي الحجة والدلالة والبرهان، آيات هي الحق حقّاً وبها يعرف الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [الحج: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ [الحج: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ [الحج: ٧٢].

آيات من سورة المؤمنون

وفي ستِّ آيات من السورة المذكورة سمَّى الله القرآن الكريم: كتاباً وآيات وحقّاً وقولاً.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المؤمنون: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المؤمنون: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [المؤمنون: ٦٦، ٦٧].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المؤمنون: ٦٨، ٦٩].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المؤمنون: ٧٠، ٧١].

وقال تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٥].

آيات من سورة النور

وعدد الآيات الواردة في وصف القرآن وتسميته في سورة النور سبع.

قال تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ [النور: ١].

وقال تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٨﴾ [النور: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٣٤﴾ [النور: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤٦﴾ [النور: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٨﴾ [النور: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٩﴾ [النور: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٦١﴾ [النور: ٦١].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ۝٢٥﴾ [النور: ٢٥].

آيات من سورة الفرقان

وفي ستِّ آيات من سور الفرقان سمَّى الله القرآن العظيم ووصفه بكونه حقّاً وفرقاناً، ونذيراً وقرآناً وآيات وذكرى.

وصدق الله الربُّ العظيم، القرآن الكريم والذكر الحكيم: هو الحق الذي يجب معرفته والعمل به، هو الحق بجميع معانيه.

والقرآن المجيد هو الفرقان، هو الحجة والبيان، هو البشير والنذير، نذير؛ أي: مخوف للكافرين والظالمين، والفاسقين، والزنادقة والملحدين.

وكلام الرحمٰن هو الفرقان الذي فرّق الله به بين الحق والباطل، وبين الغي والرشاد، والهدى والضلال.

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾ [الفرقان: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ۝١٨﴾ [الفرقان: ١٨].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ [الفرقان: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ٧٣﴾ [الفرقان: ٧٣].

۞ ۞ ۞

آيات من سورة الشعراء

وسمَّى الله القرآن في سورة الشعراء: كتاباً، وذكرى وآيات، ووصفه بكونه مبيناً وعربيّاً، وذلك في ثلاث آيات من السورة المذكورة.

وصدق الله العظيم، القرآن الكريم هو: البيان والبين والمبين، فيه بيان وتبيين لكل شيء، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢].

فكل ما تحتاجه المجتمعات البشرية من أمور عقائدها وأحكامها وعباداتها ومعاملاتها وأخلاقها، وسلوكها وحالها ومآلها، وغير ذلك.. مذكور في الكتاب المنزل على النبي الكريم بلسان عربي مبين، فمنة الله على الناس كافة وعلى العرب خاصة، عظيمة وعظيمة؛ حيث كان محمد ﷺ عربيّاً، أنزل الله عليه القرآن بلغة العرب التي هي أفصح اللغات وأوضحها، وأبينها وأسهلها في التخاطب والتفاهم؛ إقامة للحجة، وقطعاً للمعذرة، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

قال عزّ من قائل: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء: ١ ـ ٣].

وقال تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ [الشعراء: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾﴾ [الشعراء: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٩٨ ـ ٢٠١].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ [الشعراء: ٢٠٨ ـ ٢١١].

❁ ❁ ❁

آيات من سورة النمل

وفي ستِّ آيات من سورة النمل سمَّى الله تعالى القرآن الكريم: كتاباً وآيات وقرآناً وهدى ورحمة وبشرى.

نعم؛ كتاب وأي كتاب! كتاب عظيم، كتاب أضاعه أكثر المنتسبين إليه وأكثر أهله، فأضاعوا كتاب الحكمة والأحكام، كتاب فيه الهدى والنور والشفاء، وفيه البيان والإيضاح، وفيه حلٌّ لجميع مشاكل الأفراد والمجتمعات البشرية، في كل زمان ومكان.

كتاب فيه البشارة للمؤمنين والمسلمين وعباد الله الصالحين، بشارة بكل خير، بشارة بالزعامة والقيادة والسيادة والشرف والعز والتمكين في الدنيا، وبشارة في الآخرة بجنات النعيم، وقول الله حق، ووعده صدق: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢].

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿طسٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النمل: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [النمل: ٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [النمل: ٧٦، ٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [النمل: ٩٢].

آيات من سورة القصص

وفي عشر آيات من سورة القصص، وصف الله القرآن وسمَّاه: كتاباً وآيات وحقّاً وقرآناً وهدى.

وصدق الله، فالقرآن هدى للمهتدين، هو الهدى وبه الاهتداء، ومنه يعرف الهدى، فكم وكم اهتدى بهذا القرآن من بني البشر، لا يحصيهم إلا الله تعالى.

وأول من اهتدى بهذا القرآن هم: الرعيل الأول صحابة الرسول ﷺ، ثم التابعون لهم بإحسان: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

وقال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [القصص: ١ ـ ٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [القصص: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [القصص: ٤٧ ـ ٤٩].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص: ٥٢، ٥٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [القصص: ٨٥ ـ ٨٧].

❁ ❁ ❁

آيات من سورة العنكبوت

وفي سورة العنكبوت سمَّى الله القرآن الكريم: كتاباً، ووحياً، وآيات وحقّاً ورحمةً وذكرى، وذلك في ثمان آيات من سورة العنكبوت، وتقدمت الإشارة في أن الله سمَّى القرآن: تذكرة وذكرى في خمسة وخمسين موضعاً.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٣﴾ [العنكبوت: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [العنكبوت: ٤٧ ـ ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٦٨﴾ [العنكبوت: ٦٨].

آيات من سورة الروم

وفي آيتين من سورة الروم سمَّى الله كتابه العزيز: آيات وقرآناً، آيات بينات يجب العمل بها كما يجب الإيمان، وقرآناً عظيماً ضرب الله فيه الأمثال، ونوَّع فيه الأدلة والبراهين؛ ليكون عظة للمتعظين وذكرى للذاكرين، وحجة على الكافرين والمشركين، والزنادقة والملحدين، والظالمين والفاسقين.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الروم: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الروم: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الروم: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الروم: ٣٥].

آيات من سورة لقمان

وفي خمس آيات من سورة لقمان سمَّى الله القرآن العظيم: آيات وكتاباً، وهدى ورحمة، ووصفه تعالى بكونه منزلاً.

نعم؛ القرآن الكريم آيات بينات، هي مصادر الحكمة والأحكام وكتاب عظيم ونبراس يضيء الطريق للسالكين، وهدى للمهتدين، ورحمة للمؤمنين وتنزيل ربِّ العالمين.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [لقمان: ١، ٢].

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [لقمان: ٣، ٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾ [لقمان: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٢١﴾ [لقمان: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ۝٣٢﴾ [لقمان: ٣٢].

آيات من سورة السجدة

في أربع آيات من سورة السجدة سمَّى الله القرآن الكريم: كتاباً وآيات، ووصفه تعالى بكونه حقّاً ومنزلاً.

نعم؛ وعزة ربي القرآن هو كتاب الله العظيم الذي أنزله على رسوله النبي الكريم أنزله لإسعاد البشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور.

هو آية الله العظمى ومعجزة الرسول الكبرى، وآيات بينات وحجج قاطعات، ولا شك ولا امتراء في أن القرآن هو الحق ومصدر الحق وقاعدة الحق، وبه يعرف الحق، والحق أحق أن يتبع، والحق يجب العمل به، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ: ٤٩]، ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، وتقدمت الإشارة في أن الله سمَّى القرآن: حقّاً في إحدى وستين موضعاً.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ [السجدة: ١ ـ ٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [السجدة: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢].

آيات من سورة الأحزاب

وفي أربع آيات من سورة الأحزاب سمَّى الله القرآن: وحياً، وآيات وكتاباً وحقّاً.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ۝٢﴾ [الأحزاب: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ۝٤﴾ [الأحزاب: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ۝٦﴾ [الأحزاب: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝٣٤﴾ [الأحزاب: ٣٤].

والمراد بالحكمة: هي أحاديث الرسول ﷺ.

آيات من سورة سبأ

وفي تسع آيات من سورة سبأ سمَّى الله كتابه العزيز: آيات وقرآناً وحقّاً وهدى، ولا شك ولا امتراء أن القرآن هو الهدى، وبه الاهتداء، ومنه يعرف الهدى، فالقرآن هدًى من كل ضلالة، وهدى من كل حيرة، وشك وارتياب.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ۝٥ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٦﴾ [سبأ: ٥، ٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ۝٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ۝٣٢﴾ [سبأ: ٣١، ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ۝٣٨﴾ [سبأ: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٤٣﴾ [سبأ: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝٤٨ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝٤٩﴾ [سبأ: ٤٨، ٤٩].

آيات من سورة فاطر

وفي سورة فاطر سمَّى الله القرآن الكريم: كتاباً ووحياً وحقّاً، وذلك في أربع آيات من سورة فاطر.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾ [فاطر: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١﴾ [فاطر: ٣١].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ٤٠﴾ [فاطر: ٤٠].

آيات من سورة يس

وفي سورة يس سمَّى الله كتابه العزيز: قرآناً وآيات وذكرى ونذيراً وحكيماً وتنزيلاً، وذلك في خمس آيات من السورة المذكورة.

وتقدمت الإشارة في أن الله سمَّى القرآن الكريم: حكيماً ومحكماً في سبع آيات من آي الذكر الحكيم.

وصدق الله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢]، فالقرآن محكم؛ أي: لا تعارض فيه ولا نقص ولا عيب، وحكيم في أمره ونهيه، وحكيم في وعده ووعيده، وحكيم في ترغيبه وترهيبه، وحكيم في أقضيته وأحكامه، وحكيم في أخباره وأمثاله وأقاصيصه، وحكيم في لفظه وأسلوبه وتنسيقه.

قال جَلَّ شأنه: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾﴾ [يس: ١ ـ ٥].

وقال تعالى: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [يس: ١٠، ١١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [يس: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: ٦٩، ٧٠].

هذه هي الأدلة، وهذه هي البراهين، فهل يا عباد الله، من سامع؟ وهل من مطيع؟ وهل من مدكر؟ وهل من مؤمن بالقرآن وعامل به، وله من الله جنات النعيم؟

۞ ۞ ۞

آيات من سورة الصافات

في آيتين من سورة الصافات سمَّى الله القرآن: حقّاً وذكرى.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤﴾ [الصافات: ١ ـ ٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ۝٣٦ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣٧﴾ [الصافات: ٣٦، ٣٧].

آيات من سورة ص

وفي سبع آيات من سورة ص سمَّى الله كتابه العزيز: قرآناً، ووحياً، وذكراً وكتاباً، ومباركاً، ونبأ عظيماً، ووصفه تعالى بكونه منزلاً.

وقد سمَّى الله القرآن: نبأ عظيماً في موضعين كما هنا، وكما في سورة النبأ، فالقرآن نبأ عظيم يخبر وينبئ عما كان وما يكون، ينبئ عن عظمة الله، ووجوب توحيده وإفراده بالعبادة.

وينبئ عن الأمم الخالية، والقرون السالفة، وما جرى لهم مع الأنبياء والمرسلين، وما جرى عليهم من عذاب ونكال بسبب تكذيبهم وطغيانهم.

وينبئ القرآن عن أحكام العبادات وأحكام المعاملات، وعن كل ما يحتاجه كل مكلف وكل مجتمع بشري، وينبئ عن أمر المعاد وما فيه من حساب وعذاب وجزاء ونعيم.

وينبئ القرآن الكريم عن كل شيء من البداية إلى النهاية، من بداية خلق هذا الكون حتى يستقر أهل النار في جحيمهم وأهل الجنة في نعيمهم، فبُعداً لمن لم يؤمن بهذا القرآن ويطبق أحكامه ونظامه، وسحقاً له سحقاً.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [صٓ: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾﴾ [صٓ: ٨].

وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [صٓ: ٢٩].

وقد أمر الله بتدبر القرآن، وتفهمه وتعقله في أربع آيات من آي الذكر الحكيم كما هنا، وكما في سورة النساء: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾، وكما في سورة المؤمنون: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾، وكما في سورة محمد: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾ [صٓ: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [صٓ: ٦٧، ٦٨].

﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [صٓ: ٦٩].

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ [صٓ: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ [صٓ: ٨٧، ٨٨].

❁ ❁ ❁

آيات من سورة الزمر

وفي إحدى عشرة آية من سورة الزمر، سمَّى الله جَلَّ شأنه القرآن الكريم: كتاباً وقولاً وذِكرى وآيات وحديثاً وصدقاً، ووصفه تعالى بكونه منزلاً، وفي ثلاث عشرة آية من آي الذكر الحكيم سمَّى الله القرآن: صدقاً ومصدقاً.

قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨﴾ [الزمر: ١٨].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٢ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٢٣﴾ [الزمر: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٢٨﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣﴾ [الزمر: ٣٢، ٣٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الزمر: ٤١].

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر: ٧١].

عياذاً بالله من نار السعير عياذاً.

❁ ❁ ❁

آيات من سورة غافر

وفي سبع آيات من سورة غافر سمَّى الله القرآن: كتاباً وآيات وحقّاً، وروحاً، ووصفه تعالى بكونه منزلاً.

وإنما سمَّى القرآن: روحاً؛ لأن العقيدة الإسلامية والدين الصحيح لا يقوم ذلك ولا يستقيم إلا بما جاء به القرآن عقيدة وعبادةً، وأخلاقاً وسلوكاً، وأحكاماً، وسياسةً ونظاماً واقتصاداً.

هذا هو الذي يحيا به القلب وتكون به الحياة طيبةً، كما أن البدن لا ينمو ولا يعيش ولا يبقى إلا بالروح.

ويا أسفاه في هذا الزمن أكثر المنتسبين لهذا القرآن والزاعمين أنهم من أهله، لا يؤمنون به ولا يعملون بأحكامه، لا في عباداتهم ولا في معاملاتهم، نبذوا كتاب الله بقولهم وفعلهم، نبذوه وراءهم ظهريّاً، والقرآن خير لهم لو كانوا يعلمون.

وكثير منهم اعتنقوا المذاهب الهدامة، المذاهب الخبيثة الملعونة، ومنها المذهب الشيوعي الاشتراكي الماركسي، وحكموا القوانين الوضعية التي هي من أفكار المخلوق للمخلوق، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، والطريق واضح والبرهان ساطع والحجة قاطعة.

وصدق الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، ويأتي إن شاء الله عدد الآيات التي فيها الرد على المذهب الشيوعي في عقيدة المسلمين.

وقال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾ [غافر: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ [غافر: ٤، ٥].

وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ [غافر: ١٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ [غافر: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [غافر: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [غافر: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [غافر: ٦٩، ٧٠].

❁ ❁ ❁

آيات من سورة فصلت

وفي عشر آيات من سورة فصلت، سمَّى الله القرآن الكريم: حقّاً ووحياً وهدى وشفاءً وبشيراً ونذيراً وتنزيلاً وكتاباً وقرآناً وآيات وذكرى.

قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤﴾ [فصلت: ١ ـ ٤].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦﴾ [فصلت: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ۝٢٦﴾ [فصلت: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝٢٨﴾ [فصلت: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٠ ـ ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ۝٤٤﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٢، ٥٣].

❁ ❁ ❁

آيات من سورة الشورى

وفي سبع آيات من سورة الشورى، سمَّى الله كتابه العزيز: قرآناً ووحياً وآيات ونوراً وروحاً وعلماً.

حقّاً والحق يُقال: القرآن الكريم روحٌ تحيا به القلوب والنفوس من موت الكفر والشرك والنفاق والفسوق.

وما ذاك إلا لأن معصية الله ومعصية رسوله ﷺ موت قبل الموت، فلا حياة طيبة ولا حياة سعيدة إلا بالإيمان بالقرآن، والعمل بما جاء به القرآن، عقيدة وأحكاماً ونظاماً.

والله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: روحاً في موضعين كما هنا وكما تقدم قريباً في سورة غافر، وسمَّى الله القرآن: نوراً وعلماً، نعم إن القرآن مع سنة الرسول ﷺ هما مصدر التشريع وفيهما من العلوم والحكم والأحكام ما يغني عن القوانين الوضعية التي هي من عمل المخلوق للمخلوق، ولكنه الجهل والغرور، أفحكم الجاهلية يبغون، ومَن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾ [الشورى: ١ ـ ٣].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾ [الشورى: ١٤].

وقال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ [الشورى: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ١٧﴾ [الشورى: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٣٥﴾ [الشورى: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورى: ٥٢].

❁ ❁ ❁

آيات من سورة الزخرف

وفي إحدى عشرة آية من سورة الزخرف، سمَّى الله كتابه العزيز: قرآناً وهدى، وحقّاً، وآيات ووحياً وكتاباً وذكرى.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾ [الزخرف: ١ ـ ٥].

وقال تعالى: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ۝٢١﴾ [الزخرف: ٢١].

وقال تعالى: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٢٤﴾ [الزخرف: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ۝٢٩ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٠ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾ [الزخرف: ٢٩ ـ ٣١].

وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤٣ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ۝٤٤﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٦٩ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝٧٠﴾ [الزخرف: ٦٩، ٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝٧٧ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٨﴾ [الزخرف: ٧٧، ٧٨].

آيات من سورة الدخان

وفي ثلاث آيات من سورة الدخان، سمَّى الله القرآن الكريم: كتاباً ومنزلاً ورحمة ونذيراً.

قال تعالى: بسم الرحمٰن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦﴾ [الدخان: ١ ـ ٦].

آيات من سورة الجاثية

وفي تسع آيات من السورة المذكورة، سمَّى الله القرآن الكريم: كتاباً وآيات ومنزلاً وبصائر ورحمة وهدى وعلماً.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [الجاثية: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩﴾ [الجاثية: ٦ ـ ٩].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝١١﴾ [الجاثية: ١١].

وقال تعالى: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الجاثية: ١٧].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٢٠﴾ [الجاثية: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٥﴾ [الجاثية: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝٣١﴾ [الجاثية: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الجاثية: ٣٥].

فالله جَلَّ شأنه في آية واحدة كما هنا، سمَّى القرآن الكريم بثلاثة أسماء: بصائر ورحمة وهدى.

حقّاً هو الهدى والرحمة والبصائر من كل مشكلة من مشاكل الحياة الاجتماعية، هو الهدى من كل حيرة وشك وارتياب، هو الهدى من كل بدعة ومن كل محرم.

فيجب معرفة تلك البصائر والرحمة والهدى، ويجب العمل بذلك عقيدةً وأحكاماً ونظاماً، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

❁ ❁ ❁

آيات من سورة الأحقاف

وفي تسع آيات من سورة الأحقاف سمَّى الله القرآن العزيز: كتاباً ووحياً وآيات وقرآناً، وهدى ومصدقاً وبشيراً ونذيراً.

وصدق الله ومَن أصدق من الله قيلاً، القرآن الكريم والنبراس العظيم هو آية الله العظمى، ومعجزة الرسول الكبرى، هو الهدى وهو النور والشفاء، وهو البشير والنذير؛ هو البشير بكل خير، والنذير من كل شر.

وحيث أن القرآن الكريم بأسلوبه البديع الرائع وأسلوبه الجذاب يأخذ بمجامع القلوب شوقاً وطرباً ورجاءً وإعجاباً وفرحاً واستبشاراً تارةً، وإنذاراً وتقريعاً وخوفاً وإرهاباً تارة أخرى.

فبهذا ومن أجل هذا وغير هذا لما سمعته الجن عرفوه من عند الله حقّاً، فلم يترددوا ولم يتلعثموا بل آمنوا به وصدقوا قائلين: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١، ٢].

وقالوا أيضاً: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣﴾ [الجن: ١٣]، فيا مسلمين ويا عباد الله، لا بد من الإيمان بالقرآن، ولا بد من العمل بالقرآن، ولا بد من تحكيم القرآن، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٤٤﴾ [المائدة: ٤٤].

أما الحكم بالقوانين الوضعية التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي هي من عمل المخلوق للمخلوق، ومن صنع البشرية لأنفسها، فهو

ظلم وضلال، وجور وفجور وزندقة وإلحاد وكفر بالله العظيم، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

ويا أسفاه المصيبة عظمى، والجاهلية جهلاء هي جاهلية القرن العشرين، أكثر المنتسبين للإسلام أوكلهم إلا القليل في هذا الزمن يحكمون بالقوانين الرومانية والعادات الفرنجية والنظم الفرعونية، فلا حول ولا قوة إلا بالله، تركوا أحكام القرآن الحكيمة التي بها يسود الأمن في البلاد وبها تحفظ حقوق العباد، تركوا القرآن وأحكام القرآن العادلة، والقرآن خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ [الأحقاف: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأحقاف: ٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الأحقاف: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف: ١١].

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الأحقاف: ١٢].

وقال تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأحقاف: ٢٦، ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا

حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا
سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ
طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ
وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ
لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٢].

۞ ۞ ۞

آيات من سورة محمد

وفي ست آيات من سورة محمد، سمَّى الله كتابه العزيز: منزلاً وحقّاً، وسوراً وقرآناً ومحكماً وهدى، وأمر تعالى بتدبر القرآن في أربع آيات، كما في سورة محمد[١]، وفي سورة النساء[٢].

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

وقال تعالى في سورة صٓ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾، وقال تعالى في سورة المؤمنين: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

فالله تعالى أمر بتدبر القرآن وتفهم القرآن وتعقل القرآن، ولا خير للبشرية أجمع إلا بفهم القرآن والعمل بالقرآن ظاهراً وباطناً، عقيدةً وأحكاماً ونظاماً.

هذا هو الذي به خير البشرية وسعادتها وراحتها وطمأنينتها وسلامتها، من حروبها العالمية المهلكة للحرث والنسل، وسلامتها من خلاعتها الماجنة، وسلامتها من اشتراكية ماكرة، فالاشتراكية الشيوعية محادة لله ولرسوله، اشتراكية ما أنزل الله بها من سلطان، الاشتراكية ليست من الإسلام في شيء؛ لأنها مصادمة لأحكام القرآن، ونظام

---

(١) محمد: ٢٤.

(٢) النساء: ٨٢.

القرآن، وبعون الله وتوفيقه سنذكر عدد الآيات القرآنية التي فيها الرد على المذهب الشيوعي.

وهذا المرض الفتاك كما هو معروف تفشى في المجتمعات الإسلامية، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولا بد من الإيمان بالقرآن، ولا بد من العمل بالقرآن، وإذا لم تعمل الشعوب المسلمة بالقرآن، فلا خير في الحياة.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾ [محمد: ٢، ٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [محمد: ٢٠، ٢١].

وقال جلَّ شأنه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [محمد: ٢٤ ـ ٢٦].

❁ ❁ ❁

آيات من سورة الفتح

وفي سورة الفتح في آيتين منها، سمَّى الله القرآن الكريم: هدى ودين الحق وكلام الله.

وصدق الله ومن أصدق من الله قيلاً، دين العدالة والإنصاف، جاء رسول ربِّ العالمين وسيد الأولين والآخرين بهذا الدين الجديد، دين لا كان ولا يكون مثله، دين جاء بالصلاح والإصلاح.

دين جاء لإسعاد البشرية في دنياها وأُخراها، دين جاء بحل مشاكل الحياة الاجتماعية والفردية في كل زمان وفي كل مكان، دين جاء بعز الدنيا وسعادة الآخرة، دين جاء بنسخ كل دين يخالف أحكامه ونظامه، دين يجب أن يدان به.

دين لا يقبل الله من الأديان سواه، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، دين الإسلام الذي أصله الأصيل ومادته وقاعدته، هو القرآن الكريم وسُنَّة الرسول ﷺ، هو أحسن الأديان نظاماً وأعدلها أحكاماً، دين ليس فيه أغلال ولا آصار ولا ضيق ولا حرج.

دين جاء لتكون الحاكمية والهيمنة له، جاء ليكون ظاهراً على الشرائع والأديان كلها.

وحكمة الله الحكيم تقتضي ذلك؛ لأنه آخر الأديان فليس بعد هذا الدين دين، وليس بعد هذه الشريعة شريعة، فاقتضت حكمة الله أن يكون

ناسخاً لكل ما خالفه من الشرائع والأديان، فجاء تشريعاً عامّاً لكل أمة ولكل جيل من الأجيال، حتى يأذن الله بطي بساط هذا الكون، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وأيضاً في سورة الفتح، سمَّى الله القرآن: كلام الله، لا شك ولا مراء في أن القرآن الكريم كلام الله حروفه ومعانيه، هذا قول أهل السُّنَّة والجماعة خلافاً لأهل البدع كالجهمية والأشعرية والمعتزلة ومَن قال بمثل قولهم، والشر كله في الابتداع والخير كله في الاتباع، وقد ذكرنا هذه المذاهب في كتابنا عقيدة المسلمين والرد على الملحدين.

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح: ١٥].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: ٢٨].

اللَّهُمَّ اهدنا بالهدى وزيِّنَّا بالتقوى، واغفر لنا وارحمنا يا غفور يا رحيم.

❁ ❁ ❁

آيات من سورة ق

وفي ثلاث آيات من سور قٓ، سمَّى الله كتابه العزيز: قرآناً وحقّاً ومجيداً ومذكراً، فالله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: حقّاً، والحق هو العدل والإنصاف.

ومن كذب بهذا الحق ولم يعمل بهذا الحق فهو في أمر مريج؛ أي: مضطرب ملتبس حيران متذبذب في غرور، متدهور، وفي ظلام دامس، وحيرة وارتباك.

وأكثر المنتسبين للإسلام عياذاً بالله في هذا الزمن، هكذا كانوا في عقائدهم وأقوالهم وأعمالهم، فلا خير والله للبشرية كلها وبالأخص المسلمين والمنتسبين للإسلام، إلا بفهم القرآن والعمل بالقرآن عقيدةً وأحكاماً ونظاماً، فالحكم بالقوانين المخالفة لأحكام القرآن والسُّنَّة ظلم وجور وزندقة وإلحاد.

وأيضاً سمَّى الله القرآن: مذكراً، نعم، وعزة ربي القرآن المجيد هو المذكر والذكر والتذكار، ولا أعظم ولا أبلغ من تذكير القرآن، غير أنه لا يتذكر بالتذكير إلا من يرجو ثواب الله ويخشى عقابه، إنما يتذكر أولو الألباب.

وقد سمَّى الله القرآن: تذكرة وذكرى في خمسة وخمسين موضعاً، ومعنى المجيد؛ أي: ذو مجد، وعظمة وشرف على سائر الكتب المنزلة من السماء على جميع الأنبياء والمرسلين، وحيث أن القرآن مجيد وعظيم أقسم الله به.

قال جلَّ شأنه: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [قٓ: ١ ـ ٥].

وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ [قٓ: ٤٥].

اللَّهُمَّ اجعلنا من المتذكرين بالقرآن، ومن الذين يخافون الوعيد.

❁ ❁ ❁

آية واحدة من سورة الذاريات

وفي آية من سورة الذاريات، سمَّى الله القرآن: حقّاً، وأقسم الله بنفسه جَلَّ وعلا مؤكداً بأن القرآن حق، وهذا على قول قتادة[١]، وقيل: المراد بالحق هو البعث والجزاء، وقيل: ما عدَّد الله في هذه السورة من النعم.

فقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٣].

اللَّهُمَّ أرنا الحق حقّاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٣٦٣).

آيتان من سورة الطور

وفي سورة الطور، سمَّى الله القرآن الكريم: كتاباً وحديثاً، وتقدم بيان أن الله سمَّى القرآن: كتاباً في سبع وسبعين آية، وسمَّاه الله: حديثاً في خمس عشرة آية.

وحيث أن القرآن عظيم أقسم الله به، وأقسم بالطور وهو الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام، وأقسم بالرق المنشور، وأقسم بالبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور.

والله تعالى له أن يقسم بما شاء، أما المخلوق فليس له أن يقسم بمخلوق مثله، فلا يجوز أن يقسم المخلوق إلا بخالقه؛ لأن القسم تعظيم والتعظيم من خصائص الله تعالى.

وجواب القسم: إن عذاب ربك لواقع، والرق: الورق الذي يكتب فيه، والمنشور: المكتوب الظاهر، والبيت المعمور: بيت في السماء تتعبد فيه ملائكة الرحمٰن، والسقف المرفوع: المراد به السماء، والبحر المسجور؛ أي: المملوء ماء، أو المملوء ناراً تلظى، والمراد بالطور: الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾ [الطور: ١ ـ ٧].

ومن حماقة قريش وغرورها وغطرستها وكفرها، نسبوا الرسول إلى

التخبيل والجنون والكهانة، ومرة يقولون: ساحر وشاعر، فأنزل الله: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [الطور: ٢٩، ٣٠].

ثم بعد ذلك يأتي من الله التهديد والتقريع.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣١ ـ ٣٤].

هذه الآية الكريمة من الآيات التي تحدى الله بها قريشاً والعرب كلها بل وكل أجناس البشر بأن يأتوا بمثل القرآن، بمثل تركيبه وفصاحته وبلاغته وجزالة لفظه وحسن أسلوبه، وما أودعه الله من المعاني الجليلة والأحكام الحكيمة، وغير ذلك مما تعجز عنه عقول البشر ومفاهيم المخلوقين.

على زعم قريش إن كان محمد تقوَّله، وعلى زعم الذين يشككون المسلمين في عقيدتهم ودينهم وشريعتهم، وفي طليعة هؤلاء المستشرقون من يهودية ونصرانية الزاعمون بأن محمداً قال هذا القرآن وهو من عبقريته ومن تفكيره.

فعليه؛ الباب مفتوح والميدان فسيح لكل مخلوق، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين، وأنى لهم ذلك فقريش مع فصاحتها وبلاغتها خرست ألسنتهم فلم ينطقوا ولا ببنت كلمة.

وإقامة للحجة وإظهاراً للحق وانتصاراً له وإبطالاً للباطل، تحداهم الله بأن يأتوا بعشر سور مثله، فتخدرت أعصابهم وتبلبلت أفكارهم، وجوابهم هو السكوت في محاورة الخصام، ثم تحداهم الرب العظيم الذي ليس له نظير ولا شبيه، ولا لكلامه مثيل، بأن يأتوا بسورة

من مثله ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣].

فطئطؤوا رؤوسهم وخرجوا من مواعيد هذا التحدي، يجرون ثياب الخزي والهزيمة حيارى صاغرين.

وما زال ولا يزال هذا التحدي أصواته مدوية وأعلامه مرفرفة إلى ما لا نهاية له، وهذا أبين بيان وأعظم برهان على أن هذا القرآن منزل من عند الله، فيجب الإيمان به ويجب العمل بنظامه وأحكامه.

وخصوصاً إذا لم يعمل المسلمون بكتاب ربهم في كل ميادين حياتهم، فقل على الحياة العفاء وعلى الإسلام والمسلمين السلام.

❁ ❁ ❁

آيات من سورة النجم

وفي خمس آيات من سورة النجم، سمَّى الله القرآن: وحياً وحديثاً وذكرى وهدى، وقد أقسم الله جَلَّ شأنه بأن هذا القرآن الذي جاء به خاتم النبيين حق وصدق من عند الله تعالى، أوحاه إلى محمد ﷺ، بواسطة جبريل عليه السلام، فليس بمكذوب ولا مفترى ولا بأساطير الأولين، بل هو كلام الله حروفه ومعانيه، تكلم الله به حقيقة، وقالت الأشاعرة: القرآن عبارة عن كلام الله، وقالت الكلابية: القرآن حكاية عن كلام الله، وقالت الجهمية: القرآن مخلوق، وكل ذلك باطل.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١ ـ ١١].

والنجم الذي أقسم الله به، قيل: الثريا، وقيل: الشعرى، وهو المعروف بالمرزم، وقيل: هو اسم جنس، وجواب القسم: إن هو إلا وحي يُوحى.

وفي سورة النجم، سمَّى الله القرآن: هدى، وعابَ تعالى الذين يتبعون الظنون الكاذبة وينقادون لهواء النفس الأمارة بالسوء، وبعد ما عاب تعالى أوثان الجاهلية، قال تعالى: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ۝٢٣﴾ [النجم: ٢٣].

والله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: هدى في ست وأربعين آية.

وأيضاً سمَّى الله القرآن: ذكرى، وقد أمر نبيّه ﷺ بأن يعرض عن من تنكب طريق الهداية والرشاد، وكان دنيئاً في همته، حقيراً في مقصده، غايته الدنيا وما ينال من أطماعها، والدنيا حقيرة ومن يطلبها وتكون أكبر همه حقير، والآخرة شريفة ومن يطلبها شريف، وما أكثر الذين هدفهم الدنيا لا أرب لهم فيما عند الله وما يقربهم إليه.

وما أكثر المعرضين عن ذكر الله! ما أكثر المعرضين عن القرآن، والله يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤، ١٢٦].

قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾ [النجم: ٢٩].

وسمَّى الله القرآن: حديثاً، حديث عظيم، حديث منه العجب، وفيه الأعاجيب، ولذا أثّر في مشاعر قريش وسرى في أحاسيسها وألان من طغيانها، فسجدوا مع الساجدين لما سجد رسول ربِّ العالمين، والآية الكريمة من الآيات الدالة على تحريم الغناء والأغاني؛ لأن السمود هو اللهو والغناء في لغة حِمير.

نعم؛ حينما قرأ الرسول ﷺ سورة النجم سجد، وسجد معه كفار قريش وهو إذ ذاك بمكة.

قال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦٢].

❁ ❁ ❁

آيات من سورة القمر

وفي خمس آيات من سورة القمر، سمَّى الله القرآن الكريم: قرآناً وحكمة بالغة؛ حكمة من حكيم عليم، القرآن حكمة محكمة، حكمة عظيمة ليس فيه نقص ولا حشو ولا خلل ولا عيب، حكمة بلغت الغاية في البهاء والإتقان والكمال والجمال.

وقد سمَّى الله القرآن: حكيماً وحكمة ومحكماً في سبع آيات، فالقرآن قد اشتمل على ما به صلاح الدين وصلاح الدنيا.

قد اشتمل القرآن على العلوم النافعة، اشتمل على ما به سعادة البشرية، في أمر دينها ودنياها، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢]، ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾ [القمر: ٤ ـ ٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾ [القمر: ١٧، ١٨].

وقال تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾ [القمر: ٣٩، ٤٠].

وقال تعالى حينما عاقب ثمود الطغاة المتمردين: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾ [القمر: ٣١، ٣٢].

والإدكار هو الرجوع إلى الله والإنابة إليه وصدق معاملته، ومن إحسانه تعالى وفضله ومنته كرر هذه الآية الكريمة، لما فيها من التيسير لحفظ القرآن ومعرفة معانيه، وفهم ما فيه من وعدٍ ووعيد وترغيب وترهيب، وفهم ما فيه من أسرار وحِكَم وأحكام، وغير ذلك مما اشتمل عليه القرآن الكريم.

❁ ❁ ❁

آية واحدة من سورة الرحمن

وفي آية من سورة الرحمٰن، سمَّى الله كتابه العزيز: قرآناً ، ومن رحمته تعالى امتن على عباده بنعمه التي لا تُحصى، نِعم عظيمة.

نِعم؛ من البداية إلى النهاية حتى يستقر أهل الجنة في نعيمهم وأهل النار في جحيمهم، نِعم ظاهرة وباطنة، نِعم عددها الله في هذه السورة، نِعم هي من ضروريات الحياة البشرية، نِعم تفضل بها الذي افتتح السورة باسمه الرحمٰن.

ومن أجل نِعم الله قدراً وأعظمها نفعاً، هذا القرآن الذي اشتمل على عزِّ الدنيا وسعادة الآخرة، لمن آمن به وعمل بأحكامه.

هذا القرآن الذي جاء لإسعاد البشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور، ومن فضله تعالى وإحسانه ورحمته، أن علّم القرآن علّم عباده المؤمنين والمسلمين ألفاظه وأحكامه ومعانيه، فتعلم القرآن وفهم القرآن والعمل بالقرآن، والحمد لله سهلٌ ميسر بيِّن واضح جلي، ليس برموز ولا إشارات ولا بألغاز ولا أحاجي، ولا فيه غموض ولا تعقيد، ولا نقص فيه ولا عيب، إنما العيب والنقص والتقصير من عقول البشر ومفاهيم المخلوقين.

اللَّهُمَّ وفقنا جميعاً رعاةً ورعيةً وزعماءَ ومزعومين إلى تطبيق الأنظمة السماوية، والعقائد الربانية، والأحكام الإلٰهية، وإذا لم يكن المسلمون هكذا فلا خيرة في الحياة.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٧].

آيات من سورة الواقعة

وفي ثلاث آيات من سورة الواقعة، سمَّى الله جَلَّ شأنه كتابه العزيز: قرآناً وحديثاً وتنزيلاً، وأقسم تعالى بمواقع النجوم؛ أي: مساقطها في مغاربها.

والنجوم لا يعرف تصميمها وأحجامها وأبعادها إلا الذي خلقها، والمقسم عليه هو القرآن، تعظيماً وتفخيماً للقرآن، أقسم تعالى بأن القرآن حق وصدق، منزل من عند الله.

فليس بمكذوب ولا مفترى ولا سحر ولا كهانة ولا من أساطير الأولين، بل هو كلام ربِّ العالمين نزل به الروح الأمين على سيد الأولين والآخرين.

قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٧].

أي: كله خير وبركة وعلم نافع، عظم الله هذا القرآن ورفع قدره وفضله على سائر الكتب المنزلة من عند الله: ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة: ٧٨]؛ أي: مستور ومصون، والمراد به: اللوح المحفوظ ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٩] المراد بهم: ملائكة الرحمٰن.

واختار جمهور العلماء بأنه لا يجوز مس المصحف إلا لمن كان على طهارة؛ لعموم الآية الكريمة، ولحديث عمرو بن حزم حيث

قال عليه السلام: «**لا يمس القرآن إلا طاهر**»[١]، وحكى الشوكاني إجماع العلماء على أنه لا يجوز للمحدث حدثاً أكبر أن يمس المصحف[٢].

أما من كان حدثه حدثاً أصغر فذهب ابن عباس والشعبي والضحاك وأبو حنيفة وكثير من العلماء إلى أنه يجوز له مس المصحف، ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٠ ـ ٨٢]، تنسبون نِعم الله إلى غيره تقولون: مُطرنا بنوء كذا وكذا.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مالك في موطئه (٥٣٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٣٢١٧)، وفي المعجم الصغير (١١٦٢)، البيهقي (٤١٤)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٨٠).

(٢) نيل الأوطار (١/ ٢٦٠).

آيات من سورة الحديد

وفي ثلاث آيات من سورة الحديد، سمَّى الله القرآن الكريم: آيات وذكرى وحقّاً ومنزلاً، وقد أخبر الله تعالى بأنه لطيف بعباده رؤوف رحيم، أرسل الرسول وأنزل عليه القرآن لإخراج من أراد الله هدايته من الظلمات إلى النور، من ظلمات الكفر والفسوق والظلم والجور والطغيان والمعاصي، إلى نور الإسلام والعلم والإيمان والتقوى.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد: ٩].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦].

وتقدم بيان بأن الله سمَّى القرآن: ذكرى في خمس وخمسين موضعاً، وسمَّاه: تنزيلاً ومنزلاً في اثنتين وأربعين ومائة آية، وسمَّاه الله: حقّاً في إحدى وستين آية.

وفي هذه الآية الكريمة يعاتب الله عباده المؤمنين عتاباً ما ألطفه وما أحلاه، وما أروعه وما أجمله، ألم تحن الفرصة ألم يأتِ الوقت الذي يخشع فيه القلب، نعم الفرصة مواتية والوقت مناسب، ولا عذر للمؤمنين، وهم يتلون كتاب الله ويتدبرون آياته ويفهمون وعده ووعيده وترغيبه وترهيبه ويتذكرون بتذكيره، ويهدون بهديه.

في القرآن الكريم تشويق للنفوس وحفز للهمم وتحريك للمشاعر وصقل للقلوب، أما آن للمؤمنين والمسلمين أن يعملوا بكتاب ربهم وسُنَّة نبيِّهم ﷺ.

أما آن لهم أن يؤوبوا إلى رشدهم ويرجعوا عن غيهم، فيتركوا الحكم والتحاكم إلى القوانين الوضعية، والنظم الفرعونية والعادات الغربية، أما آن للمسلمين أن يحكموا بكتاب ربهم، ولا يكونوا كأهل الكتابين الذين طال عليهم الطريق واستبعدوا ما ليس ببعيد، فتقهقروا عن طريق الهدى، فعاقبهم الله بقسوة في قلوبهم وفساد في تصورهم، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

أما آن للمسلمين أن تخشع قلوبهم وتطمئن نفوسهم للقرآن وأحكام القرآن ونظام القرآن، وخشوع القلب هو لينه ورقته واستكانته وخضوعه، هذا هو الخشوع في لغة العرب، والله تعالى ذكر الخشوع في القرآن في أربع عشرة آية، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب، وبالله الثقة وعليه الاعتماد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❁ ❁ ❁

آية واحدة من سورة المجادلة

أخبر تعالى بأنه أنزل آيات ووصفها بالبيان والإيضاح، والمراد بذلك: جميع القرآن، فهو الواضح الجلي والبيان البيِّن، الذي لا لبس فيه ولا غموض.

القرآن وكلماته وسوره وآياته نزل تشريعاً عامّاً لكل أمة، ولكل جيل من الأجيال، فاقتضت حكمة الله أن يكون واضح الدلالة جلي البرهان.

قال تعالى واصفاً للقرآن بأنه منزل من عنده وبأنه آيات بينات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥﴾ [المجادلة: ٥].

آية واحدة من سورة الحشر

بعدما حثَّ تعالى على العمل الصالح ورغَّب فيه، قال: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ٢٠].

لا يستوى مَن كان مؤمناً تقيّاً، ومَن كان مجرماً شقيّاً، بعد هذا قال تعالى معظماً للقرآن: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١].

في هذه الآية الكريمة سمَّى الله كتابه العزيز: قرآناً ومنزلاً، نعم هو منزل من عند الله العزيز الحكيم، وقرآن عظيم ومجيد لا كان ولا يكون مثله، لا في وعده ووعيده، ولا في ترغيبه وترهيبه، ولا في حكمه وأحكامه، ولا في عظمته وبهائه ورونقه وجودة ألفاظه، ولا في فصاحته وبلاغته وجزالة لفظه، ولا في حسن تركيبه وجمال أسلوبه، أسلوبه الجذاب.

لما تقدم ولغيره مما اشتمل عليه القرآن من المعاني الجليلة والمواعظ البليغة لو أنزل هذا القرآن على جبل لرأيتَ الجبل مع ضخامته وقسوته وصلابته خاشعاً مستكيناً، متصدعاً؛ أي: متشققاً من خشية الله لقوة تأثير القرآن ولعظمة القرآن.

هذا مثل ضربه الله جَلَّ شأنه، فقلوب المكلفين التي لا تستكين للقرآن، ولا تعظم القرآن ولا تؤمن بالقرآن، ولا تعمل بالقرآن، هي قلوب رانت عليها ذنوبها قلوب متحجرة قلوب عياذاً بالله منكوسة، قلوب

قاسية أقسى من الجبال الصم الشوامخ لا ترضخ للحق ولا تستكين له، ولكن أمامها الملين الأعظم نار السعير.

والمصيبة عظمى وجاهلية هذا الزمن جهلاء أعظم من جاهلية أبي جهل، أكثر المنتسبين للإسلام والزاعمين أنهم من أهله نبذوا القرآن وراءهم ظهريّاً، والقرآن خير لهم لو كانوا يعلمون، تفرنجوا وتفرنجت نساؤهم فتدهوروا، أضاعوا القرآن فضاعوا حقيقةً ومعنى، أضاعوا الدرة الثمينة، أضاعوا ما به عزهم ومجدهم.

﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

❁ ❁ ❁

آية واحدة من سورة الممتحنة

في آية من سورة الممتحنة سمَّى الله القرآن: حقّاً، وماذا بعد الحق إلا الضلال، فالقرآن وما اشتمل عليه من المعاني الجليلة والأحكام الحكيمة والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والأمر والنهي وغير ذلك، الجميع في صالح المجموعة البشرية في دنياها وأُخراها، الجميع حق والحق يقال والحق أحق أن يُتبع.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة: ١].

وفي الآية الكريمة تحريم موالاة الكافرين أعداء الله وأعداء رسوله، فموالاة الكافرين محرمة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، بل هي من كبائر الذنوب لما يترتب عليها من المفاسد الدينية والأخلاقية والسياسية، وسبب نزول الآية قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، حينما كتب لكفار قريش عام فتح مكة[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤).

آيات من سورة الصف

وفي ثلاث آيات من سورة الصف، سمَّى الله القرآن: نوراً وهدى وبيناتٍ.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف: ٦ ـ ٩].

وفي الآية الكريمة دليل على عموم رسالة الرسول ﷺ، وفيها بيان أن الدين الإسلامي نسخ الأديان والشرائع كلها.

وفي سياق هذه الآيات بيان ضلال اليهود وطغيانهم وكفرهم وتمردهم ومكرهم ومحاولاتهم الخبيثة.

وصدق الله القرآن نور يتلألأ، نور وهاج، نور لا أفول له، نور ينير الطريق للسالكين، نور في القلب، ونور في البصيرة، ونور في الدنيا، ونور في الآخرة، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، والله يهدي لنوره من يشاء، ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم: ٨].

وكما أن القرآن نور فهو هدى، هدى يهدي للتي هي أقوم، هدى

من كل كفر وفسوق، ومن كل ظلم وجور، ومن كل حيرة وشك، هدى لكل خير وفضيلة وسعادة، هدى للمهتدين، هدى لمن تطلب الهداية وكان من أهلها، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣]، اللَّهُمَّ اهدنا ولا تضلنا، اللَّهُمَّ اهدنا بالهدى وزيِّنّا بالتقوى واغفر لنا في الآخرة والأولى.

۞ ۞ ۞

آية واحدة من سورة الجمعة

وفي آية من سورة الجمعة، سمَّى الله القرآن: العزيز آيات وكتاباً، وقد رحم الله العباد وامتن عليهم وبالأخص العرب ببعثة محمد ﷺ.

بعدما كان العرب في جاهلية جهلاء لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، يعبدون الأصنام، ويشربون الخمور، ويرتكبون الجرائم، ويقطعون الأرحام، وكالسباع الضواري يأكل قويهم ضعيفهم، وفي حالة مزرية ولا وزن لهم ولا قيمة عالة على غيرهم من الفرس والروم.

بعد هذا الشر المستطير، بعد ذلك كله، زكت نفوسهم وتهذبت أخلاقهم واستنارت قلوبهم، بالقرآن العظيم والنبي الكريم، فكانوا قوماً لا كان مثلهم ولا يكون، كانوا مضرب المثل في العبادة والزهادة والتقى والخشية لله تعالى.

ومن أجل القرآن وعلى حساب القرآن ألَّف الله بين قلوبهم فأصبحوا بنعمة الله إخواناً، ومن أجل القرآن والعمل بالقرآن، بأسرع وقت وأقرب فرصة كانوا رضي الله عنهم زعماء العالم وقادة الشعوب، وساسة الأمم، وبوقت مبكر قامت الدولة الإسلامية، دولة قوية الأركان مرهوبة الجانب، دولة من أجل القرآن والعمل بما جاء به رسول القرآن، كانت لها السيادة والقيادة، دولة صالحة ومصلحة، دولة رجالها هم الرجال حقّاً.

رجال قاتلوا لدين الله ولإعلاء كلمة الله، الله أكبر! ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ما قاتلوا من أجل عنصرية ولا من أجل عروبة، ولا على حساب شيوعية، واشتراكية أو أحزاب بعثية، لا ومائة ألف لا، بل قاتلوا بعدما زكت نفوسهم بكتاب ربهم، وحكمة نبيهم ﷺ، ليكون دين الإسلام ظاهراً على كل الأديان كلها.

ولا عزّ والله ولا نصر للمسلمين إلا إذا عملوا بكتاب ربهم وسُنَّة نبيِّهم محمد بن عبد الله عليه من ربه الصلاة والسلام، برهان ما أشرنا إليه سابقاً قوله جَلَّ شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

والأمي: هو الذي لا يقرأ ولا يكتب، كما ذلك معروف، والله ولي التوفيق.

۞ ۞ ۞

آيتان من سورة التغابن

وفي آيتين من سورة التغابن، سمَّى الله القرآن الكريم: آيات وتنزيلاً ونوراً، وحيث أن الإيمان هو القاعدة الأساسية لأصول الإسلام، أمر تعالى بالإيمان به وبرسوله وبالقرآن الذي هو نور وهدى ورحمة وشفاء.

قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٨﴾ [التغابن: ٨].

ولازم الإيمان بالله ورسوله طاعتهما في الأمر والنهي، ولازم الإيمان بالقرآن العمل بالقرآن، ومن عمل بالقرآن فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٠﴾ [التغابن: ١٠].

والتكذيب بالقرآن وآيات القرآن يكون بالقول ويكون بالفعل.

فالذي لا يعمل بالقرآن في عقيدته وأقواله وأفعاله وأعماله مكذب بالقرآن، ومن كذب بالقرآن فسبيله سبيل الهالكين الأشقياء، وما أكثر المكذبين في هذا الزمن الذي طغت فيه موجات الفتن وقامت فيه أعاصير الضلال، والكفر والنفاق والزندقة والإلحاد.

آيات من سورة الطلاق

وفي ثلاث آيات من سورة الطلاق، سمَّى الله القرآن: تنزيلاً وآيات بينات وذكرى، وحيث أن التقوى من واجبات الدين الإسلامي، حثَّ الله عليها ورغب فيها.

وتقوى الله تعالى هي فعل الواجبات وترك المحرمات، وقد ذكر الله التقوى في القرآن في مائتين وأربعين (٢٤٠) آية تقريباً، والموجب للتقوى والباعث عليها هو القرآن وفهم القرآن والعمل به: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

قال جلَّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾﴾ [الطلاق: ٥].

والقرآن الكريم هو الذي به المخرج من مزالق الهلكة، هو الذي به النجاة من ظلمات الجهل، والكفر والضلال والفسوق، هو الذي به العصمة من الشهوات والشبهات والشك والريب، هو النور الساطع الوضاء الذي ينير الطريق للسالكين.

قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١٠﴾ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق: ١٠، ١١].

آية واحدة من سورة الملك

والله تعالى في هذه السورة العظيمة، سمَّى القرآن: تنزيلاً من الله كغيره من الكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ [الملك: ٨، ٩].

هكذا الطغاة المتمردون والكفرة والمنافقون، عندما يتساءل معهم خزنة جهنم ألم يأتكم نذير، أجابوا معترفين: بلى، قد جاءنا نذير، فاعترفوا بذنبهم، وأقروا بجريمتهم، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء: ١٥]، فالحجة قائمة والعذر منتفٍ، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وإلى الله تُرجع الأمور.

آيات من سورة القلم

في أربع آيات من سورة القلم، سمَّى الله القرآن: آيات وحديثاً وذكراً.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [القلم: ١٠ ـ ١٦].

هذه الآيات الكريمة زاخرة في عيب المكذبين بالقرآن، والذي حملهم على عدم الإيمان بالقرآن وعدم العمل بالقرآن، وجعلهم يتصفون بالصفات الذميمة المذكورة في هذه الآيات، هو الحمق والغرور والجهل والغطرسة والكبر والطغيان، وفي طليعة المكذبين بالقرآن والزاعمين أنه أساطير الأولين، الوليد بن المغيرة، فطبعه الشرس وأخلاقه السيئة وقوله القبيح هو سبب نزول الآيات التي تراها، وكل من لم يؤمن بالقرآن فهو عنيد كالوليد وعذابه شديد.

وقال تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥].

هذا وعيد وتهديد وإرهاب من الله تعالى لمن كذب بالقرآن، ومن لم يجعل القرآن وسُنَّة الرسول ﷺ مصدر أحكامه ونظامه، فهو مكذب بهذا الحديث والمراد به القرآن.

وأكثر المنتسبين للإسلام اليوم هدانا الله وإياهم سبيل الرشاد

عباداتهم غالباً وأحكامهم وسياستهم ونظامهم وأعمالهم وأفعالهم وأقوالهم وعاداتهم ليست على هدى القرآن، والقرآن خير لهم لو كانوا يعلمون، وكما سمَّى الله القرآن: حديثاً، وسمَّاه: ذكراً.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [القلم: ٥١، ٥٢].

وحيث أن القرآن أنزله الله لهداية البشر، لهداية الخلق أجمعين، سمَّاه الله: ذكراً وتذكيراً وتذكرة في خمس وخمسين آية، ولا أعظم ولا أنفع ولا أبلغ من تذكير القرآن، اللَّهُمَّ ارفعنا وانفعنا بتذكير القرآن، اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أولياؤك وخاصتك يا ربِّ العالمين.

۞ ۞ ۞

آيات من سورة الحاقة

وفي خمس آيات من سورة الحاقة، سمَّى الله القرآن: قولاً وتنزيلاً وحقّاً وتذكره، حقّاً والحق يُقال وماذا بعد الحق إلا الضلال، فالقرآن هو الحق الذي يجب اتباعه، هو الحق الذي يجب العمل به، هو الحق الذي يحقق العدالة والإنصاف.

هو الحق الذي لا ظلم فيه ولا جور ولا اعتداء، هو الحق الذي يحقق للبشرية الأمن والراحة والسعادة والهناء والاطمئنان والعز والشرف، وبالأخص مجموعة الإسلام والمسلمين، والقرآن كما هو حق فهو ذكر وتذكرة وذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين.

قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٥٢].

ومعنى كون القرآن قول رسول كريم: هو أن جبريل تبلغه من الله، ومحمد تبلغه من جبريل فبلغه صحابته، فليس هو من تفكير محمد ولا من عبقرية محمد كما يقوله بعض زنادقة المستشرقين، وليس القرآن الكريم بسحر ولا شعر ولا كهانة، بل هو قول ربِّ العالمين، نزل به الروح الأمين على سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

آيات من سورة الجن

وفي ثلاث آيات من سورة الجن، سمَّى الله كتابه العزيز: قرآناً ووحياً وهدى وذكراً.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١، ٢].

الجن خلقٌ من خلق الله موجودون ولهذا ذكرهم الله في القرآن في إحدى وخمسين آية، أو ما يقارب هذا العدد، فالذي يكذب بالجن مكذب بالقرآن.

والقرآن هو الحجة والبرهان على ذوي الطغيان، فلا ينكر الجن إلا كل ملحد زنديق كافر بالله العظيم، وهنا شيء غريب وعجيب، نفر من الجن عددهم ليس بالكثير، يعظمون القرآن ويؤمنون بالقرآن، ويصفون القرآن بالهداية إلى الرشد، ويؤمنون بالله ويفردونه بالعبادة والتوحيد، وهم لم يسمعوا القرآن إلا مرة واحدة، ولم يسمعوا إلا آيات يسيرة، ومع ذلك أثر في نفوسهم وقلوبهم وعاطفتهم فاعترفوا بعظمة القرآن وجلالة قدره ومكانته المرموقة.

والكثير من بني البشر سمعوا القرآن ويسمعونه مراراً وتكراراً ولا إيمان ولا عمل ولا تصديق ولا عين ولا أثر، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج: ٤٦]

وصريح القرآن أن الجن مكلفون ويدخل مؤمنهم الجنة وكافرهم

النار، ورسالة الرسول ﷺ عامة للثقلين الإنس والجن، وقد أجمع المسلمون على أن الجن ليس منهم رسول بل منهم نذر.

قال تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٢].

فحيث أن القرآن عظيم وعظيم، وأسلوبه بديع وجذاب، وفيه من الفصاحة والبلاغة وجزالة اللفظ، وفيه حلاوة وعليه طلاوة، وقد اشتمل على المعاني الجليلة والحِكم والأحكام والوعيد والترغيب والترهيب وغير ذلك، مما لا يدركه وصف الواصفين لكلام ربِّ العالمين.

لذا؛ لمَّا ترنم الرسول ببعض آيات من آيات الذكر الحكيم، دارت بين الحاضرين من الجن همسات الإسكات والإنصات، فاستمعوا للقرآن استماع تعقل وتفهم فعرفوه من عند الله حقّاً، وصدقاً فآمنوا مبادرين بلا تردد ولا تلعثم، فجاؤوا إلى قومهم مُنْذِرين وُدعاةً مرشدين.

وأيضاً سمَّى الله القرآن: هدى، فقال تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ [الجن: ١٣].

وسمَّى الله القرآن: ذكراً، وتوعد الله تعالى المعرضين عن العمل بالقرآن بالعذاب الشديد المؤلم الشديد في نار جهنم.

فقال تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٧].

فالذين يحكمون بالقوانين الوضعية المخالفة لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ لهم نصيبٌ من الوعيد المذكور في هذه الآية الكريمة.

آيات من سورة المزمل

في أربع آيات من سورة المزمل، سمَّى الله كتابه العزيز: قولاً ثقيلاً وقرآناً وتذكرة، وقولاً ثقيلاً لما فيه من الأوامر والنواهي والتكاليف العظيمة، ولما فيه من الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والحِكم والأحكام وغير ذلك مما اشتمل عليه القرآن الكريم.

والقرآن تذكرة للمتذكرين، مذكِّر بعظمة الله وأسمائه وصفاته، ومذكِّر بما يجب لله وما لا يجب وما يجوز وما لا يجوز.

والقرآن تذكرة بوعد الله ووعيده، ولكنه تذكير وتذكرة لمن يتقى الله ويخشاه ويرجو ثوابه ويخشى عقابه: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤﴾ [طه: ١ ـ ٤]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾ [الحاقة: ٤٨].

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ١ ـ ٤].

والترتيل: هو الترسل والتمهل في القراءة، ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩﴾ [المزمل: ١٩].

والله جَلَّ شأنه أمر بتلاوة القرآن، وأمر بقراءة القرآن، وأمر بترتيل

القرآن وأمر بتدبر القرآن، وأمر بالعمل بالقرآن، ولا خير ولا فلاح ولا سعادة لمسلم يرجو ثواب الله ويخشى عقابه إلا بذلك.

قال تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: ٢٠].

❁ ❁ ❁

آيات من سورة المدثر

وفي ثلاث آيات سمَّى الله القرآن: آيات، وسمَّاه: تذكرة.

قال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: ١١ ـ ٣٠].

هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي.

فإنه من كفره وغروره وطغيانه وتمرده وغطرسته وعناده لله ولرسوله زعم أن القرآن سحرٌ وأنه من قول البشر، فأنزل الله هذه الآيات الكريمات التي فيها الوعيد والتهديد والعذاب الشديد للوليد العنيد.

وروى ابن جرير في «تفسيره» والبيهقي في «دلائل النبوة»، وابن هشام في «السيرة»، والحاكم وصححه، وابن المنذر[1]، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا

(١) أخرجه الحاكم (٣٨٧٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/١٩٨)، وصححه الألباني في صحيح السيرة (ص١٥٩).

جهل فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه، فإنك أتيتَ محمداً لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك كاره له وأنك منكر له.

قال: وماذا أقول؟! فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته، قال: والله لا يرضى قومكم حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فلما فكر، قال: هذا سحرٌ يؤثر يأثره عن غيره. فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدثر: ١١]. اهـ.

ولكل قومٍ وارث، فكل من لم يؤمن بالقرآن ولم يعمل بالقرآن، فقدوته وسلفه هو الوليد الكافر العنيد، فيستحق العذاب الشديد، وما عذاب ربك من الظالمين ببعيد.

وأيضاً في هذه السورة الكريمة سمَّى الله القرآن: تذكرة، وذم الله المعرضين عن القرآن وعن التذكر بالقرآن، بأبشع الذم وعابهم تعالى بأقبح عيب وهم مستحقون لذلك، وأكثر منه.

قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِىءٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر: ٤٩ ـ ٥٦].

والمراد بالحمر: هي حمر الوحش، والقسورة: هو الرامي الذي يريد صيدها، وقيل: هو الأسد، والعلم عند الله جَلَّ شأنه وتقدس اسمه.

۞ ۞ ۞

آيتان من سورة القيامة

وفي آيتين من سورة القيامة، سمَّى الله كتابه العزيز: قرآناً .

قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٩].

كان ﷺ إذا شرع جبريل بإلقاء الوحي عليه بادره النبي ﷺ حرصاً وشفقةً منه على معرفته وحفظه، قبل أن يفرغَ جبريل من تلاوته عليه، فنهى الله نبيَّه عن مبادرة جبريل وضمن له تعالى حفظه لفظاً ومعنى، وهذا من فضل الله على رسوله ﷺ، وعلى أمة الإسلام، والله ذو الفضل العظيم، فكان عليه السلام إذا أتاه جبريل أطرق واستمع، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

آيتان من سورة الإنسان

في سورة الإنسان سمَّى الله كتابه العزيز: قرآناً وتنزيلاً، وسمَّى الله سورة الإنسان: تذكرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإنسان: ٢٣، ٢٤].

فمن رحمته تعالى وحكمته أنزل القرآن على رسوله ﷺ تنزيلاً؛ أي: مفرقاً على حسب الأحوال والحاجة والمناسبات والوقائع.

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، ثم قرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦][1]، والراجح: أن مدة الوحي ثلاث وعشرون سنة، عشر سنين في مكة، وثلاث عشرة سنة في المدينة، والعلم عند الله تعالى، والله حكيم عليم.

وأيضاً سمَّى الله سورة الإنسان: تذكرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإنسان: ٢٩].

فالسورة مذكرة من حين تكوين خلق الإنسان في بطن أمه، وفي

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٩٣٦)، والحاكم (٣٩٥٨).

حال وجوده في هذه الحياة وفي حال مصيره، إما إلى جنة ينعم فيها، ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]، وإما إلى نار يلقى فيها العذاب الشديد مع كل كفار عنيد.

❁ ❁ ❁

آية واحدة من سورة المرسلات

وفي آية من سورة المرسلات، سمَّى الله القرآن الكريم: حديثاً.

وقد أشرنا سابقاً إلى أن الله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: حديثاً في أربع عشرة آية.

حديث فيه الأعاجيب، حديث فيه ما يسعد البشرية في دنياها وأُخراها في كل زمان وفي كل مكان، ولكن الغرور متراكم والجهل مخيم على المجتمع البشري، والجهل يفعل بأهله كل قبيح.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المرسلات: ٤٨ ـ ٥٠].

أي: أيُّ شيء تؤمن به الإنسانية الضالة إذا لم تؤمن بالقرآن.

وبأي شيء تعمل إذا لم تعمل بالقرآن، فإذا لم تؤمن بالقرآن وتعمل به، فهي ضالة ومتدهورة، وعاقبتها الويل والثبور.

آيتان من سورة النبأ

وفي آيتين من سورة النبأ، سمَّى الله القرآن: آيات ونبأً عظيماً.

قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ [النبأ: ١ ـ ٣].

فالقرآن الكريم نبأ عظيم ينبئ عن عظمة الله وأسمائه وصفاته، وينبئ عما يجب لله، وما أحله الله وما حرمه، وينبئ عن البعث والنشور والحساب والعقاب والجزاء.

ينبئ النبأ العظيم والذكر الحكيم عما كان ويكون، حتى يستقر أهل الجنة بنعيمهم وأهل النار في جحيمهم، ولله الأمر من قبل ومن بعد، فريق في الجنة وفريق في السعير.

ينبئ القرآن عن صدق الرسول، وعن وجوب طاعة الرسول ﷺ، وفي ثلاثة مواضع سمَّى الله القرآن: نبأ عظيماً كما في هذه السورة، وكما في سورة صٓ[1]، وسورة القمر، وفي سورة عم أيضاً سمَّى الله القرآن: آيات.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨﴾ [النبأ: ٢٧ ـ ٢٨].

(١) قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۝٦٧﴾ [صٓ: ٦٧].

آية واحدة من سورة عبس

والله تقدَّس اسمه، سمَّى سورة عبس: تذكرة، والتذكرة الموعظة.

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾ [عبس: ١١ ـ ١٢].

أي: من شاء قبل هذا الإرشاد والوعظ والتوجيه، ومن تمادى في جهله وغروره وطغيانه فإنه لا يضر إلا نفسه، وهذا من باب الإرهاب والتهديد، لا من باب الإباحة والتخيير، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

اللَّهُمَّ اجعلنا من المتذكرين بالقرآن، ومن الشاكرين والذاكرين الله بالقرآن.

آيتان من سورة التكوير

وفي آيتين من سورة التكوير، سمَّى الله القرآن: تذكرةً، وسمَّاه: قولاً.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٩].

إظهاراً لعظمة القرآن، وتحقيقاً لصحة القرآن وثبوت القرآن، جعله الله جواباً لما أقسم به، فالقرآن هو من عند الله، هو كلام الله حروفه ومعانيه، تكلم به حقيقة، فتبلغه جبريل من الله، وتبلغه محمد من جبريل، وكل من جبريل ومحمد عليهما السلام، بلغه بأمانة وصدق وتثبت.

وقد خاب من افترى، خاب الزنادقة والملاحدة والفلاسفة والدهريون، خاب وخسر من لم يعظم القرآن ولم يؤمن بالقرآن ولم يعمل بالقرآن، خاب من زعم أن القرآن سحر أو كهانة أو قول شيطان رجيم، خاب زنادقة هذا العصر وملاحدة هذا الزمن، القائلون بأن نظام القرآن وأحكام القرآن لا تصلح ولا تناسب هذا العصر، عصر التقدم والتمدن، هذه قولة الحمقى والمبرسمين قاتلهم الله أنى يؤفكون، فالقرآن وما اشتمل عليه صالح ومصلح لكل زمان ومكان.

والقرآن كما هو قول فهو ذكر للعالمين، مذكِّر للإنسانية كلها بما يعود عليها بالخير والسعادة في دنياها وأُخراها، وفي هذه السورة سورة التكوير يقول تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ [التكوير: ٢٨].

وقد أمر الله بالاستقامة وحث عليها، فقال تعالى لرسوله عليه السلام: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾ [هود: ١١٢].

وفي ثمان آيات أمر الله بالاستقامة ورغب فيها، والاستقامة هي قول الحق والعمل به، والله ولي التوفيق.

❁ ❁ ❁

آية واحدة من سورة المطففين

وفي آية من سورة المطففين، سمَّى الله القرآن الكريم: آيات، وتعظيماً للقرآن أضافها تعالى إلى نفسه.

فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المطففين: ١٠ ـ ١٣].

آية واحدة من سورة الانشقاق

وفي آية من سورة الانشقاق، سمَّى الله تعالى ذكره كتابه العزيز: قرآناً ، وعاب تعالى الذين لا يؤمنون بالقرآن ولا يعملون بالقرآن، وأكثر الخلق هذه أحوالهم وهذه أعمالهم فلا حول ولا قوة إلا بالله.

قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾﴾ [الانشقاق: ١٦ ـ ٢٥].

آية واحدة من سورة البروج

وفي آية من سورة البروج، سمَّى الله كتابه العزيز: قرآناً مجيداً، والله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: مجيداً في موضعين كما هنا وكما في سورة قٓ[1]، ومعنى مجيداً؛ أي: شريفاً وعظيماً؛ لأنه كلام الله، ولأنه جاء بكل خير وسعادة، ولما فيه من الفصاحة والبلاغة وحسن الأسلوب وجمال التركيب، ولما فيه من المعاني الجليلة والأحكام الحكيمة، فهو أعظم كتاب سماوي أنزل على أفضل رسول أُرسل لخير أمة أخرجت للناس.

قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ [البروج: ١٩ ـ ٢٢].

(١) قال الله جل وعلا ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١﴾ [قٓ: ١].

آية واحدة من سورة الطارق

وفي آية من سورة الطارق، سمَّى الله القرآن: قولاً فصلاً، هو قول الله حروفه ومعانيه، حق وصدق ليس بالهزل بل هو جد، فصل القرآن بين الحق والباطل، وبين الغي والرشاد، وبين الهدى والضلال.

في القرآن تفصيل لكل شيء، فيه تفصيل لكل ما يحتاجه العباد في أمر دينهم وأمر دنياهم.

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢]، ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١].

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: ١١ ـ ١٧].

آية واحدة من سورة العلق

وفي سورة العلق، سمَّى الله كتابه العزيز: قرآناً .

قال جَلَّ شأنه: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

وهذه السورة هي أول ما نزل من القرآن على الرسول ﷺ، اللَّهُمَّ اهدنا بالقرآن، وارفعنا بالقرآن، وانفعنا بالقرآن وعلوم القرآن، اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل القرآن الذين هم خاصتك من خلقك يا ربَّ العالمين.

آية واحدة من سورة القدر

في هذه السورة سمَّى الله القرآن: تنزيلاً، وتقدمت الإشارة في كونه تعالى سمَّى القرآن: منزلاً وتنزيلاً في مائة واثنتين وأربعين آية.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ١ ـ ٣].

قال ابن جرير في «التفسير»: حدثنا ابن المثنى قال: حدثني عبد الأعلى، قال: حدثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس، قال: نزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا، فكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئاً أنزله منه حتى جمعه[1]. اهـ.

وهذا لا ينفي أن يكون جبريل أخذه عن الله تعالى، وتقدم ذلك.

ويشهد لقول ابن عباس قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ١ ـ ٤].

فرحم الله العباد بهذا القرآن العظيم الذي هو رحمة وهدى ونور وشفاء، وفَّقنا الله والمسلمين لفهم كتابه العزيز، وللعمل بما فيه من أحكام ونظام.

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٤٢).

فالمسلمون خصوصاً إذا لم يعملوا بكتاب ربهم وسُنَّة نبيِّهم، فهم والله في ظلام دامس وفي حيرة وارتباك، كلما تنكبت الأمة الإسلامية الصراط المستقيم والمنهج القويم ستجد الشقاء والحيرة والعناء والاضطراب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

فإذا غيَّروا غيَّر الله عليهم، وما ربك بظلامٍ للعبيد.

❁ ❁ ❁

آية واحدة من سورة البيِّنة

وفي هذه السورة سمَّى الله القرآن: قيماً وبينة وصحفاً مطهرة.

قال تعالى في وصفه للقرآن وتسميته له:

بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ [البينة: ١ ـ ٤].

حيث أن القرآن الكريم نزل تشريعاً عامّاً لكل أمة ولكل جيل من الأجيال، فهو واضح جلي لا لبس فيه ولا غموض؛ لذا سمَّاه الله بياناً وبينات في خمس وعشرين آية، وفي ثمانية مواضع سمَّاه الله قيماً: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾ [الكهف: ١ ـ ٣].

فالقرآن الكريم قيم؛ أي: مستقيم، وصدق وعدل، حكيم ومحكم، صالح ومصلح لكل فرد ولكل مجتمع مصلح، لكل من كان عنده قابلية للصلاح، اللَّهُمَّ أصلح قلوبنا ونياتنا وأعمالنا، اللَّهُمَّ اجعلنا من الذين لهم ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٢ ـ ٢٤]، اللَّهُمَّ رحمتك يا كريم ولطفك يا عظيم.

دعاء

اللَّهُمَّ احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تشمت بي عدوّاً ولا حاسداً، اللَّهُمَّ إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغِنَى.

اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، وعمل لا يُرفع، ودعاء لا يُسمع، اللَّهُمَّ اجعلنا هادين مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، سلماً لأوليائك وعدوّاً لأعدائك، نحب بحبك من أحبك، ونعادي بعداوتك من خالف أمرك، اللَّهُمَّ هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان.

اللَّهُمَّ إني أسألك بكل اسم هو لكَ، سميتَ به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علَّمته أحداً من خلقك أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء همي وغمي وسائقي إليك وإلى جناتك جنات النعيم، اللَّهُمَّ ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت، وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عني، واجعله لي حجة يا ربَّ العالمين.

اللَّهُمَّ أغنني بالعلم، وزيني بالحلم، وأكرمني بالتقوى، وجملني بالعافية، اللَّهُمَّ انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني، وزدني علماً، الحمد لله على كل حال، وأعوذ بالله من حال أهل النار، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأعوذ بك من الذنب الذي لا أعلم.

اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الحور بعد الكور، ومن الضلال بعد

الهدى، اللَّهُمَّ وفقني وجميع المسلمين للإخلاص في النية والقول والعمل.

وهذا آخر ما يسّر الله ومنتهى ما قصدنا إيراده، وما أردتُ إلا نفعاً، وانتفاعاً، وما قصدتُ إلا خيراً، والكمال لله جَلَّ شأنه، والعيبُ والقصور والنقص لكل مخلوق، والصفح والتجاوز والعفو من أخلاق الكرام، والعكس بالعكس، وقد قيل:

وإن تجد عيباً فسد الخللا فجل مَن لا عيب فيه وعلا

وإن شاء الله يتلو هذا الكتاب، كتابٌ آخر اسمه: «الحجة والهدى والبيان في آيات القرآن»، يسّر الله ذلك بمنِّه وكرمه.

وصلّى الله وسلِّم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه

٢٠/ ١٢/ ١٣٩٦هـ

عدلنا عن هذه التسمية إلى تسمية أخرى، وهي «**عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين**» والحمد لله تم تبيضه وطبعه الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ، والطبعة الثانية وفيها بعض الزيادات عام ١٤٠٤هـ، وهو مكون من مجلدين كل واحد عدد صفحاته أكثر من ٥٠٠ صفحة.

قال ذلك وكتبه الفقير إلى الله **صالح بن إبراهيم البليهي**.

۞ ۞ ۞

فهرس الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الأولى	٥
ترجمة الشيخ العلامة صالح بن إبراهيم البليهي رحمه الله	٩
صور المخطوطات	١٥
الحمد لله هدف ومقصود	٢١
وعلى الله نتوكل وبه نستعين	٢٣
طريقة التحدي	٣١
منقذ البشرية	٣٧
مشاكل الحياة	٤٠
لا تجزئة ولا تقسيم	٤٥
زور وباطل	٤٨
شكر وتقدير	٥١
قوة معنوية	٥٨
حفظ وعناية	٦١
أهداف نبيلة	٦٩
طريقتي في هذا الكتاب	٧٢
أسماء القرآن بالترتيب	٧٤
الأحاديث الواردة في فضائل القرآن وعددها عشرون حديثاً	٨٠
ويتلو كتاب الله	٨٩
كتاب الله أصبح هادياً	٨٩
من قصائد حسان بن ثابت رضي الله عنه	٩٠
القرآ ن وحي ونور	٩٢
القرآن نور	٩٣
تنزيل نص مليكنا	٩٤
(ضياء نور) قصيدة لورقة بن نوفل	٩٤
نافلة القرآن من قصيدة كعب بن زهير	٩٥
(نبغي الهدى) من شعر سواد بن قارب الدوسي	٩٥
(يقص لنا ما قال نوح) من قصيدة لأبي قيس الأنصاري	٩٦
(دينك دين صدق) من شعر سعد بن أبي وقاص	٩٧
أمر الله يأخذ بالقلوب	٩٨
فرقان من الله منزل	٩٨
بحبل غير منجذم	٩٩
ينزل من جو السماء	٩٩
يتلو كتاب الله	١٠٠
مواعظ من ربنا	١٠٠
قتلناكم على تنزيله	١٠١
القرآن كتاب حق	١٠٢
القرآن برهان	١٠٢
القرآن وحي وتنزيل	١٠٣
كتاب الله	١٠٣

الموضوع	الصفحة
آيات حق من الرحمٰن	١٠٣
آياته مشرقة المعاني	١٠٤
نعم المطية للفتى آثار	١٠٥
هو نور	١٠٥
اقتد بكتاب الله	١٠٥
القرآن كلام الله	١٠٦
القرآن كلام الله المنزل	١١١
كتاب الله سلاح	١١١
هو قول ربي	١١٣
القرآن برهان	١١٥
القرآن حبل الله	١١٦
فاصدع بأمرك	١١٧
القرآن مثاني	١١٧
القرآن برهان	١١٨
العلم زين وتشريف	١١٨
اتل كتاب الله	١١٩
العلم قال الله	١١٩
تكلم الله به فأسمعا	١٢٠
القرآن كلام الله	١٢٢
القرآن هدى وشفاء	١٢٣
علم الكتاب وما سَنَّ الرسول لنا	١٢٤
القرآن منزل	١٢٥
القرآن كلام الله	١٢٦
كتاب الله أصل أول	١٢٧
كفاهم كتاب الله	١٢٨
القرآن كلام الله	١٣٠
وما هو إلا الوحي	١٣١
هو الوحي دين الله	١٣٢
وتقتدي بكتاب الله	١٣٣
هو البصائر والشفاء	١٣٤
المتلو قول الباري	١٣٧
آيات القرآن محكمة	١٣٨
كلام ربي منزل تنزيلاً	١٣٩
كتاب حوى كل العلوم	١٤٠
القرآن هو خير هاد للأنام	١٤٥
القرآن كلام الله تعالى	١٤٧
أليس كتاب الله حبلاً معلقاً	١٤٧
افهم خطاب كتاب الله	١٤٩
كتاب الله ينطق معلناً	١٥٠
القرآن معجزة	١٥٠
القرآن كتاب صادق	١٥١
القرآن وحي وهدى وكتاب صدق حكيم	١٥٢
كتاب الله أنزل صادقاً	١٥٢
كتاب الله نقرؤه	١٥٣
القضاء في كتاب الله	١٥٣
يقضي الكتاب على الصليب	١٥٤
القرآن دين حق	١٥٤
القرآن كتاب ونور	١٥٤
القرآن نور	١٥٥
القرآن فرقان	١٥٥
القرآن آيات	١٥٥
آثرت وحياً	١٥٦
التهجد بالقرآن	١٥٧
القرآن سور وتنزيل من حكيم حميد	١٥٧

الموضوع	الصفحة
كتاب الله	١٥٧
أتل ما في سورة البقرة	١٥٨
القضاء في كتاب الله	١٥٨
كلام الله أنزله	١٥٨
التعويل على الوحي	١٥٩
نطق النبي بالقرآن	١٥٩
القرآن حوى كل علم	١٥٩
القرآن فرقان	١٦٠
القرآن مثاني	١٦١
عليَّ أن أتلو القرآن	١٦١
دعوة الحق في كتاب كريم	١٦١
جاءكم بالهدى كتاب كريم	١٦٤
القرآن بلاغ	١٦٥
قد جاء بالدين قرآن	١٦٥
واتل بفهم كتاب الله	١٦٦
حلفت بالسبع اللواتي	١٦٦
القرآن فرقان	١٦٧
قسماً بآيات الكتاب	١٦٧
القرآن والسيف	١٦٨
تمسكوا بكتاب الله	١٦٩
دعوت إلى الوحي المقدس	١٦٩
الوحي والسيف	١٧١
تمسك بما في محكم النص	١٧١
هذي المكارم	١٧١
نبذتم كتاب الله	١٧٢
أتى بالهدى نوراً	١٧٣
قف بالمثاني	١٧٤
أي الكتاب كفت دلالتها	١٧٥
فيا حبذا القرآن	١٧٦
كل خير في كتاب ربي	١٧٦
علوم الكتاب الله	١٧٧
فاتل كتاب الله	١٧٧
يدل على هذا الكتاب	١٧٨
القرآن ذكر	١٧٨
تكفي سورة الإخلاص	١٧٩
القرآن كلام الله	١٨٠
كتاب الله شفاه	١٨١
القرآن موعظة	١٨١
القرآن نور وهدى	١٨٢
قرآننا مشعل يهدي	١٨٢
حديقة الفرقان ضاحكة الربا	١٨٣
خذ بالكتاب	١٨٥
عين من الفرقان	١٨٥
آياته كلما طال المدى جدد	١٨٦
القرآن تنزيل ربنا وكلامه الحكيم	١٨٧
كم أبانت آياته من علوم	١٨٧
القرآن كلام الله	١٨٩
تعريف الوحي	١٩٤
كيفيات الوحي	١٩٤
ثم قال البخاري: باب	١٩٦
ثم قال البخاري: باب	١٩٨
تنزيلات القرآن	١٩٨
كيفية أخذ جبريل للقرآن	٢٠١
قول ابن قيم الجوزية	٢٠٤

الموضوع	الصفحة
قول الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى	٢٠٤
قول شارح الطحاوية	٢٠٥
قول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ	٢٠٥
قول الشيخ محمد بن علي الشوكاني	٢٠٦
قول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني	٢٠٦
قول الشيخ محمد السفاريني	٢٠٧
قول الشيخ محمد بن عثيمين	٢٠٧
قول الشيخ محمد بن علي الصابوني	٢٠٨
قول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني	٢٠٩
قول الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن	٢٠٩
تنبيه	٢١٠
أسماء القرآن	٢١١
تنزيل	٢١٢
القرآن آيات	٢١٤
كتاب	٢١٦
قرآن	٢١٩
القرآن حق	٢٢١
القرآن تذكرة وذكرى	٢٢٤
فذكر بالقرآن من يخاف وعيد	٢٢٥
القرآن هدى	٢٢٨
القرآن وحي	٢٣٢
القرآن صراط مستقيم	٢٣٦
القرآن تبيان وبينات	٢٤٠
القرآن صدق ومصدق	٢٤٢
القرآن مفصل وفصل	٢٤٤
القرآن حديث	٢٤٧
القرآن رحمة	٢٥٠
القرآن نور	٢٥٤
القرآن نذير	٢٦١
القرآن كلام الله	٢٦٥
القرآن قول	٢٧٠
القرآن قول ثقيل	٢٧٣
القرآن قول فصل	٢٧٥
القرآن عربي	٢٧٦
تكملة	٢٧٩
القرآن سور	٢٨١
فائدة	٢٨٤
القرآن حكيم ومحكم	٢٨٧
فائدة	٢٨٨
القرآن حكمة بالغة	٢٨٩
فائدة: سنة الرسول ﷺ هي أقواله وأفعاله وتقريراته	٢٩٠
القرآن حكم عربي	٢٩٢
القرآن علم	٢٩٤
غضب الله على اليهود	٢٩٨
العلم وفضل العلم	٣٠٠
إرشاد وتحذير	٣٠٦
العلم ثمرته العمل	٣٠٨
تنبيه	٣١٢
القرآن قصص	٣١٣
القرآن دين قيم	٣١٥
القرآن بشير	٣١٧
الرسول ﷺ بشير	٣٢٠

فهرس الجزء الثاني

الموضوع	الصفحة
وجوب طاعة الرسول	٣٢٥
عموم رسالة الرسول	٣٢٨
غريبة	٣٣١
القاديانية	٣٣٥
تنبيه	٣٣٦
القرآن موعظة	٣٣٧
القرآن مبارك	٣٤٢
القرآن بصائر	٣٤٦
القرآن شفاء	٣٤٩
القرآن نبأ عظيم	٣٥٣
القرآن فرقان	٣٥٦
القرآن مجيد	٣٦٠
القرآن روح	٣٦٣
القرآن بلاغ	٣٦٨
القرآن حبل الله	٣٧٢
القرآن برهان	٣٨٠
القرآن أحسن الحديث، وأحسن القصص	٣٨٧
القرآن منادياً للإيمان	٣٩١
القرآن زبور	٣٩٦
القرآن فضل الله ورحمته	٤٠٠
القرآن الكريم مثاني	٤٠٥
تنبيه	٤١٢
آيات من سورة البقرة	٤١٤
آيات من سورة آل عمران	٤٢٦
آيات من سورة النساء	٤٣٦
آيات من سورة المائدة	٤٤٣
آيات من سورة الأنعام	٤٥٢
تنبيه	٤٦٥
آيات من سورة الأعراف	٤٦٦
آيات من سورة الأنفال	٤٧٥
آيات من سورة التوبة	٤٧٩
آيات من سورة يونس	٤٨٢
آيات من سورة هود	٤٩٣
آيات من سورة يوسف	٤٩٥
آيات من سورة الرعد	٤٩٨
آيات من سورة إبراهيم	٥٠٤
آيات من سورة الحجر	٥٠٦
آيات من سورة النحل	٥١٠
آيات من سورة الإسراء	٥١٧
تنبيه	٥٣١
آيات من سورة الكهف عددها (٨)	٥٣٢
آيات من سورة مريم عددها (٣)	٥٣٤
آيات من سورة طه عددها (١٠)	٥٣٥
آيات من سورة الأنبياء عددها (٦)	٥٣٦

الموضوع	الصفحة
آيات من سورة الحج عددها (٥)	٥٣٧
آيات من سورة المؤمنون عددها (٦)	٥٣٨
آيات من سورة النور عددها (٧)	٥٣٩
آيات من سورة الفرقان عددها (٦)	٥٤٠
آيات من سورة الشعراء عددها (٣)	٥٤٢
آيات من سور النمل عددها (٦)	٥٤٤
آيات من سورة القصص عددها (١٠)	٥٤٥
آيات من سورة العنكبوت عددها (٨)	٥٤٧
آيات من سورة الروم عددها (٢)	٥٤٨
آيات من سورة لقمان عددها (٥)	٥٤٩
آيات من سورة السجدة عددها (٤)	٥٥٠
آيات من سورة الأحزاب عددها (٤)	٥٥١
آيات من سورة سبأ عددها (٩)	٥٥٢
آيات من سورة فاطر عددها (٤)	٥٥٣
آيات من سورة يس عددها (٥)	٥٥٤
آيتان من سورة الصافات	٥٥٦
سبع آيات من سورة صٓ	٥٥٧
إحدى عشرة آية من سورة الزمر	٥٥٩
سبع آيات من سورة غافر	٥٦١
عشر آيات من فصلت	٥٦٣
سبع آيات من سورة الشورى	٥٦٥
إحدى عشرة آية من سورة الزخرف	٥٦٧
ثلاث آيات من سورة الدخان	٥٦٨
تسع من سورة الجاثية	٥٦٩
تسع آيات من سورة الأحقاف	٥٧١
ست آيات من سورة محمد	٥٧٤
آيتان من سورة الفتح	٥٧٦
ثلاث آيات من سورة قٓ	٥٧٨
آية واحدة من سورة الذاريات	٥٨٠
آيتان من سورة الطور	٥٨١
خمس آيات من سورة النجم	٥٨٤
خمس آيات من سورة القمر	٥٨٦
آية واحدة من سورة الرحمٰن	٥٨٨
ثلاث آيات من سورة الواقعة	٥٨٩
ثلاث آيات من سورة الحديد	٥٩١
آية واحدة من سورة المجادلة	٥٩٣
آية واحدة من سورة الحشر	٥٩٤
آية واحدة من سورة الممتحنة	٥٩٦
ثلاث آيات من سورة الصف	٥٩٧
آية واحدة من سورة الجمعة	٥٩٩
آيتان من سورة التغابن	٦٠١
ثلاث آيات من سورة الطلاق	٦٠٢
آية واحدة من سورة الملك	٦٠٣
أربع آيات من سورة القلم	٦٠٤
خمس آيات من سورة الحاقة	٦٠٦
ثلاث آيات من سورة الجن	٦٠٧
أربع آيات من سورة المزمل	٦٠٩
ثلاث آيات من سور المدثر	٦١١
آيتان من سورة القيامة	٦١٤
آيتان من سورة الإنسان	٦١٥
آية واحدة من سورة المرسلات	٦١٧
آيتان من سورة النبأ	٦١٨
آية واحدة من سورة عبس	٦١٩
آيتان من سورة التكوير	٦٢٠

الموضوع	الصفحة
آية واحدة من سورة المطففين	٦٢٢
آية واحدة من سورة الإنشقاق	٦٢٣
آية واحدة من سورة البروج	٦٢٤
آية واحدة من سورة الطارق	٦٢٥
آية واحدة من سورة العلق	٦٢٦
آية واحدة من سورة القدر	٦٢٧
آية واحدة من سورة البيِّنة	٦٢٩
دعاء	٦٣٠

سيصدر حديثاً إن شاء الله

السلسبيل

في معرفة الدليل

قوبلت هذه الطبعة على نسخة خطية بخط المؤلف

عقيدة المسلمين

والرد على الملحدين والمبتدعين

ويليه

أربع كلمات مفيدة في الأحكام والعقيدة

قوبلت هذه الطبعة على نسخة خطية بخط المؤلف